

العقائد الإسلامية

عبد الكريم بن محمد

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

تأليف

السيد سابق

السِّيْدِيَّابِق

العُقَايْدُ الْإِسْلَامِيَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤتمر الاسلامي

إن ما ينم به البشر من نم مادية وروحية يرجع إلى هؤلاء الأبطال من الرجال
الذين ملأ الإيمان قلوبهم ، وغمر اليقين نفوسهم ، فاستعذبوا الجهاد ، وقدموا
التضحيات من أجل انتصار الحق ، وفي سبيل ترقية الحياة ودفعها قدماً إلى الأمام .

وقد كان من الممكن أن تتضاعف هذه النعم ، وتترادف هذه الآلاء لو بقيت
العقيدة كما هي في سموها وصفاتها وقُدسيتها ، وبقى لها هؤلاء المخلصون الأفاضل .

لكن العقيدة قد خالطها — بوجه عام — من الأفكار البشرية ما خرج بها
عن بساطتها وإشراقها ، وذهب بجملها وجلالها .

فكان من أثر ذلك أن ضمت في ذاتها ، وأصبحت مجرد أفكار ، ومجموعة آراء
لا تمثل الاعتقاد الحق ، ولا تصل إلى أعماق النفس ، ولا توجه التوجيه النافع
في الحياة ، ولا تدبّر على السلوك النظيف الذي يمثل الرشد الإنساني ، والبرق الروحي .

ثم كان التقدم للمادى في كل ناحية من نواحي الحياة ، وكان تأثيره على العقول
والقلوب بالغاً ، فلم تستطع العقيدة الدينية — وأمرها على ما وصفنا — أن تصمد أمام
العلم ، أو تقف أمام الاكتشافات التي تترى كل يوم .

فأصبحت العقيدة بهزة عنيفة ، وأزمة حادة كادت تقضى عليها ، وبالرغم من
ارتفاع أصوات تنادى بالعودة إلى الدين ، والتشبُّث بالعائد للورثة عن أنبياء الله
ورسله ، قبل أن يعم الظلام للمادى كل ناحية من نواحي الحياة ، ويطغى الضلال طغياناً
لا قبل لأحد بمقاومته ، إلا أن هذه الأصوات لم تبلغ مداها ، ولم تحقق أهدافها ،
لأنها لا تملك من الإقناع ولا من القوة ولا من الوسائل ، ما تستطيع به أن يكون

لها صوت قوى مسموع واستجابة محقة ، ولأن الرواسب التى علفت بتلك العقائد لم تجعل منها القيمة الذاتية التى تمكن لها فى عقول الناس وقلوبهم .

وكان أن مضى العلم فى طريقه يحقق للناس الرفاهية المادية ، ويوفر لهم الرخاء ويستخرج قوى الكون ، وما أودع فيه من خيرات وبركات .

ومع سعى العلم السعى الحثيث فى هذه السبيل ، لم يستطع أن يوفر للناس الأمن والسلام ، ولا المودة والمحبة ، ولا الرحمة والحنان ، ولا التعاون والإيثار ، ولا تهذيب النفس ، ولا تقوم الخلق ، فكان أن أصيبت الإنسانية بنكسة خطيرة من جراء سعة العقل وضيق القلب .

إن الأمم مع غزارة علمها وسعة عقلها — فى عصرنا هذا — لا تزال فى دور الطفولة الخلقية ، وإن ذلك خطر على النفس الإنسانية بل على البشرية كلها .

لهذا كان من الضرورى العمل على تفتير جوهرى فى النفس الإنسانية عن طريق غرس العقيدة الصحيحة التى لم تغاثر بالأفكار البشرية ولم تمت بها الآراء ولا الأهواء .

ومن فضل الله أن هذه العقيدة لا تزال كما هى فى صفاتها ، ونقائها ، وبساطتها وقديستها .

قد تكفل بتجليتها التجلية الحقبة للكتاب العزيز ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنة الصحيحة التى ثبتت ثبوتاً لا تتطرق إليه الأوهام ولا الفنون .

ومن مزايا هذه العقيدة الثابتة: أنها ميراث رسل الله جميعاً ، وأنها العقيدة الجامعة

التي ربطت بين المؤمنين بدين الله الواحد ، الذي لا يختلف في الزمان ، ولا في المكان
وأنها العقيدة الإيمانية التي توجه إلى شرف الحياة ومجدها .

إلا أنها تحتاج إلى جهد كبير في التبشير بها ، وإبرازها وتبليغها للناس ؛ كي تأخذ
مكانها من القلوب والعقول ، وكى تسيطر على الحياة ، وعلى المجتمع الإنساني .

ولما كانت رسالة المؤتمر الإسلامي هي الرسالة التي تعمل على تبديد الظلام
وإشاعة النور ، وتنقيف العقول ، وتطهير القلوب ، وتقويم السلوك ، والتوجيه إلى
المثل العليا ، والقيم الصالحة — فقد رأى أن يقدم للناس كتاب « المقائد الإسلامية »
للاستاذ « السيد سابق » ، إسهاما من المؤتمر في تحقيق رسالته .

وقد حاول المؤلف في كتابه هذا أن يبرز فيه المقائد الإسلامية كما جاءت في
كتب الله ، وكما دعا إليها الأنبياء والرسل ، خالصة من الشوائب التي خالطتها ،
ومنزهة عن الأهواء التي عبثت بها عبر السنين والقرون .

ولم يدخر المؤلف وسعاً في تبسيط عرض هذه الحقائق وتقريبها من العقول
مستعينا — كلما أمكن — بما اكتشفه العلم ، واهتدى إليه العقل ، مما يدعّم المقائد
الدينية .

وبهذا يلتقي الوحي الرباني ، والعقل الإنساني معاً على ترقية الحياة ، وإبلاغ
الإنسان أسمي ما يمكن أن يصل إليه من الكمال المادي والأدبي .

وللتوهم الإسلامي ، إذ يقدم هذا الكتاب كجزء من رسالته يسأل الله لمؤلفه
المزيد من العلم النافع ، والعمل الصالح .

كما يسأله سبحانه أن يحمل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يم به النفع
ويكتب له القبول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ ؛ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »

مقدمة

- الإسلام إيمان وعمل
- مفهوم الإيمان
- وحدة العقيدة
- لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة
- منهج الرسل في الدعوة إلى الإيمان
- الانحراف عن منهج الرسل وأثره
- ضرورة العودة إلى تجديد دعوة الإيمان

الإسلام إيمان وعمل

الإسلام هو دين الله الذى أوحاه إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهو إيمان وعمل

والإيمان : من العقيدة ، والأصول التى تقوم عليها شرائع الإسلام ، ومنها تفهيق فروعها .

والعمل يمثل الشريعة ، والفروع التى تعتبر امتدادا للإيمان والعقيدة . والإيمان والعمل ، أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبطان بالآخر ارتباطا شاملا بالأشجار ، أو ارتباطا بالسبب بالأسباب ، والنتائج بالمقدمات . ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتى العمل مقترنا بالإيمان فى أكثر آيات القرآن الكريم .

« وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ » (١) .

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (٢) .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا » (٣)

(١) سورة البقرة الآية ٢٥ (٢) سورة النحل آية ٩٦

(٣) سورة مريم آية ٩٦

مفهوم الإيمان أو العقيدة (*)

ومفهوم الإيمان أو العقيدة ينتظم ستة أمور :

أولاً : للمعرفة بالله ، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ، والمعرفة بدلائل وجوده ، ومظاهر عظمتة فى الكون والطبيعة .

ثانياً : للمعرفة بعالم ما وراء الطبيعة ، أو العالم غير المنظور ، وما فيه من قوى الخير التى تتمثل فى الملائكة ، وقوى الشر التى تتمثل فى إبليس وجنوده من الشياطين ، والمعرفة بما فى هذا العالم أيضاً من جِن وأرواح .

ثالثاً : للمعرفة بكتب الله التى أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل ، والخير والشر ، والحلال والحرام ، والحسن والقبيح .

رابعاً : للمعرفة بأنبياء الله ورسله الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى ، وقادة الخلق إلى الحق .

خامساً : للمعرفة باليوم الآخر ، وما فيه من بث وجزاء ، وثواب وعقاب وجنة ونار .

سادساً : المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير .

وحدة العقيدة

وهذا المفهوم للإيمان ، هو العقيدة التى أنزل الله بها كتبه ، وأرسل بها رسله ، وجعلها وصيته فى الأولين والآخرين .

(*) العقيدة هى التصديق بالشئ والجزم به دون شك أو ريب . فهى بمعنى الإيمان ، يقال : أعتقد فى كذا أى آمن به . والإيمان بمعنى التصديق . يقال : آمن بالشئ أى صدق به تصديقاً لا ريب فيه ولا شك معه .

فهي عقيدة واحدة ، لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان ، ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام .

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ . وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » ^(١)

وما شرعه الله لنا من الدين ، ووصانا به كما وصى رسله السابقين — هو أصول العقائد وقواعد الإيمان ، لا فروع الدين ، ولا شرائعه العملية ؛ فإن لكل أمة من التشريعات العملية ما يتناسب مع ظروفها ، وأحوالها ، ومستواها الفكري والروحي .

« لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » ^(٢) .

لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة :

وإنما جعل الله هذه العقيدة عامة للبشر ، وخالدة على الدهر ؛ لما لها من الأثر البين ، والنفع الظاهر في حياة الأفراد والجماعات .

فالمعرفة بالله من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة ، وتوقظ حواس الخير ، وتربي ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب . مالى الأمور وأشرافها ، وتنبأ بالمرء عن محضرات الأعمال وسفاسفها .

والمعرفة بالملائكة : تدعو إلى التشبه بهم ، والتعاون معهم على الحق والخير . كما تدعو إلى الرعي الكامل واليقظة التامة ، فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو حسن ، ولا يتصرف إلا لغاية كريمة .

والمعرفة بالكتب الإلهية : إنما هي عرفان بالمتبع الرشيد الذى رسمه الله للإنسان ، كي يصل بالسير عليه إلى كماله للادى والأدبى .

والمعرفة بالرسول : إنما يقصد بها ترسم خطاهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والتأسي بهم ، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة ، والحياة النظيفة التي أرادها الله للناس .
والمعرفة باليوم الآخر : هي أقوى باعث على فعل الخير ، وترك الشر .
والمعرفة بالقدر : تزود المرء بقوى وطاقات تتحدى كل العقاب والصعاب ،
وتصغر دونها الأحداث الجسام .

وهكذا يَبْدُو بجلالة أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك ، وتركية النفوس
توجيهها نحو المثل الأعلى — فضلا عن أنها حقائق ثابتة . وهي تعد من أعلى المعارف
الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق .
وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم
الأساليب التربوية .

حيث إن للدين سلطانا على القلوب والنفوس ، وتأثيرا على المشاعر والأحاسيس ،
ولا يكاد يدانيه في سلطانه وتأثيره شيء آخر من الوسائل التي ابتكرها العلماء ،
والحكماء ، ورجال التربية .

ففرس العقيدة في النفوس ، هو أمثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن
تقوم بدورها كاملا في الحياة ، وتسهم بنصيب كبير في تزويدها بما هو أنفع وأرشد ؛
إذ أن هذا اللون من التربية يُضفي على الحياة ثوب الجمال والكمال ، ويظلها
بظلال المحبة والسلام .

ومتى سادت المحبة ارتفعت الخصومة ، وانقطع النزاع ، وحل الوفاق محل
الشقاق ، وتقارب الناس ، وتآلفوا ، وسعى الفرد لخير الجماعة ، وحرصت الجماعة
على إصلاح الفرد وإسعاده .

ومن ثمّ تظهر الحكمة واضحة من جعل الإيمان عامّاً خالداً ، وفي أن الله لم يُخلِ
جيلاً من الأجيال ، ولا أمة من الأمم ، من رسول يدعو إلى هذا الإيمان وتمييق
جنود هذه العقيدة .

وكثيراً ما كانت تأتي هذه الدعوة بعد فساد الضمير الإنساني ، وبعد أن
تتعلم كل القيم العليا ، ويظهر أن الإنسان أشد ما يكون حاجة إلى معجزة تعيده
إلى فطرته السليمة ؛ ليصالح لمارة الأرض ، وليقوى على حمل أمانة الحياة .

إن هذه العقيدة هي الروح لكل فرد ، بها يحيا الحياة الطيبة ، وبفقدها يموت
الموت الروحي ، وهي النور الذي إذا غمى عنه الإنسان ، ضل في مسارب الحياة ، وتاه
في أودية الضلال .

« أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ
مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا » (١) .

إن العقيدة مصدر العواطف النبيلة ، ومفرس الشاعر الطيبة ، ومنبت الأحاسيس
الشريفة ؛ فما من فضيلة إلا تصدر عنها ، ولا صالحة إلا ترد إليها .

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الصالحات ، إنما يذكر العقيدة في طليعة
اعمال البر ، كأصل تنفرد عنه ، وكأساس تقوم عليه ، يقول الله سبحانه :

« لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُؤُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى
حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ،

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِمَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا . وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَّ عَنْهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ^(١)

منهج الرسل في غرس هذه العقيدة

وكانت الرسل تعرض على الناس هذه العقيدة ، عرضاً كله السهولة والبساطة ،
والمنطق ، فتلفت أنظارهم إلى ملكوت السموات والأرض ، وتوقظ عقولهم إلى
التفكير في آيات الله ، وتنبه فطرم إلى ما غرس فيها من شعور بالتدين ، وإحساس
بعالم وراء هذا العالم المادى .

وعلى هذا السنن مضى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بغرس هذه
العقيدة في نفوس أمته لافتت الأنظار ، وموجها الأفكار ، وموقظاً العقول ،
ومنبهاً الفطر ، ومتمهداً هذا الغراس بالتربية والتنمية حتى بلغ الغاية من النجاح ،
واستطاع أن ينقل الأمة من الوثنية والشرك إلى عقيدة التوحيد ، ويملا قلوبها
بالإيمان واليقين ، كما استطاع أن يجعل من أصحابه قادة في الإصلاح وأئمة في الخير ،
وأن يخلق جيلاً يمتاز بالإيمان ، ويمتصم بالحق ، فكان هذا الجيل كالشمس للدنيا
والعافية للناس ! .

وقد شهد الله لهذا الجيل بالتفوق والامتياز ، فقال :

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »^(٢)

ولقد بلغ الإيمان ببعض هؤلاء الصحابة إلى درجة قال فيها : لو كشف عني
الحجاب لما ازددت يقيناً .

وفى حديث الحارث بن مالك الأنصارى رضى الله عنه ما يعطينا الصورة المشرقة لهذا الإيمان .

فقدم حارثة برسول الله صلوات الله عليه فقال له الرسول :

كيف أصبحت يا حارثة ؟

قال : أصبحت مؤمناً حقاً .

قال : انظر ماذا تقول . فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟

قال : عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا . فَاسْتَهَرْتُ لَيْلِي . وَأَغْلَمْتُ نَهَارِي . وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزاً . وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا . وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغُونَ ^(١) فِيهَا .

فقال : عَرَفْتَ يَا حَارِثَةُ . فَالْزَمْ ^(٢) .

الانحراف عن منهج الرسل وأثره

ومنذ قامت دولة التوحيد على يدي خاتم أنبياء الله ورسله ، بقيت العقيدة تستمد قدسيتها من وحى الله وتعاليم السماء ، وتمتد أول ما تمتد على الكتاب والسنة ، وتتجه في الدرجة الأولى إلى تربية الملوك ، وإعلاء الفرائض وتهذيب السلوك ، كي ترفع الإنسان إلى السمو اللائق بكرامته ، وتجعل منه قوة إيجابية في الحياة .

ثم كانت الخلافات السياسية ، والاتصال بالمذاهب الفكرية والمذاهب الدينية الأخرى ، وتحكيم العقل فيما لا قدرة له عليه — سبباً في العدول عن منهج الأنبياء . كما كانت سبباً في تحول الإيمان من بساطته وإيجابيته وسموه إلى قضايا فلسفية ، وأقضية منطقية ، ومناقشات كلامية ، أقرب ما تكون إلى المناقشات البيزنطية .

(١) يتضاغون : يصرخون (٢) رواه الطبراني بسند ضعيف

ولم يَعدَ الإيمان هو الإيمان الذى تزكو به النفس ، أو يصلح به العمل ،
و ينهض به الفرد ، أو تحيا به الأمة .

واقدر كان من أثر اخلاقات السياسة ، والعدول عن نهج الفطرة ، والتأثر
بالمذاهب الفكرة الطارئة ، وتحكيم العقل — أن انقسم حملة العقيدة إلى مدارس
مختلفة ، كل مدرسة منها تُمثِّلُ لونا معينا من التفكير ، وتَسْتَأْثِرُ هى وحدها بالحق
دون غيرها فى زعمها ، ومن لم يدخل فى دائرة تعاليمها يَعدُّ فى نظرها خارجا عن
الإسلام :

فدرة لأهل الحديث ، ومدرسة للأشاعرة ، ومدرسة للماتريدية ، ومدرسة
للمعتزلة ، ومدرسة للشيعة ، ومدرسة للجهمية — إلى آخر هذه المدارس المختلفة
المتعددة المذاهب والتنوعة الآراء :

وكلُّ بَدْعٍ وَصَلَاً بِلَيْلَى وَلَيْلى لَا تُقِرُّ لَهُم بِذَاكَ
إِذَا اشْتَبَكَ دُمُوعٌ فِي جَفُونٍ تَبَيَّنَ مِنْ بَكْيٍ مِمَّنْ قَبَاكَ

وأشهر الاخلاقات التى وَسَّعتِ الهُوءُ بين الأمة الواحدة ، هو ما وقع من خلاف
بين الأشاعرة والمعتزلة .

وكان أهم الموضوعات التى ناز حولها الخلاف هى ما يأتى :

- (١) هل الإيمان تصديق فقط ، أو هو تصديق وعمل ؟
- (٢) هل صفات الله الذاتية ثابتة ، أو منفية عنه ؟
- (٣) هل الإنسان مُسَيَّرٌ ، أو مُخَيَّرٌ . . . ؟
- (٤) هل يجب على الله فعل الصلاح أو الأصلاح ، أو لا يجب ؟
- (٥) هل الحسن والقبح يمرقان بالعقل أو الشئ ؟

(٦) هل يجب على الله أن يثيب الطائع ، ويعذب العاصي أو لا يجب ذلك ؟

(٧) هل يرى الله في الآخرة . أو أن ذلك مستحيل ؟

(٨) ما حكم مرتكب الكبيرة التي لم يَنْبُ منها حتى مات ؟

إلى آخر هذه المسائل التي كانت مثار فرقة بين المسلمين . والتي مرقت الأمة شيكاً وأحزاباً .

ولقد كان من نتائج هذا التنازع ، ومن آثار هذا الانقسام أن جنى المسلمون على أنفسهم جنایات خطيرة : فتزعزعت العقيدة في النفوس ، واهتز الإيمان في القلوب ، فلم يعد للعقيدة السيطرة على سلوك الأفراد ولم يبق للإيمان السلطان على تصرفاتهم

وتَبِعَ ضَعْفَ الْعَقِيدَةِ الضَّعْفُ الْعَامُ فِي الْفِرْدِ ، وَفِي الْأُسْرَةِ ، وَفِي الْمَجْتَمَعِ ، وَفِي الدَّوْلَةِ ، وَفِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ ، وَأَخَذَ هَذَا الضَّعْفُ يَدْبُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ، حَتَّى أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ عَاجِزَةً عَنِ النَّهْوِ بِتَبِعَاتِهَا ، وَالْإِضْطِلَاعِ بِمَسْئُولِيَّاتِهَا دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا ، وَلَمْ تَبْقَ الْأُمَّةُ كَمَا أَرَادَهَا اللَّهُ أَنْ تَكُونَ — صَالِحَةً لِقِيَادَةِ الْأُمَمِ وَهَدَايَةِ الشُّعُوبِ .

وإذا كان سبب تخلف الأمة عن غاياتها الكبرى ، هو ضعف العقيدة كان من الضروري — ونحن نعمل على إعادة مجد أمتنا — أن نسي جاهدین في غرس العقيدة في نفوسنا ، وأن نترسم الخطة التي رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم في تمهدها بالتربية والتنمية حتى تبلغ غايتها من القُوَّةِ ، وتصل إلى النهاية من اليقين الذي يدفعنا إلى مجد الحياة ، ويرفعنا إلى أسمى درجات العز والشرف .

وهذا الكتاب ما هو إلا محاولة من المحاولات التي تبرز جانب العقيدة ،
وتوضح أثرها في النفس وفي الحياة .

وقد اعتمدنا في ذلك على المصدر الأساسي للإسلام من كتاب الله وسنة رسوله .
وأملنا في الله عظيم ، ورجاؤنا كبير في أن تلقى هذه الدراسات من الترحيب
والقبول ما يَكُنُّ لها حتى تكون لنا العقيدة التي نسود بها في الدنيا ، ونسعد بها
في الآخرة . والله الموفق وهو حسبنا ، ونعم الوكيل .

معرفة الله

- وسيلة المعرفة
- المعرفة عن طريق العقل
- التقليد حجاب العقل
- ميادين التفكير وغاياته
- المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات
- اسم الله الأعظم

إن معرفة الله ، هي أسنى المعارف وأجلها ، وهي الأساس الذى تقوم عليه الحياة الروحية كلها .

فمنها تفرعت المعرفة بالأنبياء والرسل ، وما يتصل بهم من حيث عصمتهم ووظيفتهم ، وصفاتهم ، والحاجة إلى رسالاتهم ، وما يلحق بذلك من المعجزة والولاية ، والكرامة ، والكتب السماوية .

وعنها تشعبت المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة : من الملائكة والجن والروح .
وعنها انبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة ، وما تنتهى إليه من الحياة البرزخية ، والحياة الأخروية : من البعث ، والحساب ، والنواب ، والعقاب ، والجنة ، والنار .

وسيلة المعرفة

والمعرفة بالله وسيلتان :

إحداها : العقل والنظر فيما خلق الله من أشياء .
وثانيتها : معرفة أسماء الله وصفاته .

فبالعقل من جانب ، وبمعرفة الأسماء والصفات من جانب آخر ، يعرف الإنسان ربه ، ويهتدى إليه .

وَلَنُلْقِ ضَوْءًا عَلَى كُلِّ سَبِيلَةٍ مِنَ هَاتَيْنِ الْوَسِيلَتَيْنِ :

المعرفة عن طريق العقل .

إن لكل عضو وظيفة ، ووظيفة العقل ، هي التأمل والنظر والتفكير ، وإذا نمطلت هذه القوى بطل عمل العقل ، وعطل من أهم وظائفه ، وتبع ذلك .

توقف نشاط الحياة مما يتسبب عنه الجمود والموت والقناء . والإسلام أراد للعقل أن ينهض من عقاله ، ويخيق من سباته ، فدعا إلى النظر والتفكير ، وعد ذلك من جوهر العبادة .

« قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » ^(١)
 « قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى ثَمَنِ وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا » ^(٢) .

والذين يحدون نعمة العقل ، ولا يستعملونه فيما خلق من أجله ، ويفلون عن آيات الله هم موضع التحقير والازدراء ، والله سبحانه يمتب عليهم فيقول :
 « وَكَمْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ » ^(٣) .

« وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » ^(٤) .
 وتعطيل العقل عن وظيفته يهبط بالإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان ، وهو الذي حال بين الأقدمين وبين النفوذ إلى الحقائق في الأنفس وفي الآفاق . يقول الله سبحانه :

« وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ » ^(٥) .

(١) يونس : آية ١٠١

(٢) سبأ : آية ٤٦

(٣) يوسف : آية ١٠٥

(٤) يس : آية ٤٦

(٥) الاعراف : آية ١٧٩

التقليد حجاب العقل

والتقليد هو المانع للعقل من الانطلاق ، والمعوق له عن التفكير ، ومن ثم فإن الله يُثْنِي على الَّذِينَ يَخْلَصُونَ للحقائق ، ويميزون بين الأشياء ، بعد البحث والتحصيل خيأخذون ما هو أحسن ، ويدعون غيره :

« فَبَشِّرْ عِبَادِيَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ »^(١).

ويندد بالتقليدين الذين لا يفكرون إلا بقول غيرهم ، ويمجدون على القديم المألوف ، ولو كان الجديد أهدى وأجدى لهم .

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ نَبَاهَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ »^(٢)

مبادئ التفكير

والإسلام حين دعا إلى التفكير ، ورحب به ، إنما أراد أن يكون ذلك في دائرة نطاق العقل وحدود مداركه .

فدعا إلى النظر فيما خلق الله من شيء : في السموات والأرض ، وفي الإنسان نفسه ، وفي الجماعات البشرية ، ولم يحظرُ عليه إلا التفكير في ذات الله ؛ لأن ذات الله فوق الإدراك .

« تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره »^(٣)

(١) الزمر : آية ١٧ ، ١٨

(٢) البقرة : آية ١٧١

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية مرفوعاً إلى النبي بسند ضعيف ومعناه صحيح

والقرآن الكريم مليء بمئات الآيات الداعية إلى النظر في مجالات الكون الفسيحة وآفاقه الرحبة التي لا تحد محد، ولا تقف عند نهاية.

«كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لِمَا كُنْتُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». (١)

وما أوسع الدنيا التي دعا الإسلام إلى التفكير فيها، وسعتها ليست بشيء في جانب سعة الآخرة.

غاية التفكير

ومن أجل الغايات التي يريدها الإسلام : من إيقاظ العقل ، واستعمال وظيفته في التأمل والنظر والتفكير هي هداية الإنسان إلى قوانين الحياة ، وعلل الوجود وسنن الكون وحقائق الأشياء ؛ لتكون هذه هي المنارات التي تكشف له عن مبدع الكون وخالقه ، ولتأخذه برفق إلى هذه الحقيقة الكبرى : حقيقة المعرفة بالله . إن معرفة الله إنما هي نتاج عقل ذكي ملهم ، وثمره تفكير عميق مشرق .

وهذه هي إحدى وسائل القرآن في الدلالة على الله .

إنه يوقظ العقل ، ويفتح أمامه كتاب الطبيعة ؛ ليتعرف منه ما لله من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، ومظاهر عظمته ، وأدلة قدسه ، وشمول علمه ، ونعوذ قدرته ، وتفردته بالخلق والإبداع .

لنصغ إلى هذه الآيات في وعي :

«قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُبَشِّرُ كُونًا»

أَمِنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ
ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ بِمَدِلُونٍ .
أَمْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ آهَاءَ رَوَاسِيٍّ وَجَعَلَ بَيْنَ
الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا
دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا
مَاتَدَّ كُرُونُ . أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ، إِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ
ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، (١) .

فأى برهان أسطع من هذا البرهان ، وأى ججة أبلغ من هذه الحجة .
وإذا لم يخضع العقل لهذا البرهان ، ويدعن لهذه الحجة ، فإنه لا يخضع لبرهان ،
ولا يدعن لحجة قط .

« وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » (٢) .

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات

والوسيلة الأخرى التي اتخذها الإسلام لتعريف الناس بالله ، هي عرض أسماء الله
الحسنى ، وصفاته العليا .

(١) سورة النمل : الآيات ٥٩ الى ٦٤

(٢) سورة النور : آية ٤٠

فالأسماء والصفات هي الوسائل التي تعرّف الله بها إلى خلقه ، وهي النوافذ التي يطل منها القلب على الله مباشرة ، وهي التي تحرك الوجدان ، وتفتح أمام الروح آفاقاً فسيحة تُشاهد فيها أنوار الله وجلاله .

وهذه الأسماء هي التي ذكرها الله سبحانه في قوله :

« قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى »^(١) .

وهي التي أمرنا أن ندعوه بها .

« والله الأسماء الحسنی فادعوه^(٢) بها »^(٣) .

وعدها تسعة وتسعون اسماً . روى البخارى ومسلم والترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

إن لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة^(٤) ، وإن الله وتر يحب الوتر .

وزاد الترمذى في روايته :

هو الله^(٥) الذى لا إله إلا هو الرحمن^(٦) الرحيم^(٧) الملك^(٨) القدوس^(٩)

(١) سورة الاسراء : آية ١١٠

(٢) ادعوه : سموه واذكروه واعبدوه وتقربوا اليه بها .

(٣) سورة الاعراف : آية ١٨٠

(٤) حفظها ووعاها واستحضر معناها واستشعر في نفسه آثارها .

(٥) الله : لفظ الجلالة علم على الذات الالهية المقدسة الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد . وأما بقية الأسماء فكل اسم منها يدل على صفة ، ولهذا صح أن تكون وصفا للفظ الجلالة وأن يخبر بها عنه .

(٦) الرحمن : المنعم بجلالته النعم .

(٧) الرحيم : المنعم بدقائقها .

(٨) الملك : المتصرف فى ملكه كيفما يشاء .

(٩) القدوس : المطهر من الصيوب والنقائص .

السلام^(١) . المؤمن^(٢) . المهيمن^(٣) . العزيز^(٤) . الجبار^(٥) . المتكبر^(٦) . الخالق^(٧) .
البارى^(٨) . المصور^(٩) . الغفار^(١٠) . القهار^(١١) . الوهاب^(١٢) . الرزاق^(١٣) .
الفتاح^(١٤) . العليم^(١٥) . القابض^(١٦) . الباسط^(١٧) . الخافض^(١٨) . الرافع^(١٩) .

- (١) السلام : الأمان لحلقه .
- (٢) المؤمن : المؤمن لحلقه من العذاب والمصدق وعده لهم .
- (٣) المهيمن : المسيطر .
- (٤) العزيز : الغالب .
- (٥) الجبار : المنفذ لأوامره والمصلح لشئون عباده .
- (٦) المتكبر : المنفرد بصفات العظمة .
- (٧) الخالق : الموجد للمخلوقات من غير أصل أوالمقدر .
- (٨) البارى : الخالق لما فيه الروح والموجد لما له أصل .
- (٩) المصور : المعطى لكل شئ صورة تميزه عن غيره . فالخالق الموجد
للأشياء ايجادا أوليا ، أوالمقدر ، والبارى المظهر لها ، والمصور الذى أعطاهما
الصورة المناسبة .
- (١٠) الغفار : كثير المغفرة وستر الذنوب .
- (١١) القهار : القابض على كل شئ والقاهر لكل الخلائق .
- (١٢) الوهاب : كبير النعم دائم العطايا والمنن .
- (١٣) الرزاق : خالق الأرزاق وخالق أسبابها .
- (١٤) الفتاح : الذى يفتح خزائن رحمته لعباده .
- (١٥) العليم : العالم بكل شئ فلا يخب عنه شئ .
- (١٦) القابض : قابض الأرواح ، أو مضيق الرزق على من يشاء من
عباده .
- (١٧) الباسط : موسع الرزق على من يشاء .
- (١٨) الخافض : الذى يخفض من هو مستحق للخفض بالحزى والذل
والعذاب .
- (١٩) الرافع : الذى يرفع من يستحق الرفعة من المتقين .

المعز^(١) . المذل^(٢) . السميع . البصير . الحكم^(٣) . العدل^(٤) . اللطيف^(٥) .
الجدير . الحليم^(٦) . العظيم^(٧) . النفور^(٨) . الشكور^(٩) . العلي^(١٠) .
لكبير^(١١) . الحفيظ^(١٢) . المقيت^(١٣) . الحسيب^(١٤) . الجليل^(١٥) . الكريم^(١٦)

- (١) المعز : يعز من استمسك بذينه ويعطيه النصرة والغلبة .
(٢) المذل : الذى يذل أعداءه .
(٣) الحكم : الحاكم الذى لارادلقضائه ولا معقب لحكمه .
(٤) العدل : العادل الكامل فى عدالته .
(٥) اللطيف : العالم بخفايا الأمور ودقائقها .
(٦) الحليم : الذى لا يستغزه غضب ولا يتعجل بالعقوبة .
(٧) العظيم البالغ أقصى مراتب العظمة لانصافه بصفات الجلال والجمال .
(٨) النفور : كثير النفران .
(٩) الشكور : الذى يعطى الكثير على العمل القليل .
(١٠) العلي : الذى بلغ أعلى المراتب التى لا يتصورها العقل ، ولا يدركها
فهم .
(١١) الكبير : الذى لا يستطيع الحواس ولا العقول ادراكه .
(١٢) الحفيظ : الذى يحفظ الأشياء من الخلل والاضطراب ، ويحفظ
بمال العباد ، فلا يضيع منها شئ .
(١٣) المقيت : خالق الغذاء الروحى والمادى .
(١٤) الحسيب : الذى يكفى عباده ، أو الذى يحاسبهم يوم القامة .
(١٥) الجليل : الذى له صفات الجلال لكمال صفاته .
(١٦) الكريم : المعطى من غير سؤال ولا عوض .

- الرقيب^(١) . المجيب^(٢) . الواسع^(٣) . الحكيم^(٤) . الودود^(٥) . المجيد^(٦) .
الباعث^(٧) . الشهيد^(٨) . الحق^(٩) . الوكيل^(١٠) . القوي^(١١) . المتين^(١٢) .
الولي^(١٣) . الحميد^(١٤) . المحصى^(١٥) . المبدى^(١٦) . المعيد^(١٧) . المحيى^(١٨) .
-

- (١) الرقيب : الذى يراقب الأشياء ويلاحظها •
(٢) المجيب : الذى يستجيب للداعى اذا دعا •
(٣) الواسع : الذى عمت رحمته كل شئ ، ووسع علمه كل شئ ••
(٤) الحكيم : صاحب الحكمة لكمال علمه واتفانه كل شئ •
(٥) الودود : المحب الخير لخلقه ، والمحسن اليهم فى كل الأحوال •
(٦) المجيد : البالغ النهاية فى المجد والشرف •
(٧) الباعث : أى باعث الرسل • وباعث الهمم • وباعث من فى القبور •
(٨) الشهيد : العالم بكل مخلوق •
(٩) الحق : الثابت الذى لا يتغير •
(١٠) الوكيل : القائم بأمور عباده وسائر ما يحتاجون اليه •
(١١) القوي : صاحب القدرة التامة •
(١٢) المتين : الذى بلغ النهاية فى الشدة •
(١٣) الولي : المتولى أمر خلقه لجه لهم ونصره اياهم •
(١٤) الحميد : المحمود المستحق للثناء •
(١٥) المحصى : الذى لا يغيب عن علمه شئ ••
(١٦) المبدى : المظهر للأشياء من العدم •
(١٧) المعيد : الذى يعيدها بعد عدنها •
(١٨) المحيى : خالق الحياة فى كل حي •

لميت^(١) . الحى^(٢) . القيوم^(٣) . الواجد^(٤) . الماجد^(٥) . الواحد . الصمد^(٦) .
القادر . القتدر . لتقدم^(٧) . المؤخر . الأول^(٨) . الآخر^(٩) . الظاهر^(١٠) . الباطن^(١١) .
الوالى^(١٢) . المتعالى^(١٣) البر^(١٤) . التواب^(١٥) . المنتقم^(١٦) . العفو^(١٧) . الرؤوف^(١٨)

(١) الميت : سالب الحياة من الأحياء .

(٢) الحى : صاحب الحياة الدائمة .

(٣) القيوم : القائم بنفسه والمقيم لغيره فيه قامت السموات والأرض .

(٤) الواجد : الذى يجد كل ما أراده . فلا يحتاج الى شئ لفناء المطلق .

(٥) الماجد : مثل المجيد .

(٦) الصمد : الذى يقصد فى الحوائج .

(٧) المتقدم : الذى يقدم الأشياء بعضها على بعض فى الوجود ، وفى

الشرف ، أو فى الزمان ، أو فى المكان

(٨) الأول : القديم السابق على كل شئ .

(٩) الآخر : الباقي بعد كل شئ .

(١٠) الظاهر : الذى أظهر وجوده بآياته .

(١١) الباطن : الخفى بذاته فلا يعلم ذاته أحد .

(١٢) الوالى : الذى تولى الأشياء وملكها .

(١٣) المتعالى : المنزه عن النقائص

(١٤) البر : كثير البر عظيم الاحسان .

(١٥) التواب : الذى يوفق العصاة للتوبة ، ويقبلها منهم .

(١٦) المنتقم : المعاقب لمن يستحق العقوبة .

(١٧) العفو : الماسح لسيئات من أتاب اليه .

(١٨) الرؤوف : عظيم الرأفة والرحمة .

- مالك الملك^(١) . ذو الجلال والإكرام^(٢) . المقسط^(٣) . الجامع^(٤) . الفنى^(٥) .
الفنى^(٦) . المانع^(٧) . الضار^(٨) . النافع^(٩) . النور^(١٠) . الهادى^(١١) . البديع^(١٢) .
الباقى^(١٣) . الوارث^(١٤) . الرشيد^(١٥) . الصبور^(١٦) . جل جلاله .
-

(١) مالك الملك : الذى تجرى الأمور فى السموات والأرض طبق
مشيئته وأرادته •

(٢) ذو الجلال والاكرام : صاحب الشرف والكمال ومفيض النعم والآلاء

(٣) المقسط : النصف للمظلومين من الظالمين بعدله •

(٤) الجامع : الذى يجمع شتات الحقائق المختلفة والذى يجمع الناس
يوم الدين •

(٥) الفنى : المستغنى عن كل ما عداه والمفتقر إليه كل ما سواه •

(٦) الفنى : المتفضل باغناء من شاء من خلقه •

(٧) المانع : الذى يمنع أسباب الهلاك •

(٨) الضار : الذى ينزل عقابه بأعدائه •

(٩) النافع : الذى عم خيره البلاد والعباد •

(١٠) النور : الظاهر بنفسه والمظهر لغيره •

(١١) الهادى : الذى هدى وأرشد كل شئ الى ما يحفظ وجوده •

(١٢) البديع : الذى لا نظير له •

(١٣) الباقى : الدائم الوجود •

(١٤) الوارث : الباقى بعد فناء الموجودات •

(١٥) الرشيد : المرشد لعباده ، والذى تجرى مصاريفه لقاياتها بمتهمى
الحكمة والسداد •

(١٦) الصبور : الذى لا يتعجل بالعقوبة ، ولا يتعجل بشئ قبل أوانه •

وفي كتاب الدين الإسلامى : وأسماء الله الحسنى الواردة فى القرآن هى :

١ — أسماء متعلقة بذاته تعالى وهى :

الواحد . الأحد . الحق . القدوس . الصمد . الفنى . الأول . الآخر . القيوم .

٢ — أسماء متعلقة بالتكوين وهى :

الخالق . البارئ . المصور . البديع .

٣ — أسماء متعلقة بصفتى الحب والرحمة فيما عدا رب . ورحمن . ورحيم وهى :

الرؤوف . الودود . اللطيف . الحليم . العفو . الشكور . المؤمن . البار .

رفيع الدرجات . الرزاق . الوهاب . الواسع .

٤ — أسماء متعلقة بعظمة الله وجلاله وهى :

العظيم . العزيز . العلى . المتعالى القوى . القهار . الجبار . المتكبر . الكبير .

الكريم . الحيد . المجيد . المتين . الظاهر . ذو الجلال والإكرام .

٥ — أسماء متعلقة بعلمه تعالى وهى :

العلى . الحكيم . السميع . الخبير . البصير . الشهيد . الرقيب .

الباطن . المهيمن .

٦ — أسماء متعلقة بقدرته تعالى وتديره للأمور وهى :

القادر . الوكيل . الولى . الحافظ . الملك . المالك . الفتاح . الحسيب .

المنتقم . المقيت .

٧ — وهناك أسماء أخرى لم تذكر بالنص فى القرآن ولكنها استمدت من أفعال

أو صفات له تعالى وردت بالقرآن وهى :

القابض . الباسط . الرافع . المنز . المذل . المجيب . الباعث . المحصى . المبدئ .

المعيد . المحيى . المميت . مالك الملك . الجامع . الفنى . المعطى . المانع .

المهادى . الباقي . الوارث .

م - وهناك أسماء أخرى له تعالى مستمدة من المعاني الواردة في القرآن وهي :
النور . العصور . الرشيد . المقسط . الوالي . الجليل . العدل . الخافض .
الواجد . المقدم . المؤخر . الضار . النافع . ويتصل بذلك صفتا التكلم
والإرادة .

اسم الله الأعظم

وكما أن الله هذه الأسماء ، فله اسم أعظم^(١) إذا دُعي به ، أجاب وإذا سئل به أعطى ،
جاء ذكره فيما يلي من أحاديث .

١ - عن بريدة رضى الله قال :

« سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو ، وهو يقول : اللهم إني
أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذى لم يلد
ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

قال . فقال : « والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذى إذا دُعي به
أجاب ، وإذا سئل به أعطى »^(٢) .

(١) اختلف العلماء فى تعيين اسم الله الأعظم والراجع من أقوالهم أنه
دعاء مؤلف من عدة أسماء من أسمائه سبحانه إذا دعا به الإنسان مع توفر
شروط الدعاء المطلوبة شرعاً استحباب الله له . وليس هو سرا من الأسرار الذى
يعطيه الله لبعض الأفراد فتخرق لهم العادات ويحققون مايمجز غيرهم عن
تحقيقه ، ولا ينبغي أن نزيد شيئاً فى كتاب الله وسنة رسوله .

(٢) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وقال المنذرى : قال
شيخنا أبو الحسن المقدسى هو اسناد لا مطعن فيه ولا أعلم أنه روى فى هذا
حديث أجود منه . وقال الحافظ بن حجر : هذا الحديث أرجح ماورد فى هذا
الباب من حيث السند . ويراجع فقه السنة ج ٢

٢ - وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى ^(١) وهو يدعو ويقول فى دعائه : اللهم لا إله إلا الله أنت المنان . بديع السموات والأرض . ذو الجلال والإكرام ^(٢) .

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« أتدرون بى دعا الله ؟ . دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى » ^(٣)

٣ - وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : — اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين : « وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . وقاعة آل عمران : آم الله لا إله إلا هو الحى القيوم » ^(٤)

٤ - وعن سعد بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هل أدلكم على اسم الله الأعظم . الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ؟ الدعوة التى دعأ بها يونس حيث نادى فى الظلمات الثلاث : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » فقال رجل : يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى قال النووي : قال الخطيب : هذا الرجل أبو عباس زيد بن الصامت الأنصارى الرزقى .

(٢) ذو الجلال والإكرام : أى يا ذا العظمة والكبرياء وذا الأكرام لأوليائك .

(٣) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٤) رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه وقال الترمذى حديث

حسن صحيح .

« أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ » (١) .

فهذه الأسماء التي تفتح آفاقا واسعة من المعرفة بالله إذا فهمها الإنسان ، وأدرك معناها ، وانفعلت بها نفسه ، واتخذها نبراسا ، فإنها تكشف له عن أكبر حقيقة من حقائق هذا الوجود (٢)

(١) رِوَاةُ الْحَاكِمِ

(٢) يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ لِبَعْضِ أَسْمَاءِ اللَّهِ خَوَاصَّ إِذَا وَاطَبَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ حَصَلَ لَهُ الْكَثِيرُ مِنَ الْخَيْرِ وَالْمَجَاطِبِ وَالْخَوَارِقِ وَهَذَا الظَّنُّ لَيْسَ لَهُ مَبْدَأٌ مِنَ الدِّينِ

الذات الإلهية

- استحالة إيراد الفات
- الطبيعة تؤكد وجود الخالق
- القطرة دليل وجود الله
- دالة الواقع والتجارب
- التأيد الإلهي
- شواهد النقل
- لا سند للإلحاد
- اعتراف العلماء المحدثين بوجود الله

إن حقيقة الذات الإلهية لا يمكن للعقل معرفتها ، ولا يستطيع إدراك كُنْهها ؛
لأنها لا تحيط بها الفكرة ، والإنسان لم يعط وسائل إدراكها بعد .

إن العقل البشرى مهما كان مبلغه من الذكاء وقوة الإدراك قاصر غاية القصور
وعاجز غاية العجز عن معرفة حقائق الأشياء .

فهو عاجز عن معرفة النفس الإنسانية ، ومعرفة النفس لا تزال من أعقد مسائل
شئ العلم والفلسفة .

وهو عاجز عن معرفة حقيقة الضوء ، والضوء من أظهر الأشياء وأوضحها .
وعاجز عن معرفة حقيقة المادة ، وحقيقة الذرات التى تتألف منها . والمادة ألصق
شئ بالإنسان .

ولا يزال العلم يقف عاجزا أمام كثير من حقائق الكون والطبيعة ، لا يستطيع
أبى يقول فيها الكلمة الأخيرة .

قال العلامة الفلكى المشهور (كاميل فلانريون) فى كتابه (القوى الطبيعية
المجهولة) :

« نرانا تفكر ، ولكن ما هو الفكر ؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا
السؤال . ونرانا نمشى ، ولكن ما هو العمل العضلى ؟ لا يعرف أحد ذلك أرى
أن إرادتى قوة غير مادية ، وأن جميع خصائص نفسى غير مادية أيضا ، ومع ذلك
فتى أردت أن أرغم ذراعى ، أرى أن إرادتى تحرك مادى ، فكيف يحدث ذلك ،
وما هو الوسيط الذى يتوسط للقوى العقلية فى إنتاج نتيجة مادية ؟

لا يوجد من يستطيع أن يبيننى عن هذا أيضا ، بل قل لى : كيف يتقل المصعب
للمبصرى صور الأشياء إلى العقل ؟ .

وقل لى : كيف يدرك العقل هذا ؟

وأيضاً مستفرد ١٠ وما هي طبيعة العقل الخلقى ؟ .

قولوا لي يا السادة (يريد المحققين) ... ولكن كفى كفى اقلنا أستطيع
أن أملككم عشر سنين ، ولا يستطيع أكره أنسى فهم أن يجب على آخر أستاذي ،
هنا كان موقف العقل حكماً حيال النفس والضمير والقدرة ، وعلى السكون والظهور
ونحو الظهور من الأشياء ، فكيف يتطوع إلى معرفة ذات الباري جل شأنه ، وبحلول
إحراك كنهها . . .

إن ذات الله أكرم من أن نعدو كما العقول ، أو نخطب بها الأحكام وما أحسن
قول المصطفى :

« لَا تُعَدُّ كَ الْأَبْصَرِ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ الْغَلِيبُ الْغَلِيبُ » (١)

المعبر عن معرفة حقيقة الأشياء لا يتقن وجودها

وقصور العقل ، ومجزء عن إحراك حقيقة الأشياء لا يتقن وجودها .
فمجزء عن إحراك حقيقة النفس لا يتقن أنها موجودة ، ومجزء عن إحراك حقيقة
الضمير لا يتقن وجود ضميرهم الآخر ، ومجزء عن إحراك كنه القدرة لا يتقن أن ثمة
قوات تتكون منها القدرة ، وهكذا سائر الأشياء التي يقصر العقل عن إحراك حقيقتها
ومعجز عن معرفة كنهها

ومثل ذلك تلك الإلهية إذا عجز الإنسان عن إحراك حقيقتها ، فليس معنى ذلك
أنها غير موجودة ، بل هي موجودة كأنهى ما يكون الوجود .

إن وجود سبحانه في حكم البدعيات الأولية ، والسمات العظيمة ، وما كان كذلك
لا يطلب بطلان دليل عليه ، إلا السكابر ، كلهمى لى يطلب بطلان دليل على
وجود الشمس أثناء النهار ، ومع ذلك فمن فسوق من الأمة ما يهدى إلى الحق
ويكشف عن وجه الصواب .

الطبيعة تؤكد وجود الخالق

إن وجود الله حقيقة لا شك في أسرها ، ولا مجال لإنكارها ، فهو ظاهر كالشمس
باهر كمنطق الصبح ، وكل ما في الكون شاهد على هذا الوجود الإلهي ،
ومواد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقاً ومدبراً .

فالعلم العلوي ، وما فيه من شمس وأقمار ونجوم وكواكب ، والعالم الأرضي
وما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، والترابط الوثيق ، والتوازن الدقيق ، الذي
يؤلف بين هذه العوالم ، وبحكم أسرها - ما هو إلا آية وجود الله ، ومظهر قوته
بالتخلق ، ولا يصور العقل أن توجد هذه الأشياء بدون موجد ، كما لا يصور أن
توجد الصنعة بدون صانع .

فلذا كان العقل يحيل أن تظهر طائرة في الهواء ، أو قنوس غواصة في الماء ،
دون أن يكون فيه صانع للطائرة ، ومنشئ للقنوس ، فإنه يجزم جزماً قاطعاً باستحالة
وجود هذا الكون البديع ، وهذه الطبيعة الجليلة من غير خالق خلقها ، ومدبر
دبر أسرها .

إن ثمة فروضاً ثلاثة يمكن أن نعرضها في تحليل الأصل الذي صدر عنه
الكون ، وليس ثمة فرض وراء هذه الفروض .

الفرض الأول : أن يكون صدور هذا الكون من العدم .

الفرض الثاني : أن تكون الصفة وحدها هي التي نشأ عنها هذا الكون
البديع .

الفرض الثالث : أن يكون ثمة موجد أوجد هذا الكون ، وأنشأه .

ولنخص في مناقشة كل فرض من هذه الفروض :

فالفرض الأول باطل من أساسه ؛ لأن السببات مرتبطة بأسبابها ، والنتائج مرهونة بمقدماتها .

ولا يتصور العقل أن يوجد معلول بدون علة ، ولا مسبب دون أن يسبق بسبب ، ولا نتيجة من غير أن يكون لها مقدمات .

فصدور الكون من العدم معناه وجود المعلوم بدون علة ، والمسبب دون سببه ، والنتيجة دون مقدماتها : أى أن الكون وجد من نفسه وصدر منقطعاً عن سببه . ووجود الأشياء من نفسها منقطعة عن أسبابها محال عقلاً وواقعاً ؛ لأن وجود الأشياء من نفسها مع اقطاعها عن أسبابها ترجيح لجانب الوجود على جانب العدم بدون مرجح ، وترجيح جانب الوجود على جانب العدم بدون مرجح محال . إننا إذا قلنا : إن الكون وجد من نفسه منقطعاً عن سببه كان ذلك مساوياً لقولنا : بأن العدم سبب الوجود .

وهذا غاية في البطلان ؛ لأن العدم لا يتصور أن يكون مصدراً للوجود ، ففقد الشيء لا يعطيه ، وهذا هو ما أشارت إليه الآية الكريمة .

« أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يوقِنُونَ » ^(١)

أى هل وجدوا من غير خالق ؟ أم خلقوا أنفسهم ، فلا يحتاجون إلى أحد يخلقهم ؟! وكل هذا مستحيل .

والفرض الثانى : وهو أعظم تهافتاً من الفرض الأول ، فإن الصدفة لا يمكن أن

ينبتق عنها هذا النظام ، ولا أن يصدر عنها هذا الإحكام ، فهل الصدفة هي التي خلقت الذكر والأنثى ، وألفت بينهما هذا التأليف الجليل ؟ وهل هي التي خلقت الأرض . وما فيها من إنسان وحيوان ونبات وجاد ؟ وهل الصدفة هي التي علقت الأرض في الهواء وسيرتها في مدارها الذي لم تنحرف عنه قيد شعرة منذ ملايين السنين ؟ وهل الصدفة هي التي سيرت الكواكب والنجوم مع ضخامتها وكثرتها بهذه السرعة للذهلة دون أن تتصادم ؟ وهل الصدفة هي التي أوجدت العناصر التي يتألف منها الكون ، وهي التي تُنْصَقُّ تنسيقاً دقيقاً صالحاً للاستمرار والدوام إلى المدى الذي أراد الله ؟

إن الذرة وهي أصغر الأشياء يحار العقل والعلم في تركيبها المحكم وتناسقها العجيب ، وتآلف أجزائها بعضها مع بعض ، فهل هذا التركيب والتأليف والتناسق صدفة ؟ لنستمع إلى كلمة العلم في الذرة :

« تتألف المادة من ذرات لا يمكن رؤيتها بأقوى المجاهر (الميكروسكوب) ولكن تصور حجم الذرة علينا أن نتصور أننا لو رسمنا مائة مليون ذرة جنباً إلى جنب لبلغ طولها بوصة تقريباً ، ومن ناحية أخرى يوجد في قطرة من مياه البحر خمسون مليون ذرة من الذهب .

وتتألف الذرة من نواة تدور حولها كهارب سلبية (الكثرونات) في أفلاك مستديرة ، وبين الاثنين فراغ يشبه الفراغ بين الكواكب والشمس من حيث النسبة بين الحجم والأبعاد .

• ويبلغ وزن أخف نواة ١٨٥٠ ضعف وزن الإلكترون ، ولو رصت عشرون ألف نواة جنباً إلى جنب لبلغ طول قطرها قطر الذرة ، أو بمقاييس أخرى نسبة النواة إلى الذرة كمراس الدبوس بالنسبة إلى منزل متوسط الحجم .

وتدور الألكترونات حول النواة في أفلاك كالأفلاك الكوكبية في تدور حول الشمس ، ولكن هذه الأفلاك أكثر حساسية وأقل تحديداً من أفلاك الكواكب ، ولأن المادة للثقة من القوى القوية مكثفة مع بعضها أى بدون الفراغ للوجود بين النواة والألكترونات لبلغ وزن قطعة هيدروجين في حجم القرشين حوالي ٤٠ مليون طن .

وتتألف النواة من كهارب موجبة (بروتونات) يساوي عددها عدد الكهارب السالبة (الألكترونات) التي تدور حول النواة - ويوجد إلى جوار البروتونات كهارب أخرى متعادلة الشحنة تسمى نيوترونات ، ولو استطعنا أن نخلخل من هذه الرابطة التي تربط بين البروتونات والنيوترونات ، أو بالأحرى لو استطعنا أن نهيئ السبل لمزج نيوترون واحد من مجموع النيوترونات التي تحيط بالبروتونات إذن لانطلقت طاقة كبرى كان إنشئين أول من بعدها بأنها تساوي الطاقة في صريع سرعة الضوء . مقدراً بالسنتي متر في الثانية . ١١)

فلذا انتقلنا من النواة ، ورفضنا رؤوسنا إلى الشمس رأينا العلم يقول :

« الشمس هي كرة متأججة بنار أشد وطيباً من كل نار على الأرض ، وهي أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة ، أما بعدها عنا ففصل ٩٢.٥٠٠.٠٠٠ ميل ، هذا وإنه لا نجمة ، وليست هي في عداد النجوم الكبرى .

وهناك مشكلة أخرى أعمى حلها النهائي عقول العلماء والفلكيين ، هي أن الشمس كما يؤخذ من علم طبقات الأرض لم تزل تشع نفس القدر أو نحوه من الحرارة مدة ملايين من السنين ، فإن كانت الحرارة الصادرة عنها نتيجة احتراقها ، فكيف لم تقن مادتها مع توالي العصور ؟ فلا شك أن طريقة الاحتراق الجارية فيها غير ما نعهد ونألف ، وإلا لكفاهها ٦٠٠٠ سنة لتعترق ، وتنفذ حرارتها .

(١) مستقبلنا الذري - تأليف إدوارد تيلر والبرت لانر - الطاقة الانشائية

« أما فصل الشمس علينا ، فليس أنها مصدر نورنا ولكنها قسط ، بل هي محور
نظامنا الشمسي ، ومصدر حياتنا أيضاً ، فهي التي تبخر مياه البحر ، وترفعها غيوماً
في الجو ، وتزولها أمطاراً على الأرض ، حيث تجري جداول وأنهاراً تروي زرعنا
وتسقي أغراسنا ، وتبخر الرياح ، وتهبج الأنواء ، فتلهم الهواء ونفثه ، وترجي
السمن والراكب في عباب المطر ، وهي التي تجر المركبات ، وتدير الآلات
البخرية ، وما اتهم المجرى بالأحرار نورها القديمة منذ قدم الأوطر ؛ لينضج بها
جو الصور الخائفة ، ولا حيلة لولا الشمس مليون ، ولا نبات ؛ فالحيوانات
تكتسح بحرلتها ، والأطير ترد بأنوارها ، وتصبح قبيحاً ، وبحرلتها وأنوارها
تخرج النباتات ، وتصور الأشجار ، وترعو الأوطر ، وتضج الأكلار ضمن مديون
الشمس بما كلفا وشربنا ، وهي على وجودنا على هذه الأرض » .

هكذا تجوزنا الشمس وجدنا أن :

- ١ « أقرب نجم إلينا بعد الشمس يبعد عنه ٣٦٠٠٠٠ مرة بعد الشمس عنا .
ويصور هذا شيئاً ضئيلاً جداً بالنسبة لبعوم النجوم التي أجمعها الفضاء . طريق
الحياة . بل تصور المجموعة الشمسية قوة إلنا ليست بالنجم ؛ إذ أنها تحوي على مائة
مليون نجم موزعة فيما يشبه القرص القرطع لرقق نيبا .
ويقول هيررت بيشرجوت مؤلف كتاب « الكون العلم » .
« إن الضوء يسافر في مائة ألف سنة ضوئية ليعمل بين طرق النجوم ، وطول
إن الضوء يسافر بسرعة ٣٠٠٠٠٠ ألف ميل في الثانية ، أو ٣٠٠٠٠٠ ألف كيلومتر .
وعلى هذا فإن السنة الضوئية تعادل عشرة ملايين مليون كيلومتر .
ولمست هذه النجوم التي تبعد هذا المقدار الضخم التي لا يتجرى العقل على
استيعابها إلا واحدة من كبريات لم يحصها الله .

وبقى أن نعرف أن أقرب مجرة لجزارتنا تبعد سبعمائة ألف سنة ضوئية^(١) .
أفبعد هذا يتصور العقل أن يكون ذلك ناشئاً بطريق الصدفة ؟
إن القول بالصدفة في خلق الكون لا يتصوره العقل ، ولا يقره العلم ، ولا يقوله
إنسان إلا إذا قد أخص خصائصه من الإدراك والتمييز .
قال الفيلسوف الألماني ادوارد هارتمان خليفة شوبنهاور في كتابه المذهب
الدروني : « إن رأى الذى مقتضاه عدم وجود القصد في الكون عند الداروينيين
لا يقوم عليه دليل ، وهو من الأوهام التى لا أساس لها من العلم » .

وقال الأستاذ فون باير الألماني في كتابه دحض مذهب دارون : « وإذا
كانوا يملنون الآن بصوت جهورى بأنه لا يوجد قصد في الطبيعة ، وأن الكون
لا تقوده إلا ضرورات عمياء ، فأنا أعتقد أن من واجباتى أن أعلن عقيدتى في ذلك
وهى أنى على العكس أرى جميع هذه الضرورات تكشف عن أغراض سامية »
قال الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رحمه الله بمد أن ذكر هذا الكلام الأخير :
« لو شئنا الاستئناس بمئات من أقطاب العلم والفلسفة على رأى عدم وجود القصد
في الخليفة لما كلفنا ذلك أكثر من النقل » .

ومتى ثبت وجود القصد في الكون ، فقد ثبت وجود المدبر الحكيم جل وعلا
من طريق محسوس لا سبيل للجدل فيه مصداقاً لقوله تعالى :
« أَلَيْسَ اللَّهُ شَآئِكُمْ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ »^(٢)

وإذا لم يصح الفرض الأول ، ولا الفرض الثانى ؛ لأنها خارجان عن دائرة العقل
والمنطق والعلم لم يبق إلا الفرض الثالث :

(١) قصة الكون من السديم الى الانسان من كتاب الطاقة الانسانية

(٢) سورة ابراهيم آية ١٠

وهو أن لهذا الكون خالقاً ومدبراً ، وهذا هو مقتضى العقل والمنطق السليم الذى دعا سقراط إلى الإيمان بالله ، وإحمام اريستوديم الذى يفكر الألوهية فى المحاورة التى نذكرها فيما يلى :

سقراط : أوجد رجال تعجب بمهارتهم وجمال صنائعهم ؟
إريستوديم : نعم أعجب فى الشعر القصصى بهوميير ، وفى التصوير بزوكيس ، وفى صناعة التماثيل بيوليكتيت .

سقراط : أى الصناعات أولى بالإعجاب ، الذى يخلق صوراً بلا عقل ولا حراك أم الذى يبدع كائنات ذات عقل وحياة ؟
إريستوديم : طبعاً الذى يبدع الكائنات المتمتعّة بالعقل والحياة إذا لم تكن من نتائج الاتفاق .

سقراط : وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تُعطى الأعضاء لمقاصد وغايات خاصة ، عين ترى ، وأذن تسمع ، وأنف يشم ، ولسان يتذوق ، والمين تحاط بحراسة لحاسبتها وضعفها ، فتقل عند النوم ، أو عند الحاجة ، وتحرس بآرموش والحواجب ، ويحمل للأذن جهاز خارجى يجمع لها الصوت ، وهل يمكن أن يكون كل ذلك من نتائج الاتفاق ؟ .

والليل المودع فى النفوس للتناسل ، والحنان المخلوق فى قلوب الأمهات بالنسبة للأولاد ، مع ندرة أن ينفع ولد أباه أو أمه ، والطفل الذى يلهم الرضاعة بمنجرد ولادة .

هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الاتفاق ؟

ليرى عودهم : لا ، إن ذلك يدل على الإبداع وعلى أن المطلق عظيم بحسب المكان
الى ، ولكن لماذا لا ترى المطلق ؟

سفرنا : وانت أيضاً لا ترى روحك التي تسلط على أعضائك ، فهل معنى
هذان قول إن أعضائك ملوثة عن اتصالك وملون بجلالك ؟

وملأ الله العظيم الذي يقول :

« وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْخَلِيقَ إِن كُنتُمْ إِلَهِاءَ مُقْبِلُونَ » (١)

لقطرة طيل وجود الله

والكون ومقتبه من نظام ، واحكام ، وجلال ، وكمال ، وعظمة ، وإبداع ، ليس
هو وحده المتناهي الوحيد على وجود قديم السموات والأرض ؛ وإنما هناك شاهد آخر ،
وهو السواد القروس في نفس الإنسانية بوجوده سبحانه ، وهو شعور ظرى ظر
الله الخاس عليه ، وهو الشعور بالضرورة العجيبة ، وهو الشعور بالإنسان عن الحيوان ،
وقد يتقو هذا الشعور بسبب ما من الأسباب ، فلا ينفك ولا يتغير يمت على
يكنه من ألم جيل ، أو ضرر محيط ، وإلى هنا تنو الآية الكريمة :

« وَإِنَّمَا مِنَ الْإِنْسَانِ أَكْثَرٌ دَمَنًا لِّجَنِّهِ لَوْ قَالُوا لَوْ قَالُوا قَالُوا كَفَرًا
عَنْ شَرِّهِمْ كَرَّ كَرَّ لَمْ يَشْكُرُوا لِرَبِّهِمْ » (٢)

(١) سورة فصلت آية ٣٢

(٢) سورة يونس آية ١٢

دلالة الواقع والتجارب

وإذا كان النظر العقلي في الكون وأسراره يهدي إلى الباري جل شأنه ، وإذا كان الشعور القطري شعوراً أصيلاً في النفس الإنسانية ، يتوغل فيه العالم والمجمل ، والمخضري والبسدي ، والرجال والنساء ، والأولون والآخرين ، فإن ثمة دليلاً آخر مأخوذاً من واقع الإنسان وتجاربه ، فكلمة الإنسان ربه ، فأجاب دعاءه وكلم ناداه ، قلبى ندائه ، وكلم سأله فأعطاه ، وكلم توكّل عليه فكفاه ، وكلم من مرض شفاه منه ، وكلم من ألم خففه عنه ، وكلم من رزق ساقه إليه ، وكلم من كربة فرجها ، وكلم من غمة كشفها .

إن تجارب الإنسان في الحياة تأخذ بيده ، وتوصله إلى الله مباشرة ؛ لأنها تكشف له عن الحقيقة التي لم يستطع أن يلمسها بحواسه والتي تدبر الكون ، وتسيره وفق نظام محكم وقانون مُطَرَّد ، وما من إنسان إلا وقد وقع له في حياته من التجارب ما عرفه بالله ، وهدهد إليه ، وأوقفه عليه .

فكثيراً ما يفقد الإنسان جميع الأسباب للحادثة التي تجلب الخير له ، أو تدفع الشر عنه ، فإذا توجه بقلبه إلى رب كل شيء ، ومليكه تحقق له من الخير ما يصبو إليه ، واندفع عنه من الشر ما يخاف منه دون سبب ظاهر ، أو تعليل مقول فبماذا تفسر هذه الظواهر ؟

وهل لها تفسير سوى أن من ورائها رب الأرباب ومسبب الأسباب .

التأييد الإلهي :

ومن دلائل الوجود الإلهي أن المؤمنين بالله إيماناً حقيقياً أهل من غيرهم علماً وأكثر أدباً ، وأزكى نفساً ، وأطيب قلباً ، وأكثر نفعية ، وأعظم إيثارة ، وأنفع الناس للناس ،

فوالذى غير طبايعهم ونمرازم وميولهم ، ووجهها وجهة الحق والخير والجمال والكمال ؟
لماذا لم يكونوا مثل غيرهم ممن لا يؤمنون بالله من غلظ الجهل ، وجفاء
الطبع ، وخبث النفس ، وظلمة القلب ، وفساد الخلق ، وحيوانية في المطالب
والمسآرب ؟ لا بد وأن يكون وراء ذلك سر .

وهل فيه سر غير أن المؤمنين بالله يمدم بالقوى التى تصحح إنسانيتهم ليصلوا
إلى أقصى ما قدر لهم من كمال ، فهذا التغير في نفوس المؤمنين وصفاتهم وأخلاقهم
وميولهم أدل دليل على وجود قوى روحية خفية تعمل عمالها في صمت ، وتظهر
آثارها جليلة في سلوك المؤمنين بها ، الواصلين حبالم بحبالها .

شواهد النقل

ومما يستشهد به على الوجود الإلهي الحقيق أن المصطفين من العباد ، والأخيار
من الناس ، نادوا في الناس من عهد آدم إلى عهد محمد ، عليهم صلوات الله وسلامه ،
بأن لهذا الكون إلها حكيا ، وأجمعوا على ذلك .

وقد قامت الشواهد على صدقهم من تأييد الله لهم ، وكبت أعدائهم ، وجعل كلمة
الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فأى دليل أبان من قول الصادقين مع الله
والمخلصين له ، والداعين إليه ، والمتفانين فيه ، والمؤيدين به .

لا سند للالحاح

وأخيراً نقرر أنه لم يثبت من ناحية العقل ، ولا من ناحية العلم أى دليل يمكن
الاستناد إليه في نفي وجود الله ، وكل ما ذكره الملحدون ما هو إلا وهم لا يستند
إلى منطق سليم ، ولا علم مكين .

وليس هذا الإلحاد بجديد على الناس ، ولا هو من مبتكرات هذا العصر ، وإنما
هو قديم ، وقديم جداً ، قاومه الأنبياء عبر الأجيال والمصور . يقول القرآن الكريم .

« وَقُولُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ » (١).

فهل ثمة فارق بين ما قاله الأولون في عصر الجاهلية ، وبين ما يقوله الآخرون في العصر الذي يتحدثون عنه بأنه عصر النور والعرفان ؟

على أن العصر الذي بلغ فيه العلم شأواً لم يصل إليه من قبل ، لم يستطع أن ينكر وجود الله ، بل إن علماء من أشد الناس إيماناً بالله ، ولا نريد بالعلماء السطحين من أدعياء العلم ، وإنما نقصد العلماء الحقيقيين .

ومما يؤيد هذا الذي نقوله مانشره الدكتور دينرت Denret من بحث حلال فيه الآراء الفلسفية لأكابر العلماء بقصد أن يعرف عقائدهم ، فتبين له من دراسة ٢٩٠ عالماً ، أنهم بالنسبة للمقيدة الدينية كما يلي :

٢٤٢ من هؤلاء أعلنوا إيمانهم الكامل بالله .

٢٨ لم يصلوا إلى عقيدة .

٢٠ لم يهتموا بالتفكير الديني (٢) .

وهكذا نجد أغلبية ساحقة تزيد عن ٩٠ ٪ يعلنون إيمانهم بالله عن طريق أبحاثهم العلمية ، ونجد من سوام لا يزالون في تردد ، أو لم يهتموا بالمقيدة الدينية في أبحاثهم ، وأغلب الظن أن المترددين سيصلون يوماً ، وأن الآخرين الذين لم يهدم العلم لساحة الله يمانون نقصاً ، لو تخلصوا منه لوصلوا .

ونحن هذا للبحث عن الدليل العقلي على وجود الله بأقوال مشاهير العلماء :
يقول هرشل العالم الفلكي الإنجليزي : كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين

(١) سورة الجاثية آية ٢٤

(٢) نقلاً عن مجلة الأزهر المجلد ٢٩ عن كتاب الاسلام للدكتور أحمد

شلبى

الهامنة القوية على وجود خالق أزلى لا حد لقدرة ولا نهاية ، فالجيولوجيون
والرياضيون والفلكيون والطبييون قد تماهوا ، وتضافتوا على تشييد صرح العلم
وهو صرح عظمة الله وحده^(١).

ويقول الدكتور وتز الكياوى الفرنسى : إذا أحسست فى حين من الأحيان
أن حقيقتى بالله قد ترعزعت وجهت وجهى إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها^(٢) .
ويقول فولتير ساخراً : « لم تشككون فى الله ، ولولاه لخافتنى زوجتى
وسرقنى خلدى » ١١

(١) دائرة معارف فوجدى ، مادة اله ج ١ ص ٥٠٣

(٢) مجلة الأزهر المجلد ١٩

صفات الله

- . الصفات الدالية
- . الصفات الحيوية
- . صفات القات والأصل
- . صفات الله أعلام ملوية

والله سبحانه الموجد للكون له الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، التي هي من مقتضيات كمال ربوبيته وعظمة ألوهيته .

وهذه الصفات قد تفرد بها الخالق ، فلا يشاركه فيها شريك ؛ لأنه وحده هو الرب والإله ، فلا رب غيره ، ولا إله إلا الله .
وهذه الصفات منها صفات سلبية^(١) ، ومنها صفات ثبوتية .

الصفات السلبية

أما الصفات السلبية فهي :

الأول والآخر

فالله سبحانه هو الأول : ومعنى أوليته : أنه سبحانه لا أول لوجوده ، وأن وجوده غير مسبوق بدم .

وأنه هو الآخر : ومعنى آخريته : أنه سبحانه لا آخر لوجوده ، وأنه باق إلى مالا نهاية ، فهو سبحانه أزلي وأبدى . لا يسبقه عدم ، ولا يلحقه فناء ؛ لأنه واجب الوجود ؛ يقول الله سبحانه :

« هُوَ الْأَوَّلُ^(٢) وَالْآخِرُ^(٣) وَالظَّاهِرُ^(٤) وَالْبَاطِنُ^(٥) وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(٦) »

ويقول :

« كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ^(٧) »

-
- (١) هي التي سلبت عن الله ما لا يليق بكماله .
 - (٢) الأول : السابق في الوجود كل الموجودات من غير سبق العدم .
 - (٣) الآخر : الباقي بعد فناء الموجودات .
 - (٤) الظاهر : بآثاره الدالة على وجوده .
 - (٥) الباطن : هو الذي لا تدركه الحواس ولا تحيط به العقول .
 - (٦) سورة الحديد آية ٣
 - (٧) سورة القصص آية ٨٨

ويقول :

« كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْعَرْشِ وَالْإِكْرَامُ »^(١)

وروى البخاري والبيهقي عن عمران بن الحصين قال :

« إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء قوم من بني نعيم قالوا : يا أبا الهيثم^(٢) ، يا بني نعيم ، قالوا : بشرنا ما نعلم ، فدخل ناس من أهل اليمن قال : يا أبا الهيثم ، يا أهل اليمن ، إذ لم يبق لنا بنو نعيم . قالوا : قلنا . جئنا لنعلم في الدين ، فسلمنا من أول هذا الأمر ما كنا ؟

قال : كلن الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الله ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في ذلك كرامات^(٣) . »

وقد ذكر هو خلق المخلوقات وهو خلق عظيم من خلق الله ، سجل الله فيه جميع السموات التي قدما ، أو هو عبارة عن علم الله للخلق بآثار الموجودات : كلياتها وجزيئها ، صغيرها وكبيرها .

ومضى قوله ، وكان عرشه على الله : لأن العرش في جهة الله ، والله تعالى في جهة القبلة ، وليس منه أنه ملاصق لله محمول عليه . كما يقال السلام على الأرض . أي إليها فترى من ملاصقتها لها .

بما خلق في رأي عليه الفرح

ويظهر من الأحاديث أن العرش هو أول المخلوقات الخلقية ، وكان الله هو أول المخلوقات الخلقية ، وأنه خلق قبل العرش كأدوله أحد والآخر .

وبعد خلق العرش والله خلق الله السموات والأرض .

(١) سورة الرحمن آية ٢٨-٢٩

(٢) البخاري : عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

ويظهر أيضاً من الحديث الصحيح الذي رواه أحد الترمذى أن أول المخلوقات
للنورية القلم ، فقد رواه عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له اكتب ، ففسرى بما هو كائن إلى
يوم القيمة » .

وأما ما روى من أن أول المخلوقات الطل ، فلم يثبت هذا الحديث ، وكذلك
حديث « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر » .

وليس ثمة دليل يمكن التمسك به في أصل الكائنات من جهة الشرع .
بدء الخلق في رأى علماء الفلك وطبقات الأرض

وعلماء الفلك وطبقات الأرض يعتقدون مع علماء الشرع في أن الكون حدث ،
وتطور بعد أن لم يكن ، ولكنهم يختلفون في بداية هذا الحدث وتطوره ،
فالشرع لا يتحدث عن ذلك ، بينما يقولون كما جاء في كتاب تاريخ الأرض
« لجورج جامبو » ، إن الكون بدأ تطوره منذ مليون مليون سنة . أما الأرض فقد
نشأت حديثاً جداً إذ لم توجد إلا منذ مليونين من السنين فقط ، وظهرت الحياة على
الأرض منذ مليون سنة . والحياة البرمائية منذ ٢٠٠ مليون سنة . أما الحيوانات
التي يعتبر الإنسان أحدها ، فقد بدأ ظهورها على الأرض منذ ١٢٠
مليون سنة .

والإنسان هو أحدث الراقدين على الأرض إذ بدأ على صورته الإنسانية منذ
٥٠ مليون سنة .

والله أعلم بحقيقة ذلك .

ولابدح أن يقال : إن الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ لأن هذا السؤال خطأ ؛ لأن

الخالق لا يكون مخلوقاً ؛ لأنه لو كان مخلوقاً لاحتاج إلى خالق ، وهكذا إلى ما لا نهاية وعقولنا القاصرة لا تدرك حقيقة نفسها ، فكيف بحقيقة الذات الإلهية وقد نهينا أن نبحث فيها ، ففي حديث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خالق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله » (١) .

وقد كتب أحد العلماء الباحثين جواباً عن هذا السؤال موضعاً له بمثال ، فقال : إذا وضعت كتاباً على مكتبك ، ثم خرجت من الحجرة ، وعدت إليها بعد قليل ، فرأيت الكتاب الذى تركته على المكتب موضوعاً على الدرج ، فإنك تعتقد تماماً أن أحداً لا بد أن يكون قد وضعه فى الدرج ، لأنك تعلم من صفات هذا الكتاب أنه لا ينتقل بنفسه . احفظ هذه النقطة ، وانتقل معى إلى نقطة أخرى . لو كان معك فى حجرة مكتبك شخص جالس على الكرسي ، ثم خرجت ، وعدت إلى الحجرة ، فرأيت جالساً على البساط مثلاً ، فإنك لا تسأل عن سبب انتقاله ، ولا تعتقد أن أحداً نقله من موضعه ؛ لأنك تعلم من صفات هذا الشخص أنه ينتقل بنفسه ، ولا يحتاج إلى من ينقله .

احفظ هذه النقطة الثانية ، ثم اسمع ما أقول لك :

لما كانت هذه المخلوقات ، محدثة ونحن نعلم من طبائنها وصفاتها أنها لا توجد بذاتها ، بل لابد لها من موجد ، عرفنا أن موجدنا هو الله تبارك وتعالى ، ولما كان كمال الألوهية يقتضى عدم احتياج الإله إلى غيره ، بل إن من صفاته قيامه بنفسه ، عرفنا أن الله تبارك وتعالى موجود بذاته وغير محتاج إلى من يوجدّه .

وإذا وضعتَ النقطتين السابقتين إلى جانب هذا الكلام ، اتضح لك هذا المقام ،
والعقل البشرى أقصر من أن يتورط في أكثر من ذلك .

ليس كمثله شيء

والله سبحانه لا يماثله شيء ، ولا يماثل شيئاً ، فكل ما خطر ببالك ، فهو
بخلاف ذلك ، يقول الله سبحانه :

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » (١) .

ومماثلة غير الله له في بعض الصفات إنما هي من حيث التسمية ، لا من حيث
الحقيقة ، فإذا قيل : إن فلاناً عالمٌ وحىٌّ وموجود وقادر وحكيم ورحيم ، فهو من حيث
الظاهر فقط ، ومع ذلك فإن وجود العلم والحياة ، والقدرة والحكمة والرحمة في الله
كاملة غاية الكمال ، ووجودها في الأفراد ناقصة غاية النقص بالإضافة إلى الله
جل شأنه .

« وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (٢) .

إن الإنسان خلق ضعيفاً والله قوى عزيز .
والإنسان خلق فقيراً والله غنى حميد .

والإنسان والد ومولود ، والله لم يلد ولم يولد
والإنسان ناسى ، والله لا ينسى ولا ينسى
والإنسان ناقص ، والله هو الكمال المطلق
والإنسان محكوم عليه بالموت ، والله حيٌّ لا يموت

(١) سورة الشورى آية ١١ .

(٢) سورة النحل آية ٦٠ .

يقول سبحانه :

وَاللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (١)

آية رقم :

١ - أن الله واحد في ألوهيته لا يبد منه غيره ؛ لأنه هو المولى التام الحية والقيوم الذي قامت به السموات والأرض

٢ - وأنه مقدس من عظمة غيره من الأحياء ، فلا يأخذه نوم ولا سنة ولا تهور بسبق الحرم .

٣ - وأن الكون كله : أرض وسموات مملوك له ، وأن كل ما فيه ومن فيه خاضع له لا يخرج عن تقديره وتديره .

٤ - وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وشيئته .

٥ - وأن علمه محيط بكل شيء : للماضي والحاضر والمستقبل .

٦ - ولا يدرك أحد شيئاً من علمه إلا بالتقدير الذي يشقوه .

٧ - وأن كرسيه وسع السموات والأرض .

٨ - وأنه لا يقفه حفظها وهو العلى العظيم .

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم صِفْ لِنَارِكَ ؟ فَأَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :

وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ^(١) ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ^(٢) .

أى لم يكن له عائل ولا مكفى .

وما ورد في آيات الكريمة والسنة الطاهرة عما يوم يظهره مشبهة الله خلقه في بعض صفاتهم ، فؤمن به بدون تشبيه ، ولا تحيل ، ولا تعطيل ، ويسمى ما يبع السلف ، رضى الله عنهم وأرضاهم .

وأحسن ما يقال في ذلك ما قاله الإمام الشافعى :

« آمنت بكلام الله على مراد الله ، وبكلام رسول الله على مراد رسول الله » .

الأحد

وهو سبحانه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله .

ووحدة الذات : معناها أن ذاته ليست مركبة من أجزاء ، وأنه لا شريك له في ملكه .

« سُبْحَانَكَ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » ^(٣)

ووحدة الصفات : معناها : أنه ليس لأحد صفة تشبه صفة من صفاته .

ووحدة الأفعال : معناها : أنه ليس لأحد غيره فعل من الأفعال ، فكل خلق كل

شيء ، ومبدع كل شيء ، فهو سبحانه مستقل بالإيجاد والإبداع .

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » .

فأحد أى أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، وأن جميع الأمور إليه وكل

شيء في قبضته .

(١) سورة الاخلاص : الصمد هو المقصود في الخواص

(٢) سورة الزمر آية ٤

وهو الصمد أى النقى الذى يقصده الناس فى حوائجهم .

لم (يلد) لم ينبثق عنه ولد فهو كامل غاية الكمال .

(ولم يولد) لم ينبثق عن غيره ؛ لأنه لا أول لوجوده (ولم يكن له كفواً أحد) ،
لم يكن له أحد يساويه ، ويمثله .

ولو وجد مع الله شريك له فى الآيته لبطل نظام هذا الكون المعجيب :

« لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » (١) .

أى لَوْ كَانَ فى السموات والأرض آلهة تدبر أمراً غير الخالق لهما لاختل نظامهما لتتعارف الشرفين عليهما ؛ لأن كل واحد يريد أن يكون هو المتصرف .
وهذا كقوله :

« مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْنُ لَذَهَبَ كُلُّ
إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ » (٢) .
وقد تضمنت الآية :

١ — أن الله سبحانه لم يتخذ ولداً لاستلزام انفصال الولد عن أبيه ، وذلك
يقتضى التركيب المحال على الله ، ولأن الولد يجانس أباه ، ويمثله ، والله ليس كمثل شئ .
٢ — والله لا يبنى أن يكون معه من إله ؛ لأنه لو كان معه إله يشاركه فى

الألوهية ، ويخلق معه لذهب كل واحد بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض .
أى غالب بعضهم بعضاً ليوسع ملكه ، ولو حصل هذا لفسد نظام العالم .
ولو كان معه آلهة كما يزعم المشركون لطلبوا مغالبة الله ومزاحمة ذى الجلال
« قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّقُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ
سَبِيلًا ، سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا » (٣) .

(٢) سورة المؤمنون آية ٩١

(١) سورة الانبياء آية ٢٢

(٣) سورة الاسراء آية ٤٣

الثالوث عقيدة وثنية

عقيدة النصارى أساسها الثالوث الأقدس : أى المركب من ثلاثة أقانيم ^(١) هى :
الآب ، والابن ، وروح القدس ، وهى جواهر ثلاثة ، وكل جوهر منها مستقل عن
الآخر .

والثلاثة مع ذلك إله واحد :

قال أحد النصارى :

فهو الإله ابن الإله وروحه فثلاثة هى واحد لم تقسم
والتثليث ليس خاصاً بالنصارى ، جاء فى دائرة معارف القرن التاسع عشر
الفرنسية قولها فى تحديد لفظة ثالوث ^(٢) .

« إنه اتحاد ثلاثة أشخاص متميزة مكونة لإله واحد فى عقيدة الديانة النصرانية
وبعض الديانات الأخرى ، فيقال مثلاً : الثالوث النصرانى ، والثالوث الهندى » انتهى .
قال المرحوم العلامة الأستاذ فريد وجدى :

« نعم كان الثالوث موجوداً فى ديانة قدماء المصريين بانسبة لآلهتهم الوطنية ،
وقد اندثرت تلك الديانة الآن .

« والثالوث الهندى موجود للآن لدى الملايين من الناس فى الهند والصين ،
وهو أن البراهمة يعتقدون : أن الخالق تجسد أولاً فى « برهما » ثم فى « فيشنو » ثم فى
« سيفا » ، ويصورونهم ملتصقين إشارة إلى هذا التجسد الثلاثى .

ويعتقد البوذيون أن الإله فيشنو الذى هو أحد أركان الثالوث الهندى تجسد
مراراً عديدة لتخليص العالم من الشرور والذنوب ، وكان تجسده فى بوذا للمرة
التاسعة » انتهى .

(١) أى أصول .

هذه العقيدة هي في حقيقة أمرها وثيقة ، وأنها دخيلة على دين الله ، فلهذا منزه
عن أن يشبهه شيء ، أو يشبهه هو شيئاً آخر .
« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » .
وقداه فوق متلول القول :

« لَا تَتَّخِذْ الْأُبْصَارَ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْغَلِيبُ الْخَبِيرُ » ^(١) .
ولا يجوز أن تتركب ذاته للخدمة من أجزاء ، أو تصعد بالأشياء ، أو تعمل في
خلق من المخلوقات :

« بَلِّغْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا » ^(٢) .
وعقيدة التوحيد والتفريزه هي عقيدة جميع الأنبياء والرسل ، حتى السيد المسيح
نفسه ، والذين يزعمون غير هذا من المصلين لا برهان لهم من العقل ، ولا سند لهم
من النقل ، وإنما هي تخون وأوهام طرأت عليهم من الهذيان الموثقة القديمة ، قالت
دائرة سلف القرن التاسع عشر عند كلمة ثلاث :

« إن عقيدة الثلاث ، وإن لم تكن موجودة في العهد الجديد الإنجيل ولا في
أعمال الآباء لرسلين ، ولا في تلاميذهم الأقربين ، إلا أن الكنيسة
الكاثوليكية ، وللذهب البروتستنتي ، الواقف مع التقليد يزعمون أن عقيدة
الثلث كانت مقبولة عند السحيين في كل زمان و زماناً من أمة التاريخ التي يرينا
كيف ظهرت هذه العقيدة ، وكيف نمت ، وكيف عُلِّقَتْ بها الكنيسة بعد ذلك .
فهم إن السعة في التصيد كانت أن يذكر عليه اسم الآب ، والابن ، والروح القدس ،
ولكننا سنريك أن هذه الكلمات الثلاث كن لها مدلولات غير ما يفهمه عوامنا
الآن مصلين اليوم .

وإن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه ، وسموا قوله ، كانوا أبداً للناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لقات الخالق .

وما كان بطرس أحد حواريه يعتبره إلا رجلاً موسى إليه من عند الله . أما أولس فإنه خالف عقيدة التلاميذ الآخرين ليسى ، وقال : إن المسيح أرقى من إنسان ، وهو نموذج إنسان جديد ، أى عقل سام متولد من الله ، وكان موجوداً قبل أن يوجد هذا العالم ، وقد تجدد هنا لتخليص الناس ، ولكنه مع ذلك تابع للإله الأب .

ثم قالت دائرة المعارف بعد ذلك : كان الشأن في تلك الصور أن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود للتصيرن .

فلئن الناصريين^(١) ، والإيمويين ، وجميع الفرق النصرانية التي تكونت من اليهودية ، اعتقدت بأن عيسى إنسان محض ، مؤيد بروح القدس ، وما كان أحد إذ ذاك يتهمهم بأنهم مبتعدون أو ملعونون .

قال جوستين مارشير^(٢) :

« إنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح ، ويعتبرونه إنساناً محضاً ، وإن كان أرقى من غيره من الناس ، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل » انتهى كلام دائرة المعارف الفرنسية^(٣) .

إن بطلان عقيدة التثليث واضح وضح الشمس ، ومع ذلك لأدرى كيف يعرضون على ما هو باطل ، ويتمصنون له تصباً أعى ، دون سند من التاريخ ، أو حجة من المنطق .

(١) سكان مدينة الناصرة التي تسمى بها الناصري

(٢) مؤرخ لاتيني في القرن الثاني (٣) من كتب « كنز العلوم واللغة »

« فَأَيْنَهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » ^(١) ،
« وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَالَهُ مِنْ نُورٍ » ^(٢) .

ومن المحاورات الطريفة :

أن بعض المسلمين قال لأحد القسوس : إن بعض الناس أخبرني أن رئيس
الملائكة قدم مات ، فقال له القريس : إن ذلك كذب ، لأن الملائكة خالدون
لا يموتون ، فقال له المسلم : وكيف ؟ وأنت تقول الآن في وعظك : إن الإله
قدم مات على خشبة الصليب ، فكيف يموت الإله وتخلد الملائكة ، فبهت القسيس
ولم ينطق بكلمة ، أو ينبس ببنت شفة .

وقال أحد شعراء المسلمين :

عجبا للمسيح بين النصارى	وإلى الله والدا نبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا	لأنهم بعد قتله صابوه
فلئن كان ما يقولون حقا	فلوهم فأين كان أبوه
فإن كان راضيا بأذاهم	فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإذا كان ساخطا غير راض	فاعبدوهم لأنهم غلبوه

ومن أحسن ما قيل في ذلك ، قول البوصيرى في قصيدته :

جاء المسيح من الإله رسولا	فأبى أقل العالمين عقولا
أسمعتم أن الإله بحاجة	بقناول المشروب والمأكولا ؟
وينام من تعب ويدعو ربه	ويروم من حر الهجير مقيلا
ويمس الألم الذى لم يستطع	صرفا له عنه ولا تحويلا
يأليت شعرى حين مات بزعمهم	من كان بالتدبير عنه كفبلا

(١) سورة الحج آية ٤٦

(٢) سورة النور آية ٤٠

زعموا الإله فدّى العبيد بنفسه وأراه كان القاتل المقتولا
أيجوز قول مُنَزَّهٌ لإلهه سبحانه قاتل نفسه فأقولوا
أوجل من جعل اليهود بزعمكم شك القتاد رأسه إكليلا
ومضى لحبل صليبه مستسلماً للموت مكتوف اليدين ذليلاً
ضلَّ النصراني في المسيح وأقسموا لا يهتدون إلى الرشد سبيلاً
جعلوا الثلاثة واحداً ولو اهتمدوا لم يحملوا العدد الكثير قليلاً
وإذا أراد الله فتنة معشر وأضلهم رأوا القبيح جميلاً

الصفات الثبوتية

ما تقدم من الصفات كان صفات سلبية أما الصفات الثبوتية فهي :

القدرة

وهو سبحانه قادر لا يمجزه شيء ، وصدور هذا الكون ما هو إلا مظهر من
مظاهر قدرته وعظمته ، وقدرته سبحانه صالحة في كل وقت لإيجاد كل ممكن
وإعدامه ..

والتأمل اليسير في السموات والأرض ، والليل والنهار ، والحياة والموت ،
وما يجري من شئون في كل لحظة ، يهدي إلى معرفة القدرة الباهرة . يقول سبحانه :
« وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ » (١) .

ويقول :

« وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (٢)

(١) سورة ق آية ٣٨ - واللغوب التعب

(٢) سورة المؤمنون آية ٨٠

ويقول :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي ^(١) سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ ^(٢) بَيْنَهُ ، ثُمَّ يُجْمِلُهُ رُكَامًا ^(٣) فَتَرَى الْوَدْقَ ^(٤) يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا ^(٥) بَرْقُهُ يَذْهَبُ ^(٦) بِالْأَبْصَارِ يُلْقِي اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَمِيزَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ، وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ^(٧)

الإرادة ^(٨)

والله سبحانه يريد : أى أنه يخصص الشيء للممكن ببعض ما يجوز عليه ، فيجمله طويلا أو قصيرا ، حسنا أو قبيحا ، عالما أو جاهلا ، في هذا المكان ، أو في غيره ، وهو سبحانه له أن يتصرف في الكون حسب مشيئته وإرادته وحكمته .
« إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » ^(٩) ،

(١) يزجي : يسوق (٢) يؤلف بينه : يجمعه ليتكف ويتصل بمضه ببعض

(٣) ركاما : مجتمعا يركب بمضه بعضا (٤) الودق : المطر

(٥) سنا : اللسان

(٦) يذهب : يخطف .

(٧) سورة النور الآيات ٤٣-٤٥

(٨) ليس معنى الإرادة هنا الرغبة أو الميل ، وإنما لها معنى خاص

(٩) سورة النحل آية ٤٠

« وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى
هَما يُشْرِكُونَ »^(١).

« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »^(٢).
« اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِمَّا نًا وَيَهَبُ
لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكُورَ أَوْ يَزُوجَهُمْ ذُرِّيًّا أَوْ إِمَّا نًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ
عَلِيمٌ قَدِيرٌ »^(٣).

« يُرِيدُ اللَّهُ لِيُظْهِرَ كُمْ وَإِيْتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »^(٤)
« يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ »، « وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ
وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا »^(٥).

العلم

والله عالم بكل شيء ، وقد أحاط بكل شيء علماً ، سواء منها المعلومات الماضية
أو الحاضرة ، أو المستقبلية .

وعلم الله لم يسبق بهل ، ولا يمتريه نسيان ، ولا يتقيد علمه بزمان ولا مكان .
وعلمه بالكلية كمله بالجزئيات ، وما يبدو في الكون من نظام وإتقان وإحكام
ما هو إلا برهان ساطع على شمول علمه وكال حكمته .

(١) سورة القصص آية ٦٨ (٢) سورة آل عمران آية ٢٦

(٣) سورة الشورى آية ٥٠، ٤٩ (٤) سورة المائدة آية ٦

(٥) سورة النساء الآيات ٢٦ ، ٢٧

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (١) .

« وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » (٢) .

« وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالٍ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » (٣) .

الحياة

والله سبحانه هو الحى ، والحياة هى الصفة التى تصحح لموصوفها الاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر ، فلو لم يكن حياً ما ثبتت له هذه الصفات .
وحياة الله حياة كاملة ليس ثم أكل منها ، لا يكتنه كنهها ، ولا تعلم حقيقتها كسائر صفاته .

وحياته لا يلحقها عدم ، ولا يقضى عليها بالانقضاء والفناء .

(١) سورة المجادلة آية ٧

(٢) سورة الانعام آية ٥٩

(٣) سورة يونس آية ٦١

« والعالم لا يمكن أن يصدر إلا من حي .
 « وتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ »^(١) .
 « هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاعْبُدُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ »^(٢) .
 « وَعَنْتِ الرَّجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ »^(٣) .

الكلام

والله سبحانه متكلم ، وكلامه ليس بحرف ولا صوت ، وقد أثبت الله هذه
 الصفة لنفسه ، وأنه كلم موسى فقال :
 « وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا »^(٤) .
 وقال :
 « وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ »^(٥) .
 وأنه يكلم أنبياءه .
 « وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا »^(٦) .
 وأن كلماته لا حصر لها .
 « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ
 رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِبِئْثَلٍ مِدَادًا »^(٧) .

- | | |
|-------------------------|--------------------------|
| (٢) سورة غافر آية ٦٥ | (١) سورة الفرقان آية ٥٨ |
| (٤) سورة النساء آية ١٦٤ | (٣) سورة طه آية ١١١ |
| (٦) سورة الشورى آية ٥١ | (٥) سورة الأعراف آية ١٤٣ |
| | (٧) سورة الكهف آية ١٠٩ |

« وَتَوَّانَ مَافِ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ^(١) » .

وهذه الصفة من صفات الله التي أثبتتها لنفسه ، فنؤمن بها ، ولا نبحت عن حقيقتها ؛ لأنها كغيرها من الصفات الإلهية التي لا يمكن الوصول إلى العلم بمخاطبها .

السمع والبصر

والله سبحانه سميع يسمع كل شيء ، حتى إنه يسمع ديب النملة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة الظلماء ، دون أن يشغله سماعه جماعة عن سماعه جماعة آخرين ، ودون أن يشتبه عليه لغة ، أو يؤثر عليه ضجيج ، أو يشوش عليه مشوش ، وهو سبحانه لا يسمع بمجاجة ، ولا بآلة ولا بأذن ، ولا بصماخ .
وقد شكت إحدى النساء زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذت تجادله ، فأنزل الله سبحانه .

« قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ حَاسِبٌ كَمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ^(٢) » .

وكما أن الله يسمع كل شيء ، فهو يرى كل شيء رؤية شاملة تستوعب كل المذكرات ، ورؤيته سبحانه ليست بمحدقة كما يرى غيره .

وقد أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون ، وقال لهما :

« اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ

أَوْ يَخْشَى ، قَالَا : رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَبْغَى ، قَالَ :
لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ^(١) .

وقال :

« يَلْمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ » .

« وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنْ أَلَّهَ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ^(٢) » .

صفات الذات وصفات الأفعال

صفات الله تعالى منها صفات ذات ، وهى الصفات الثبوتية ، أو صفات للمعانى .
وهى صفة الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

وصفات أفعال : مثل صفة الخلق ، والرزق ، فالخالق ، والرازق هو الذى
يفعل الخلق ، ويمنح الرزق ، وقد اتفق العلماء على أن صفات الأفعال غير الذات .
وأنها زائدة عليها .

واختلفوا فى صفات الذات : هل هى عين الذات ؟ أى أن الله عالم بالذات .
وحى بالذات ، وهكذا إلى آخر الصفات الثبوتية ، أو أنها صفات زائدة على الذات ؟
أى أنه عالم بعلم ، وحى بحياة ، وقادر بقدرة ، ومريد بإرادة ، وسميع بسمع ،
وبصير ببصر ، ومتكلم بكلام .

(١) سورة طه الآيات ٤٣-٤٦

(٢) سورة غافر الآيات ١٩ ، ٢٠

ونحن نرى رأى من رأى من العلماء ، وأئمة الدين ، أن هذا من الدخيل على الإسلام ، ومن البدع الطارئة على العقيدة ، ومن المنكرات التي يجب على المسلمين أن يتزهدوا عنها ؛ فإن ذات الله أجل من أن نتناول على هذا النحو . وهذا النوع من التفكير مما نهينا عنه ، ولم يكلفنا الله به ؛ لأنه خارج عن نطاق العقل المحدود ، وذات الله فوق الإدراك .

« لَا تَدْرُكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ »^(١) .

« لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ »^(٢) .

« يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا »^(٣) .

وتقدم الحديث : « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروه قدره » .

إن كل ما كلفنا به — أن نعلم أن الله موجود ، وأن له الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، والكمال المطلق ، وما وراء ذلك يجب الإمساك عنه ، ولا يحل البحث فيه ، فالعلم به لا ينفع ، والجهل به لا يضر .

— صفات الله أعلام هادية

وإن علينا أن نسير على هدى هذه الصفات ، ونستنير بها ، ونتخذها مثلنا الأعلى ، ونجعلها غايتنا ، حتى نصل إلى أقصى درجات السمو النفسى والارتقاء الروحى . وقد ألف « حجة الإسلام » الإمام الغزالى رحمه الله كتاب « المقصد الأسنى »

(٢) سورة الشورى آية ١١

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣

(٣) سورة طه آية ١١٠

شرح فيه أسماء الله الحسنى ، وبين حظ المؤمن من كل اسم ، فينبغى الرجوع إليه ،
ونحن نقبس من كتاب الدين الإسلامى ما يأتى :

فإن الله رب العالمين : وهذا مثل أعلى يجب على المؤمن أن يحتذى به ، فيحسن
تربية نفسه ، وذوى قرباه ، ويعمل على ما فيه الخير والفلاح .

والله تعالى رحمن : ينم على مخلوقاته ، ويظهر لهم حبه ، دون أن يؤدوا عملاً
يستحقون عليه ذلك ، وهذا مثل أعلى يجب على الإنسان التحلى به ، فيكون رحيماً
ببنى جنسه ، يفعل الخير ابتغاء وجه ربه ، لا رغبة فى اجتلاب نفع ، أو خشية من
مس ضر .

والله تعالى رحيم : يجازى الإنسان على عمله ، وهذا مثل أعلى أيضاً يوجب على
الإنسان أن يقابل الإحسان بالإحسان .

الله تعالى مالك يوم الدين : يحاسب الناس على أعمالهم ، فيجازى المسىء
لا شهوة فى الانتقام ، بل بروح التسامح ، كما يجب أن يعامل السيد الرحيم مسوده .
والوالد ولده ، وهذا مثل أعلى آخر يوجب على الإنسان أن يكون متسامحاً وعفوياً
فى معاملاته مع الناس .

هذه الصفات الأربع : هى أبرز صفات الله العليا ، ومثله العليا ، وما يقال عنها
يقال عن الصفات الأخرى .

فصفات الحب والرحمة التى هى الرءوف ، الودود ، التواب ، العفو ،
الشكور ، السلام ، المؤمن ، البار ، رفيع الدرجات ، الرزاق ، الوهاب ، الواسع ،
كلها صفات يجب على الإنسان اتخاذها نبزاً للسير على هداها والتحلى بها كما قدمنا .

و لذلك صفات العلم : التي هي العليم ، الحكيم ، السميع ، البصير ، الشهيد ،
الرقيب ، الباطن .

فإنها صفات يجب على الإنسان أن يتبعها ؛ ليبلغ مبلغ العلم والحكمة ، وأن الله
تعالى جعل الإنسان خليفته في الأرض حيث قال :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ^(١) » .

وميزه عن سائر المخلوقات ، فعلمه الأسماء كلها ، قال تعالى :

« وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ^(٢) » .

وفيا يختص بالحكمة ، فقد أرسل الله رسولا للناس ، ليعلمهم الحكمة ؛ قال تعالى :
« كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ^(٣) » .

وقال :

« لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ^(٤) » .

وقوله :

« هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ^(٥) » .

(٢) سورة البقرة آية ٣١

(٤) سورة آل عمران آية ١٦٤

(١) سورة البقرة آية ٣٠

(٣) سورة البقرة آية ١٥١

(٥) سورة الجمعة آية ٢

وفيا يختص بصفات الله الدالة على قدرته وتدييره ، فقد أمر الملائكة بالسجود للإنسان ، وسخر السموات والأرض لخدمته ومنفعته ، ولهذا يجب على الإنسان أن يتخذ من صفات الله تعالى مثلاً أعلى ؛ ليكون أهلاً للقيام بما استخلف عليه ، وسخر له ونحن لا نعى أن الإنسان باتخاذ صفات الله مثلاً علياً يمكنه أن يبلغ درجة الكمال وإنما نعى أن على الإنسان أن يجعل هذه الصفات رائدة في حياته ؛ ليعيا بها حياة طيبة مباركة .

حقیقۃ الایمان و ثمرتہ

• مظاہر الایمان

• ثمارہ

الإيمان بالله يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه : ذلك أن أشرف ما في الأرض الإنسان ، وأشرف ما في الإنسان قلبه ، وأشرف ما في القلب الإيمان .
ومن ثم كانت الهداية إلى الإيمان أجل نعمة ، وأفضل آلاء الله على الإطلاق .
« يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قَلَّ لَا تُمْنُوا عَلَىٰ إِسْلَامِكُمْ ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَذَا كُمُ لِلإِيمَانِ (١) » .

« وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً (٢) » .

وليس الإيمان هو مجرد النطق باللسان ، واعتقاد بالجنان ، إنما هو عقيدة تملأ القلب ، وتصدر عنها آثارها ، كما تصدر عن الشمس أشعتها ، وكما يصدر عن الورد شذاه .

ومن آثاره أن يكون الله ورسوله أحب إلى المرء من كل شيء ، وأن يظهر ذلك في الأقوال ، والأفعال ، والتصرفات ، فإن كان ثمة شيء أحب إلى المرء من الله ورسوله فالإيمان مدخول ، والعقيدة مهزوزة .

« قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ ، وَأَبْنَاؤُكُمْ ، وَإِخْوَانُكُمْ ، وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ ، وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا ، وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ، وَمَسَاكِينُ

تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ : وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ^(١) .

فالحياة بما فيها من الآباء ، والأبناء ، والأخوة ، والأزواج ، والصغيرة ، والأموال ، والتجارة ، والمساكن .. إن كانت أحب إلى الإنسان من الله ورسوله ، فلينتظر -مقاب الله- الذين شغلوا قلوبهم عنه بغيرهم .

إن الإيمان لا يكمل إلا بالحب الحقيقي ، حب الله ، وحب رسوله ، وحب الشريعة التي أوحاها الله إليه .

ففي الحديث الصحيح « ثلاث من كنَّ فيه ، وجد حلاوة الإيمان :

١ - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

٢ - وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله .

٣ - وأن يكره أن يعود في الكفر ، كما يكره أن يقذف في النار » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ، وولده ، ونفسه التي بين جنبيه ، والناس أجمعين » .

وجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « يا رسول الله : لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي . فقال : لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر : والذي بعثك بالحق لأنت أحب إلى من نفسي . فقال صلى الله عليه وسلم : « الآن يا عمر ، ، أي الآن تمَّ إيمانك » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به .

وكما يتمثل الإيمان في الحب ، يتمثل في الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله ، والكفاح لرفع راية الحق ، والنضال لمنع الظلم ، والفساد في الأرض .

وكثيراً ما يقتن الإيمان بالجهاد على أنه روحه ومظهره الملى .

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » (١) .

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » (٢) .

ولقد برز هذا الكفاح في الصفوة المؤمنة في العهد الأول حتى استحقوا ثناء الله عليهم .

« مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْصَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا » (٣) .

وأثر الإيمان يسدو وانحاً في خشية الله والخوف منه ، فإن من عرف الله وعرف عظمتة ، واستشعر جلاله وكبريائه ، وعرف تقصيره في حقه خشية وخاف منه .

« إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (٤) .

وهذه سمة أهل الحق القوامين على دين الله .

(١) سورة الحجرات آية ١٥ (٢) سورة التوبة آية ١١١

(٣) سورة الاحزاب آية ٢٣ (٤) سورة فاطر آية ٢٨

« الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ .
لَوْ كَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا »^(١) .

وكما كانت المعرفة أكمل كانت الخشية أتم .

بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« إِنِّي لِأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ » .

وأعظم ما يبدو فيه الإيمان الاستمسك بالوحى ، لأنه المنبع الصافى الذى
لم يختلط بشائبة الهوى ، أو آفة الظنون .

والاستمسك بالوحى ، إنما هو اتصال بالله ، وأخذ عنه مباشرة بدون توسط
وسطاء ، وهذا هوسمى أنواع الاتصال .

والمؤمنون عامة يتجهون هذا الاتجاه ، حتى لا يلتبس الحق الذين يؤمنون به
بالباطل الذى صنعه عقول الناس وأفهامهم .

« إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ »^(٢)

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ
لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا »^(٣)
« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »^(٤)

(١) سورة الأحزاب آية ٣٩ (٢) سورة النور آية ٥١—٥٢

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٦ (٤) سورة النساء آية ٥٦

والإيمان منسوبة علاقات مختلفة

فهو يربط بين المؤمنين وبين الله ، برباط المودة ، والمحبة ، ويقم العلاقة بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، على أساس من الشفقة والرحمة .

ويقم العلاقة بين المؤمنين ، وبين أعداء الله ، الصادق عن الحق على أساس من النبل والقوة .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ . أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ . أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ، يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » (١) .

وقد تجلت هذه الصفات في الرسول ومحابته .

« مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ يَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ . ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيْفِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ . وَاعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » (٢) .

والعمل الصالح الذي تزكوه النفس ؛ ويطهر به القلب ، وتعمر به الحياة أثر من آثار الإيمان .

ولهذا يأتي الإيمان في الآيات القرآنية مقروناً بالعمل الصالح ؛ لأن

الإيمان إذا تجرد عن العمل كان إيماناً عقيماً ، وكان كالشجرة التي لا تثمر ثمراً ، ولا تمد ظلاً . فهي بالقطع أولى منها بالبقاء .

والعمل إذا خلا عن الإيمان ، كان رياءً ونفاقاً . والنفاق والرياء هما شر ما يصاب به الإنسان .

« وَالْمُصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَىٰ خُسْرًا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ »^(١) .

إن الإيمان بهذا المعنى ، هو الإيمان القرآني ، وهو الإيمان الذي أرادته الله لعباده .

وإذا تحقق فإنه يتحول إلى قوة إيجابية في الحياة ، وهو الذي يحول الضعف إلى قوة ، والهزيمة إلى نصر ، واليأس إلى أمل ، والأمل إلى عمل .

« إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ »^(٢) .

« وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ »^(٣) .

ثمار الإيمان

وإذا عرف الإنسان ربه عن طريق العقل والقلب — أثمرت له هذه المعرفة ثماراً يانعة ، وتركت في نفسه آثاراً طيبة ، ووجهت سلوكه وجهة الخير والحق ، والسمو والجمال .

(٢) سورة غافر آية ٥١

(١) سورة العصر

(٣) سورة الروم آية ٤٧

وهذه الثمار نجمل بعضها فيما يلي :

(أ) تحرر النفس من سيطرة الغير ، وذلك أن الإيمان يقتضى الإقرار بأن الله هو المحمي المبيت ، الخافض ، الرافع ، الضار ، النافع .

« قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (١) .

إن الذى عوق البشرية عن الهوض ، وحال بينها وبين الرقى هو الخضوع للاستبداد ، سواء أكان هذا الاستبداد استبداداً سياسياً للحكام والرؤساء ، أم استبداداً كهنوياً لرجال الدين والكهنوت .

وبتقرير الإسلام لهذه الحقيقة ، قضى على هذا الأسر ، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة هؤلاء المستبدين التى لازمته قروناً طوالاً .

(ب) والإيمان يبعث فى النفس روح الشجاعة والإقدام ، واحتقار الموت . والرغبة فى الاستشهاد من أجل الحق .

إذ أن الإيمان يوحى بأن واهب العمر هو الله ، وأنه لا ينقص بالإقدام ، ولا يزيد بالأحجام ، فكم من إنسان يموت وهو على فراشه الوثير ، وكم من إنسان ينجو وهو يخوض غمرات المعارك والحروب . . !

« وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَابًا مُّوَجَّلًا » (٢) .

« وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ . يُخْفُونَ فِي

أَنْفُسِهِمْ مَالًا يُبَدُّونَ لَكَ . يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا هَٰؤُلَاءِ ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ^(١) .

« أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ » ^(٢) .

(ح) والإيمان يقتضى الاعتقاد بأن الله هو الرزاق ، وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره .

« وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا . وَيَسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ » ^(٣) .

« وَكَأَيُّنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » ^(٤)

« اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ . إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » ^(٥) .

وإذا سيطرت هذه العقيدة على النفس تخالص الإنسان من رذيلة البخل والحرص والشره ، والطمع ، واتصف بفضيلة الجود ، والبذل ، والسخاء ، والأنفة والعفة ، وكان إنساناً مأمول الخير مأمون الشر .

(د) والطمانينة أثر من آثار الإيمان : أى طمأنينة القلب ، وسكينة النفس .

(١) آل عمران الآية : ١٥ (٢) سورة النساء آية ٧٨ .

(٣) سورة هود آية ٦ . (٤) سورة المنكبوت آية ٦٠ .

(٥) سورة المنكبوت آية ٦٢ .

« الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ »^(١)
 « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ »^(٢)
 وإذا اطمأن القلب ، وسكنت النفس — شعر الإنسان ببرد الراحة ، وحلاوة
 اليقين ، واحتمل الأهوال بشجاعة ، وثبت إزاء الخطوب مهما اشتدت ، ورأى أن
 يد الله عمدة إليه ، وأنه القادر على فتح الأبواب المغلقة ، فلا يتسرب إليه الجزع
 ولا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلا .

« اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »^(٣)

(٥) والإيمان يرفع من قوى الإنسان المعنوية ، ويربطه بمثل أعلى ، وهو الله
 مصدر الخير ، والبر ، والكمال .

وبهذا يسمو الإنسان عن الماديات ، ويرتفع عن الشهوات ، ويستكبر على
 لذائذ الدنيا ، ويرى أن الخير والسعادة في النزاهة والشرف ، وتحقيق القيم الصالحة ..
 ومن ثم يتجه المرء اتجاهات تلقائياً لخير نفسه ، وخير أمته ، وخير الناس جميعاً .
 وهذا هو السرفى اقتران العمل الصالح بجميع شعبه وفروعه بالإيمان إذ أنه
 الأصل الذى تصدر عنه ، وتتفرع منه .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ »^(٤)

-
- | | |
|-------------------------|-----------------------|
| (١) سورة الرعد آية ٢٨ | (٢) سورة الفتح آية ٤ |
| (٣) سورة البقرة آية ٢٥٧ | (٤) سورة يونس : آية ٩ |

« وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(١) .
 « وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ^(٢) » .

وإذا اهتدى القلب ، فأى شيء من الخير يفوته ؟

(و) والحياة الطيبة يجعل الله بها للمؤمنين في الدنيا قبل الآخرة .

وتتمثل هذه الحياة في ولاية الله للمؤمن ، وهدايته له ، ونصره على أعدائه ، وحفظه مما يبيت له ، وأخذه بيده كلما عثر ، أوزلت به قدم ، فضلاً عما يفيضه عليه من متاع مادي . يكون عوناً له على قطع مرحلة الحياة في يسر .

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(٣) » .

« وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ^(٤) » .

« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ^(٥) » .

« إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبِوَعْدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَشْهَادِ ^(٦) » .

- | | |
|-----------------------|-------------------------|
| (١) سورة الحج آية ٥٤ | (٢) سورة التباين آية ١١ |
| (٣) سورة النحل آية ٩٧ | (٤) سورة النحل آية ٣٠ |
| (٥) سورة النور آية ٥٥ | (٦) سورة غافر آية ٥١ |

« وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ^(١) » .

« فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لِمَا آمَنُوا
كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ^(٢) » .
وقد انتهى العالم إلى هذه الحقائق الإيمانية ؛ ولا يقسع المجال لإثبات شهادات
كبار العلماء ، وتسجيل ما شاهدوه .

ونكتفي هنا بتسجيل ما نشر بجمهورية يوم السبت ٢٩ / ١١ / ١٩٦٢
قالت الصحيفة تحت عنوان « العلماء يلجأون إلى الدين لعلاج مرضى الأمراض
العقلية » .

^٣ عزاء وسلوان لأولئك الذين تشبثوا بدينهم ، ولم يتزعزع إيمانهم في أحلك
لحظات المدينة وأنصمها ، أقصد تلك اللحظات التي يشدق فيها دعاة النظريات العتيدة ،
وفي مقدمتها نظرية النشوء والارتقاء « لداروين » ويشدقون فيها بأن الدين بدعة ،
وبأن الإنسان يقف وحده في هذا الكون ، كما زعم « جوليان هاكسلي » جد
الكاتب والفيلسوف البريطاني الكبير « الدوسى هاكسلي » .

إن علماء الأمراض العقلية ، لا يجدون اليوم سلاحاً أمضى ، وأبعد فاعلية لعلاج
سراضهم من الدين والإيمان بالله . والتطلع إلى رحمة السماء . . والتشبث بالرعاية
الإلهية . . والالتجاء إلى قوة الخالق الهائلة عندما يتضح عجز كل قوة سواه . . !
لقد بدأت التجربة في مستشفى بولاية نيويورك ، وهو مستشفى خاص بمرتكبي
الجرائم من المصابين بالأمراض العقلية .

بدأت التجربة بإدخال الدين كوسيلة جديدة للعلاج بجانب الصدمات الكهربائية لخلايا المخ ، والمقابر المسكنة والمهدئة للأعصاب .

وكانت النتيجة رائعة . . إن أولئك الذين تعذر شفاؤهم . بل فقدوا الأمل فيه انتقلوا من عالم المجانين إلى عالم العقلاء . . أولئك الذين ارتكبوا أفظع الجرائم ، وهم مسلوبو الإرادة . باتوا يسيطرون على إرادتهم وتفكيرهم وتصرفاتهم ، ويندفعون الدمع ندماً ، وكلهم أمل في رحمة السماء ومغفرة الله .

واستلم العلماء ، ورفعوا أيديهم إلى السماء ، يعترفون بضعفهم ، يعلنون للدنيا أن العلم يدعو إلى الإيمان . وليس أبداً إلى الإلحاد .

وأنت طبيباً لست في حاجة لأكثر من الإلمام بالقراءة ، وحتى إذا كان قد فاتك قطار التعليم فأمامك بيوت الله ، وفيها السلوى .. وفيها العزاء .

القدر

- الله فاعل مختار
- معناه القدر
- وجوب الإيمان بالقدر
- حكمة الإيمان بالقدر
- حرية الإنسان
- الإسلام يقرر حرية الإرادة
- بين مشيئة الرب ومشيئة المبد
- الهداية والاضلال

الله فاعل مختار

الله سبحانه مالك الملك ، يتصرف فيه بمقتضى حكمته ومشيبته ، وكل تصرف منه إنما يجرى وفق مشيئته التى وضعا فى الكون وقوانينه المضطردة فى الوجود .
« وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ »^(١)

وهو سبحانه لا يجب عليه شيء ، ولا يتصرف من أجل أحد .
« قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ »^(٢)

أى أن الله أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن يقول فى الناس : إن الله سبحانه مالك الملك الحق ، يعطى الملك لمن يشاء ، وينزعه ممن يشاء بمقتضى سنن الله فى العطاء والأخذ ، ويعز من يشاء بالتوفيق لأسباب العز ، ويذل من يشاء بالخذلان .
وإنه سبحانه بيده الأمور كلها خيرها وشرها ، فهو يعطى ويمنع : ويعز ويذل وينفع ويضر ، لأنه القادر على كل شيء . ومن مظاهر قدرته ما يشاهد فى الكون من إدخال الليل فى النهار ، وإدخال النهار فى الليل ، وإخراج الحى من الميت ، وإخراج الميت من الحى ، وأنه يفيض الرزق على من يشاء كما يشاء بغير حساب ، ولا رقابة ؛ لأن الأمر كله له وحده لا شريك له .

(١) سورة الرعد : آية ٨ (٢) سورة آل عمران : آية ٨

وهو الفاعل المختار.

« وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ »^(١).

فهو يخلق ويختار من خلقه ما يشاء؛ لأنه المتصرف المطلق، وما كان لأحد الاختيار معه.

« وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصْرَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »^(٢).

فهو سبحانه يتصرف في ملكه كيفما شاء بمقتضى الحكمة والرحمة.

فإذا مس الإنسان ضرر، فلا يكشفه إلا الله، وإذا أراد الله خيراً له، فلا يستطيع أحد رده عنه.

« مَا يَتَّخِذِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »^(٣).

« اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذَرُوا فِي أَعْيُنِكُمْ أَوْ تُخْفَوُ بِحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ . فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »^(٤).

فلك السموات والأرض له وحده. وما يديه الإنسان ويظهره، أو يخفيه، ويكنه من النوايا والإرادات والعزائم والمقاصد يحاسبه به الله إن خيراً فخير، وأن شراً فشر، وهو يغفر لمن يشاء أن يغفر لهم. وقد بين سبحانه من يشاء لهم الفجران في قوله :

(١) سورة القصص : آية ٦٨ (٢) سورة يونس : آية ١٠٧

(٣) سورة فاطر : آية ٢ (٤) سورة البقرة : آية ٢٨٤

« وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى »^(١) .

ففدرة الله لمن رجع إلى الله بالتوبة النصوح ؛ وجدد إيمانه بالله ، وعمل العمل الصالح الذى يذهب بالسينات ، وبلغ منزلة الهداية التى يطمئن فيها القلب بالحق واليقين ، كما أن عذابه سبحانه ينزل بالعصاة المستحقين له بمقتضى عدله وجزاء كل بعمله .

والإيمان بهذا جزء من الإيمان بالله ، ويتفرع عنه الإيمان بالقدر .

معنى القدر

جاء فى القرآن الكريم ذكر القدر مراراً :

« وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَدَارٍ »^(٢) .

« وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ »^(٣) .

« إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ »^(٤) .

والذى يؤخذ من مجموع هذه الآيات أن المقصود بالقدر : هو النظام الحكم الذى وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامة ، والسنن التى ربط الله بها الأسباب بمسبباتها .

وعرفه النووى فقال : إن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء فى القدم ، وعلم — سبحانه — أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده — سبحانه وتعالى — وعلى صفات مخصوصة . ففى تقع حسب ما قدرها .

(٢) سورة الرعد : آية ٨

(١) سورة طه آية ٨٢

(٤) سورة القمر : آية ٤٩

(٣) سورة الحجر : آية ٢١

وجوب الإيمان به

وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الإيمان بالقدر جزء من العقيدة ، ويكون المعنى أن الله خلق النواميس والقوانين والنظم التي وضعها لهذا الوجود ، وأن الأشياء تجري وتدور حسب هذه النظم والسنن والقوانين .
« وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ » ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ » (١) .

ويكون الإيمان بالقدر جزءاً من عقيدة المسلم ، وليس فيه معنى الإيجاب . . قال الخطابي : « قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله سبحانه العبد على ما قدره وقضاه . . وليس الأمر كما يتوهمون . وإنما معناه الإخبار عن تقديم علم الله سبحانه بما يكون من اكتسابات العبد ، وصدورها عن تقديره تعالى ، وخلقها لها . خيرها وشرها . . والقدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر » .
وعلم الله سبحانه بما سيقع ، ووقوعه حسب هذا العلم لا تأثير له في إرادة العبد ، فإن العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير . فمثلاً علم الإنسان بأن ابنه ذكي مقبل على دروسه ومستوعب لما حفظا وفهما ليس له تأثير في نجاحه .

حكمة الإيمان بالقدر

وحكمة ذلك : أن تنطلق قوى الإنسان وطاقاته لتعرف هذه السنن ، ولتدرك

هذه القوانين ، وتعمل بمقتضاها في البناء والتعمير ، وفي استخراج كنوز الأرض والانتفاع بما أودع في الكون من خيرات

وبذلك يكون الإيمان بالقدر قوة باعثة على النشاط والعمل والإيجابية في الحياة كما أن الإيمان بالقدر يربط الإنسان برب هذا الوجود ، فيرفع من نفسه إلى معالي الأمور : من الإباء والشجاعة والقوة من أجل إحقاق الحق ، والقيام بالواجب .

والإيمان بالقدر يرى الإنسان أن كل شيء في الوجود إنما يسير وفق حكمة عليا ، فإذا مسه الضر فإنه لا يجزع ، وإذا صادفه التوفيق والنجاح فإنه لا يفرح ولا يبطر ، وإذا برى الإنسان من الجزع عند الإخفاق والفشل ، ومن الفرح والبطر عند التوفيق والنجاح — كان إنسانا سويا متزنا ، بالغا منتهى السمو والرفعة ، وهذا هو معنى قول الله سبحانه :

« مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا . إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » (١) .

هذا ما ينبغي أن نفهمه من القدر ، وهو مقتضى فهم الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، وفهم أصحابه رضی الله عنهم أجمعين .

وقد دخل رسول الله يوما على الإمام علي كرم الله وجهه بعد صلاة المشاء ، فوجده قد بكر بالنوم ، فقال له :

« هَلَا قَمَتَ مِنَ اللَّيْلِ ؟ فقال : يا رسول الله ، أنفسنا بيد الله ، إن شاء بسطهم ، وإن

شاء قبضها ، فنضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج وهو يضرب على نخته ويقول : وكانَ الإنسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا .

وسرق أحد اللصوص ، فلما حضريين يدي عمر رضى الله عنه ، سأله لِمَ سُرقت؟ فقال قَدَّرَ الله ذلك ، فقال عمر رضى الله عنه اضربوه ثلاثين سوطا ، ثم اقطعوا يده ، فقيل له : ولم ؟ قال : يقطع لسرقته ، ويضرب الكذبة على الله .

إن القدر لا يتخذ سبيلا إلى التواكل ، ولا ذريعة إلى المعاصي ، ولا طريقا إلى القول بالجبر ، وإنما يجب أن يتخذ سبيلا إلى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال . إن القدر يُدْفَعُ بالقدر ، فيدفع قدر الجوع بقدر الأكل ، وقدر الظمأ بقدر الرى ، وقدر المرض بقدر العلاج والصحة ، وقدر الكسل بقدر النشاط والعمل .

ويذكر أن أبا عبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنها حينما فرَّ من الهاعون : أتفر من قدر الله ، قال : نعم أفر من قدر الله إلى قدر الله . أي يفر من قدر المرض والوباء إلى قدر الصحة والعافية ، ثم ضرب له مثلا بالأرض الجدباء ، والأرض الخصبية ، وأنه إذا انتقل من الأرض الجدباء إلى الأرض الخصبة لترعى فيها إبله ، فإنه ينتقل من قدر إلى قدر .

لقد كان يمكن للرسول وصحابه أن يستكينوا كما يستكين الضمفاء الواهين ، معطين أنفسهم بالفهم المفلوط الذي يتعلل به الفاشلون ، ولكنه جاء يكشف عن وجه الصواب فلم يهن ، ولم يضعف ، واستعان بالقدر على تحقيق رسالته الكبرى ، ملتزما سنة الله في نصره لعباده .

فقاوم الفقر بالعمل ، وقاوم الجهل بالعلم ، وقاوم المرض بالعلاج ، وقاوم الكفر والمعاصي بالجهاد ، وكان يستعيز بالله من الهم والحزن ، والعجز والكسل

وما عزواته المظفرة إلا مظهر من مظاهر إرادته العليا التي تجري حسب مشيئة الله وقدره .

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يفهم القدر فهماً خاطئاً ، ودعا إلى مجاهدة من يرى هذا الفهم الخطأ

فقد روى عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ، ثم يقولون : الله قدرها علينا . الرأى عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله »

هذا هو القدر الذى ينبغى أن نعرفه عن القدر وما وراء هذه المعرفة فلا يحل لنا البحث فيه ولا التنازع في شأنه ؛ فإن هذا من أسرار الله التي لا تحيط بها العقول ، ولا تدركها الأفكار .

فمن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر ، فغضب حتى احمر وجهه ، وقال : أبهذا أرسلت إليكم ؟ إنما أهلك من قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه ، وفي هذا يقول رضى الله عنه لمن سأله في مثل هذا : طريق مظلم لا تسلكه ، كرر عليه السؤال فقال : بحر عميق لا تمججه ، كرر عليه السؤال فقال : سر الله قد خفي عليك فلا تفشه .. ، فثل هذا النهى إنما ينصب على السؤال عن نظام الله في الحياة والموت . وبسط الرزق وضيقة وحكذا ، لا على الكلام في القدر نفسه

حرية الإنسان

منذ أقدم العصور أخذ الإنسان يفكر في نفسه ، وفي الكون المحيط به ، وكانت حرية الإنسان إحدى القضايا التي تناولها عقله ، وشغلت حيزاً كبيراً من تفكيره ، ولا تزال هذه القضية إلى يومنا هذا مثار جدل ومناقشة بين المفكرين

والفلاسفة ، ولا يزال اهتمامهم بها اهتماماً بالغاً ، إذ أنها قضية تتعلق بحياة الإنسان ، وتتصل بمصيره ، فهو يبحث فيها ، ويكبد ، ويجد في البحث علّة يهتدى إلى الحل الصحيح ؛ كي يرسم لنفسه السلوك على ضوء الحل الذي يهتدى إليه .

وبدهى أن الإنسان حينما حاول الكشف عن وجه الصواب في هذه القضية وأراد البحث فيها لم يحمل ميدان بحثه الأعمال الخارجة عن إرادته واختياره ككونه أبيض ، أو أسود ، وككونه وُلِدَ من هذا الوالد ، أو ذاك . وكنبضات قلبه ، وتنفسه وجريان الدم في عروقه ، فإن هذه الأشياء خارجة عن نطاق البحث ، لأن الإنسان لا اختيار له فيها ، وهي غير خاضعة لإرادته .

ولأنما اتجه الإنسان وهو بصدد البحث في هذه القضية إلى الأعمال الإرادية التي تدخل في نطاق الإرادة والاختيار ، ومدى حريته في ممارسة هذه الأعمال مثل خروجه من البيت ، واتخاذ طعاماً معيناً ، ولبسه نوعاً من الملابس ، وتفضيله لوناً من العلم ، أو الكتابة ، وممارسته حرفة من الحرف ، وزيارته لغيره ، وهكذا في كل عمل من الأعمال الاختيارية .

وقد اختلفت الأنظار ، وتضاربت الأفكار تضارباً كادت تضع معه معالم الحق . فمن قائل : بأن الإنسان مسير^(١) غير مخير ، ومجبر على ممارسة نشاطه الاختياري ، وأنه كالريشة في مهب الريح تنقادها ذات اليمين ، وذات الشمال .

ومن قائل : بأن الإنسان مخير^(٢) غير مسير ، وأنه يمارس أعماله الاختيارية بمحض إرادته ومشيبته .

ومن قائل : بأن الإنسان ليس له من أعماله إلا الكسب^(٣) — أى أن الله يخلق

(١) هذا مذهب الجبرية (٢) مذهب المعتزلة والإمامية

(٣) رأى الأشاعرة .

الشيء عند مباشرته، أى أن الله يخلق الشيع عند الأكل ، ويخلق المعرفة عند الدراسة ، وهكذا وليس للعبد إلا الكسب ، وبه يصح التكليف والثواب والعقاب والملاح والدم .

والذى نراه فى هذه القضية ، ومختاره هو ما قرره الإسلام فيما يلى :

تقرير الإسلام حرية الإرادة

قرر الإسلام أن الإنسان خلق مزوداً بقوى وملكات واستعدادات ، وهذه القوى يمكن أن توجه إلى الخير ، كما يمكن أن توجه إلى الشر ، فهى ليست خيراً محضاً ، ولا شراً محضاً ، وإن كانت إرادة الخير فى بعض الناس أقوى ، وإرادة الشر فى البعض الآخر أقوى ، وبينهما تفاوت لا يعلمه إلا الله ، وفى الحديث الصحيح .
« كل مولود يولد على الفطرة » .

وفى الحديث أيضاً : « الناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا . . . » .
ويؤيد هذا قول الله سبحانه وتعالى :
« وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » ^(١) .

أى أن الله خلق النفس مسوأة ومعتدلة قابلة للتقوى والفجور ، ومستعدة للخير والشر .

والله سبحانه زود الإنسان بالعقل الذى يميز به بين الحق والباطل فى العقائد ، وبين الخير والشر فى الأفعال ، وبين الصدق والكذب فى الأقوال .
وأعطاه القدرة التى يستطيع بها أن يحق الحق ، ويبطل الباطل ، وأن يأبى الخير ويدع الشر ، وأن يقول الصدق ، ويحجب الكذب ، ورسم له منهج الحق

والخير والصدق مما أنزل من كتب ، وبما أرسل من رسل ، ومادام العقل المميز موجوداً ، والقدرة على الفعل صالحة ، والمنهج المرسوم واضحاً ، فقد ثبت للإنسان حرية الإرادة ، واختيار الفعل .

وعلى الإنسان أن بوجه قواه إلى ما يختاره لنفسه من حق ، أو باطل ، ومن خير ، أو شر ، ومن صدق ، أو كذب .

وفي القرآن الكريم يقول الله سبحانه :

« إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا » ^(١) .

أى هديناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل ، والخير والشر ، والصدق والكذب . فهو إما أن يسلك السبيل الأهدى ، فيكون شاكرًا ، أو الطريق المعوج فيكون كفورًا .

وفي هذا المعنى أيضاً يقول القرآن الكريم :

« وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » ^(٢) أى الطريقين .

وكل إنسان مسئول عن تهذيب نفسه ، وإصلاحها حتى تصل إلى كمالها المقدر لها ، فإن إصلاحها وتركيتها وتنميتها بالعلم النافع والعمل الصالح هو سبيل فلاحها وفوزها برضا الله ، والقرب من مشاهدة جلاله وجماله ، كما أن إهمالها هو السبيل إلى خيبتها وخسراتها .

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » ^(٣) .

« بَلَى الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ » ^(٤) .

(١) سورة الإنسان آية ٣ (٢) سورة البلد آية ١٠

(٣) سورة الشمس آية ٩-١٠ (٤) سورة القيامة آية ١٤

«كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (١).

«كُلُّ أَمْرٍ إِذٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» (٢).

والآيات التي تقرر حرية الإنسان كثيرة جداً ، منها قول الله سبحانه وتعالى :
« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ » (٣).

فأسند العمل الصالح والعمل السيء إلى الإنسان ، ولو لم يكن الإنسان حراً
ما أسند إليه الفعل .

وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول الله سبحانه :
« وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » (٤)
أى أن الشرور التي تعرض للإنسان إنما هي أثر من آثار عمله ونتائج
اختياره وتصرفه .

وإن القرآن ليتحدث عن المفسد والجرائم التي تحيط بالناس ، فيبين أنها ليست
من صنع الله ، وإنما هي من عمل البشر .

« ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ
الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ » (٥).

وهذا الذي يقرره القرآن هو ما يشعر به الإنسان من نفسه ، فهو يشعر
بأنه يمارس أعماله الإرادية بمحض إرادته واختياره ، فهو يفعل منها ما يشاء ،

-
- | | |
|------------------------|------------------------|
| (١) سورة المدثر آية ١٨ | (٢) سورة الطور آية ٢١ |
| (٣) سورة فصلت آية ٤٦ | (٤) سورة الشورى آية ٣٠ |
| (٥) سورة الروم آية ٤١ | |

وبَدَخَ منها ما يشاء ، وهو إذا فعل منها ما هو نافع استحق المدح ، وإذا فعل ما هو ضار استوجب الذم ، فلو لم يكن مختاراً لما توجه إليه المدح على فعل ما هو نافع ، ولما توجه له الذم على فعل ما هو ضار .

بل لو لم يكن الإنبيان مختاراً لما كانت ثمة فرق بين المحسن والسيئ ؛ إذ أن كلا منهما مُجَبَّرٌ على ما يفعله ، ولبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ إذ لا فائدةَ لهما حيث إن الإنسان مسلوب الإرادة ، ولما كان ثمة معنى لتكليف الله للعباد ؛ لأن تكليفه إياهم مع سلب اختيارهم هو منتهى الظلم الذي يتنزه الله عنه ، ويكون الأمر كما قال القائل :

ألقاه في أليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتسل بالماء
بل لو كان الإنسان مسيراً لضاعَت فائدة القوانين ، ولبطل الجزاء من الثواب والعقاب .

وقد أراد المشركون أن يحتجوا بمشيئة الله على شركهم . وأنه لو لم يشأ أن يكونوا مشركين لما كانوا كذلك ، فأبطل الله حجتهم ودَحَضَهَا بقوله :

« سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَاءَ سَنَا . قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ » (١) .

فالقرآن يرد على المشركين من وجحين :

الأول : أن الله أذاق الكافرين الأول بأسه ، وأنزل بهم عقابه ، فلم يكونوا مختارين للجرائم والمآثم ، والكفر والشرك لما عندهم الله ، لأن الله عادل لا يظلم متقال ذرة .

والوجه الثانى : أنهم زعموا ذلك عن جهل بالله ، وجهل بدينه ، وأنهم ليس عندهم من علم يمكن أن يستند إليه ، ويرجع إليه ، وإنما كفرهم هذا تمرد على دينه وافتيات على الحق الذى أنزله على ألسنة الرسل .

وإذا كان الله قد عذب الأمم السابقة على كفرها ، وإذا كان المشركون ليس لهم من حجة يحتجون بها ، فقد تقرر أن دعوى المشركين دعوى ظنية لا تقوم عليها حجة ، ولا ينهض بها دليل .

وبذلك قامت حجة الله البالغة على هؤلاء ، ولو شاء الله لأجبرهم على الهداية ، وإذا فلن يكونوا حينئذ من البشر ، لأن البشر فطر على الحرية والاختيار .

٢ مشيئة الرب ومشيئة العبد

وقد يقال : إذا كان الله منح العبد الحرية والاختيار فما معنى قوله :
« لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ » (١) .

فقول : معناها أن الإنسان لا يشاء شيئا إلا إذا كان فى حدود مشيئة الله وإرادته ، فمشيئة البشر ليست مشيئة مستقلة عن مشيئة الله ، والله قد شاء للإنسان أن يختار أحد الطريقين : طريق الهداية ، أو طريق الضلالة .

فإذا اختار الطريق الأول ، ففي نطاق المشيئة الإلهية ، وإذا اختار الطريق الثانى ففي نطاقها أيضاً .

وكل الآيات التى جاءت على هذا النحو فمعناها لا يتمدى ما ذكرناه .

الهداية والإضلال :

وقد يقال أيضاً : لقد جاء فى القرآن الكريم :

﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) .

أى أن الله يضل من يشاء لإضلاله ، ويهدي من يشاء هدايته ، وإذا كان الله يضل ويهدي فليس للعبد حرية الاختيار ، والواقع أن الهداية والإضلال نتائج لمقدمات ، وبسببات لأسباب .

فكما أن الطعام يفسد ، والماء يروى ، والسكين تقطع ، والنار تمحرق .

فكذلك هناك أسباب توصل إلى الهداية ، وأسباب توصل إلى الضلال .

فالهداية إنما هى ثمار عمل صالح .

والضلال إنما هو نتائج عمل قبيح

فإنناد الهداية والإضلال إلى الله من حيث إنه وضع نظام الأسباب والمسببات لا أنه أجبر الإنسان على الضلال أو الهداية .

وحينما نرجع إلى الآيات القرآنية نجد هذا المعنى بيناً وواضحاً ، لا لبس فيه ولا غموض فالله يقول :

« وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ » ^(١) .

« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا » ^(٢) .

« وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ » ^(٣) .

فهداية الله للناس بمعنى لطفه بهم ، وتوفيقهم للعمل الصالح ، إنما هي ثمرة جهاد للنفس وإجابة إلى الله ، واستمساك بإرشاده ووجيه .

ويقول القرآن الكريم في الإضلال :

« يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ۖ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ .
الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » ^(٤)

« بُشِّرْتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ .
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ » ^(٥) .

« كَذَٰلِكَ يَطْمَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ » ^(٦) .

« فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ . وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » ^(٧) .

« كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » ^(٨) .

(١) سورة الرعد آية ٢٧ (٢) سورة العنكبوت آية ٦٩

(٣) سورة محمد آية ١٧ (٤) سورة البقرة آية ٢٦ — ٢٧

(٥) سورة إبراهيم آية ٢٧ (٦) سورة طافر آية ٣٥

(٧) سورة الصف آية ٥ (٨) سورة المطففين آية ١٤

بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا^(١).

فترى من هذه الآيات أن سبب الإضلال هو الزيف ، والخروج عن تعاليم الله . والكبر ، والجبروت ، والتعالى على الناس بغير حق ، ونقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ووصل ما أمر الله به أن يقطع ، وانفساد في الأرض ، والكفر واقتراف الآثام :

فهذه هي الأسباب التي أضلت الناس ، وأخرجتهم عن منهج الحق لأنهم آثروا العمى على الهدى ، واستحبوا الظلام على النور ، فكان أن كافأهم الله فانصمهم ، وأعمى أبصارهم بمقتضى نظامه في ارتباط الأسباب بسبباتها . وهذا ونحوه كثير في كتاب الله ، ومنه :

« وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ، أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ »^(٢) .

فهؤلاء أهملوا منافذ العلم والعرفان ، وعطلوها عما خلقت له ، فلم يصل إليها نور الحق .

فقلوبهم غلف لا تعقل عن الله وحيه ، وعيونهم عمى لا ترى الله في ملكوته ، وآذانهم صم لا تسمع آيات الله ، فهم مثل الأنعام التي لا تنتفع بحواسها الظاهرة والباطنة ، بل أضل من الأنعام إذ الأنعام لم تزود بما زود به الإنسان من قوى نفسية وعقلية وروحية .

الملائكة

- من هم الملائكة
- من خلقوا ؟
- فضل البشر على الملائكة
- طبيعتهم
- تفاوتهم
- عملهم في عالم الأرواح
- عملهم في عالم الطبيعة
- الإيمان بهم

الملائكة الأعلى ، أو الملائكة عالم لطيف غيبي غير محسوس ، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس ، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة ، أو غير المنظورة التي لا يعلم حقيقةها إلا الله .

وهم مطهرون من الشهوات الحيوانية ، ومبرهون من الميول النفسية ، ومنزهون عن الآثام والخطايا .

والملائكة : ليسوا كالبشرى كلون ، ويشربون ، وينامون ، ويتصفون بالذكورة ، أو الأنوثة ، وإنما هم عالم آخر ، قائم بنفسه ، ومستقل بذاته ، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المادية ، ولم قدرة على أن يتمثلوا بصور بشرية ، وغيرها من الصور الحسية ، فقد جاء جبريل إلى السيدة مريم متمثلاً في صورة بشرية :

« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَتَاَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا »^(١) .
ودخلت جماعة منهم على سيدنا إبراهيم في صورة آدميين يحملون إليه البشري وظنهم ضيوفاً فقدم إليهم الطعام :

« وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا^(٢) إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ نَجْمٌ^(٣) حَنِيدٌ^(٤) . فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ^(٥) »

(١) سورة مريم آية ١٦ - ١٧ (٢) أى للملائكة

(٣) مشوى على الحجارة المحماة بالنار (٤) وجد منهم غير ما يعرف

وَأَوْجَسَ^(١) مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ ، وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ^(٢) فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَمْقُوبُ . قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَنْتَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ^(٣) .

مِم خُلِقُوا ؟

والملائكة خلقهم الله من نور ، كما خلق آدم من طين ، وكما خلق الجن من نار .
 روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ » .

وسكنهم السماء ، وينزلون منها بأمر الله .

روى أحمد والبخارى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 لجبريل : ما يمتنع أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ قال : فنزلت :
 « وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ
 وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا »^(٤) .

وخلقهم متقدم على خلق الإنسان ، وقد أخبرهم الله بأنه سيخلفه ويجعله خليفة
 في الأرض .

(١) شعر بالخوف منهم (٢) سرورا وفرحا بالبشرى

(٣) سورة هود آية ٦٩ - ٧٣ (٤) سورة مريم آية ٦٤

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ . قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »^(١) .

البشر أفضل منهم

والظاهر أن البشر أفضل من الملائكة ، كما هو واضح في مجزم عن الإجابة على الأسماء التي عرضها الله عليهم ، بينما أجاب آدم إجابة صحيحة ، فشرّف بالعلم الذي خصه الله به وامتاز عليهم في معرفة الأشياء وإدراكها .

وكذلك في أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ما يفيد تفضيله عليهم .

« وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ »^(٢) .

ومن جانب آخر ، نرى أن طاعة الملائكة جباية ، وتركهم للمعصية لا يكلفهم أدنى مجاهدة ؛ لأنه لا شهوة لهم .

فأى فضل لهم في الطاعة ، وترك العصيان مع أن ذلك يقع منهم وقوعاً اضطرارياً كما ينبض القلب ، ويجرى الدم ، وتنفس الرئتان بينما الإنسان يجاهد النفس ،

(١) سورة البقرة آية ٣٠

(٢) سورة البقرة آية ٣١ — ٣٤

وبصارع الهوى ، ومحارب الشيطان ، وبتكلف الطاعة ، وبسعى جاهداً فى تكميل نفسه ، وترقية روحه رغباً ورهباً .

طبيعتهم

وطبيعة الملائكة الطاعة التامة لله ، والخضوع لجبروته ، والقيام بأوامره ، وهم يتصرفون فى شئون العالم بإرادة الله ومشئته ، وهم سبحانه يدبر بهم ملكه . وهم لا يقدرّون على شئ من تلقاء أنفسهم :

« يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » (١) .

« بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لَا يُسْقِنُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَمْعَلُونَ ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ ، إِلَّا لِمَنْ أَرَادَنَّى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ » (٢) .

« لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ » (٣) .

روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا » (٤) لقوله كأنه صلصلة (٥) على صفوان فإذا فزع (٦) عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قال الحق ، وهو العلى الكبير .

(١) سورة النحل آية ٥٠ (٢) سورة الأنبياء آية ٢٧

(٣) سورة التحريم آية ٦ (٤) خضعانا مصدر أى خضعت خضوعاً

(٥) الصلصلة : الصوت المتدارك الذى يسمع ولا يثبت أو ما يقرع السمع حتى

يفهم بعد ، والصفوان من الحجر الأملس

(٦) فزع : انكشف الفزع

تفاوتهم

وهم يتفاوتون في الخلق ، كما يتفاوتون في الأقدار تفاوتاً لا يعلمه إلا الله :
 « الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي
 أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ » ^(١) .

أى أن الله جعل الملائكة أصحاب أجنحة ^(٢) فمنهم من له جناحان ، ومنهم من
 له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من يزيد على ذلك ، وهذا مظهر التفاوت
 في الأقدار عند الله والقدرة على الانتقال .

روى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل
 عليه السلام له ستائة جناح .

وكثرة الأجنحة دليل القدرة على السرعة في تنفيذ أوامر الله وتبليغ رسالته .
 « وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ . وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ » ^(٣) ، وَإِنَّا لَفَنَحُّ
 الْمُسَبِّحُونَ » ^(٤) .

قال ابن كثير : وما من ملك إلا له موضع مخصوص في السموات ، ومقامات
 العبادات لا يتجاوزها ، ولا يتعداها .

(٥) سورة طه آية ١

(٢) هذا من النيب الذى تؤمن به ولا نبحت عنه لأننا لم نكلف العلم به
 ولم يخبرنا المصوم عنه . (٣) أى تقف صفواً في الطاعة

(٤) أى نصطف قنسيح الرب ونمجده وقدسه وننزهه عن النقائص فنحن
 عبيده ، قراء إليه ، خاضعون إليه . سورة الصافات آية ١٦٥

وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده إلى عبد الرحمن ابن العلاء ابن سعد عن أبيه، وكان ممن بايع يوم الفتح إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما جليسانه :

أَطَلْتُ السَّمَاءَ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْطَ ، لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ قَدِمَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ ، ثُمَّ قَرَأَ :

« وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمَسْبُحُونَ » (١) .

عملهم

والملائكة عمل في عالم الأرواح ، وعمل في عالم الطبيعة ، ولهم صلة خاصة بالإنسان .

عملهم الروحي

فعملهم في عالم الأرواح يتلخص فيما يلي : —

(١) التسبيح والخضوع للنام لله :

« إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ » (٢) .

« وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ » (٣) .

(١) سورة الصافات آية ١٦٥ ، ١٦٦

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٦ (٣) سورة الزمر آية ٧٥

(ب) حمل العرش :

« الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ »^(١).

« وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ »^(٢).

(ج) التسليم على أهل الجنة :

« وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ »^(٣).

(د) تعذيب أهل النار :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »^(٤).

« وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ، لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، لَوَاحِةٌ للبَشَرِ ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ، وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً »^(٥).

النزول بالوحي

وملك الوحي ، هو جبريل عليه السلام ، قال تعالى :

« قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ »^(٦).

(٢) سورة الحاقة آية ١٧

(١) سورة غافر آية ٧

(٤) سورة التحريم آية ٦

(٣) سورة الرعد آية ٢٣ ، ٢٤

(٦) سورة البقرة آية ٩٧

(٥) سورة المدثر آية ٢٧ — ٣١

ويسى - الروح الأمين - قال الله تعالى :
« وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ »^(١)

ويسى روح القدس ، قال الله تعالى :
« قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ »^(٢) .
ويسى أيضاً بالناموس ، كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله في أول عهده بالوحي
« قد جاءك الناموس الذى نزل الله على موسى .

ويأتى جبريل أحياناً في صورة بشر ، وأحياناً في مثل صلصلة^(٣) الجرس .
روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام رضى الله عنه
سأل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال :
« أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علىّ ، فيفصم^(٤) عنى وقد
وعيت عنه^(٥) ما قال :

« وأحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى ما يقول » :

(١) سورة الشراء آية ١٩٣ - ١٩٤ . (٢) سورة النحل آية ١٠٢ .

(٣) أى أن صوته يشبه الصلصلة وهو الرنين المتتابع .

(٤) يفصم : يقطع .

(٥) وعيت : حفظت : إنما كانت الحالة الأولى أشد لأنها : انسلاخ من
البشرية واتصال بالروحانية ؛ وكانت الثانية أخف ، لأنها انتقال ملك الوحي من
الروحانية إلى البشرية .

قالت عائشة رضي الله عنها : « ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبهة ليتفصد عرقاً » .

وفي الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا ، والحاكم عن ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها ؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » .

عملهم في الطبيعة ومع الإنسان

وللملائكة عمل في تدبير أمور الكون من إرسال الرياح والمواء ، ومن سوق السحب وإزالة المطر ، ومن إنبات النبات ، ونحو ذلك من الأعمال الخفية على الأنظار التي لا تقع تحت الحواس .

وهم يلازمون الإنسان في حياته كلها ، وبعد مماته ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء ، وعند الجماع ، فاستحيوهم وأكرمهم » .

تنشيط القوى الروحية الكائنة في الإنسان بإلهام الحق والخير .

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إن للشيطان لمة^(١) ، وابن آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان ، فيأبىء بالشر وتكذيب الحق ، وأما لمة الملك ، فيأبىء بالخير وتصديق الحق ، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله ، وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتموذ من الشيطان ثم قرأ :

(١) اللمة كهمة : الخطرة بالقلب . لمة الشيطان وسوسته بالسوء ، ولمة الملك

وحيه بالخير .

« الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ، وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »^(١) .

دعاء الملائكة للمؤمنين

والله سبحانه لسعة مغفرته ، ولحبه لعباده ، يلهم ملائكته أن يضرعوا إليه بالدعاء ، ويسألوه برحمته التي وسعت كل شيء ، وعلمه الذي وسع كل شيء ، أن يفر للتائبين ، ويدخلهم في عبادة الصالحين :

« الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَبُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ أَتَقْوُزُ الْعَظِيمُ »^(٢)

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يدعوان ، يقول أحدهما : اللهم أعط ممسكا تلقا . ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا .

تأمينهم مع المصلين

والملائكة تؤمن مع المصلين ، فمن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(١) سورة البقرة آية ٢٦٨ (٢) سورة غافر آية ٧ -- ٩ .

« إذا قال الإمام « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فقولوا : آمين^(١) ، فإن الملائكة يقولون : آمين ، وإن الإمام يقول : آمين ، فن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه^(٢) » .

حضورهم صلاة الفجر والعصر من كل يوم

روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر ، يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم .
« وَقُرْآنَ الْفَجْرِ^(٣) إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا »^(٤) .

وروى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون » .

نزولهم عند قراءة القرآن

وهم ينزلون عند قراءة القرآن ، ويستمعون إليه :
فمن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن أسيد بن حضير بينما هو فى ليلة يقرأ

(١) أى قولوا آمين مع الإمام مع اللواقحة له
(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائى (٣) أى صلاة الفجر : ٣٢٤
(٤) سورة الإسراء آية ٧٨

في مربده^(١) إذ جالت فرسه ، فقرأ ، ثم جالت^(٢) أخرى ، فقرأ ، ثم جالت أيضاً . قال أسيد ، تخشيت أن تطأ بحبي فقامت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسي ، فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها . فقال : ففدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ابن حضير . قال فقرأت ، ثم جالت أيضاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ابن حضير قال : فقرأت ، ثم جالت أيضاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ابن حضير . قال : فانصرفت وكان يحبي قريباً منها خشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما استتر منهم^(٣) .

حضورهم مجالس الذكر

وهم يلتصقون حلقات الذكر لإمدادهم بالقوى الروحانية .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتصقون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا . قال : فيسألهم ربهم ، وهو أعلم بهم ما يقول عبادي ؟ قال يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ويمجدونك ، ويمجدونك ؟ قال فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون لا والله يا رب

(١) لا بد : الجرن (٢) جالت : وثبت

(٣) رواه البخاري ومسلم ، واللفظ له .

ما رأوك قال : فيقول : كيف لورأوني ؟ قال يقولون : لورأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً ، قال فيقول : مم يسألوني ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة . قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون لا والله يارب ما رأوها ؟ قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعبدون ؟ قال : يقولون يتعبدون من النار . قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله ما رأوها . قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة . قال فيقول : أشهدكم أني قد غفرت لهم ، قال يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة ، قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم . رواه البخاري واللفظ له ومسلم . ولفظه قال :

« إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الله ، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قدموا معهم ، وصف بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملثوا ما بينهم وبين السماء ، قال : فيسألهم الله عز وجل — وهو أعلم بهم — من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ، ويكبرونك ، ويهللونك ، ويحمدونك ويسألونك . قال : فما يسألوني ؟ قالوا يسألونك جنتك . قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا لا يارب — قال : وكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك قال : ومم يستجيرونني ؟ قالوا : من نارك يارب . قال : هل رأوا ناري ؟ قالوا : لا يارب . قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك . قال : فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا . قال يقولون : رب فيهم فلان عبدٌ خطاء إنما مر جلس معهم ؟ قال فيقول : وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

صلاتهم على المؤمنين وخاصة أهل العلم منهم
 « هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » (١) .

وعن أبي أمامة أن رسول الله قال : « إن الله وملائكته وأهل السموات
 والأرض ليصلون على معلم الناس الخير » (٢)

تبريكهم أهل العلم وتواضعهم لهم
 عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » (٣)
 حملهم البشريات

روى مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 زار رجل أخا له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته (٤) ملكا ، فلما أتى
 عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لي في هذه القرية قال : هل لك عليه من
 نعمة تربتها (٥) ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله
 إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه

إعلانهم عن محبة الله وعن يفضيه
 بقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

(١) سورة الأحزاب آية ٤٣ (٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن

(٣) رواه أبو داود والترمذي (٤) مدرجته : طريقه

(٥) تصلحها

« إن الله تعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال :

« إني أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى في السماء فيقول : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض .

وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول :

« إني أبغض فلانا ، فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في أهل السماء إن الله أبغض فلانا فأبغضوه ، ثم يوضع له البغضاء في الأرض ^(١) »

كتابهم الأعمال :

وهم يكتبون أعمال الإنسان ، ويحسون عليه حسناته وسيئاته .

« وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مِثْلَ دُحْدُوحٍ ۖ إِنْ يَنْتَظِرْ إِلَّا لِيُتَلَقَّى الْمَلَكُ الْيَمِينِ ۖ وَالْمَلَكُ الْيَمِينُ يُعْطِيهِ سَبْعِينَ أَلْفًا مِّنْ حَسَنَاتٍ ۚ وَإِذَا رَجَعَهُ إِلَىٰ رَبِّهِ رَاقِبٌ عَلِيمٌ ۚ » ^(٢)
« وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ » ^(٣) .

(١) رواه مسلم

(٢) قال الحسن في قول الله « عن اليمين وعن الشمال قعيد » : يا ابن آدم : بسطت لك صحيفة ، ووكل بك ملكان كريمان : أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك : فأما الذي عن يمينك ، فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت ، أقل ، أو أكثر . حتى إذا مت طويت صحيفةك ، وجملت في عنقك ملك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه » .. الآية ثم يقول الحسن : عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك . (٣) سورة ق آية ١٦ (٤) سورة الانفطار آية ١٠-١٢

« أَمْ أَمْرًا مُبْرَمًا فَإِنَّا مُبْرَمُونَ ، أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ، بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ »^(١)

ويسجلون هذه الأعمال عندهم في سجل لكل فرد ، ثم تعرض يوم الحساب :
« وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا »^(٢)
وفي أثناء العرض يشهدون على ما عمل الإنسان من خير أو شر :

« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ »^(٣) .

تثبيت المؤمنين

وهم يثبتون المؤمنين بما يلقونه في قلوبهم من التأييد :
« إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ،^(٤) .
« لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ »^(٥)

(١) سورة الزخرف آية ٧٩ ، ٨٠ (٢) سورة الإسراء آية ١٣ ، ١٤

(٣) سورة ق آية ٢٠ - ٢٢ (٤) سورة الأنفال آية ١٢

(٥) المقصود بالروح هنا روح القدس وهو جبريل . سورة المجادلة : ٢٢

وهم موكلون بقبض الأرواح

« حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ^(١) ،
« قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ^(٢) .

وهم يحيون الطيبين تحية طيبة عند قبض أرواحهم

« الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ^(٣) .

ويبشرونهم بالجنة :

« إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا
تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا
مَا تَدَّعُونَ ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ^(٤) .

أى إن الذين آمنوا بالله إيماناً حقاً ، واستقاموا على الطريق الذى رسمه لعباده ،
فإن الملائكة تنزل عليهم عند الموت وتقول لهم : لا تخافوا مما أمامكم من أهوال
القبر وعذاب الآخرة ، ولا تحزنوا على ما تركتم وراءكم من أموال وأولاد ، وأبشروا
بالجنة التى وعدكم الله بها . . .

بينما يمتحنون الفسقة ، ويضربون وجوههم وأديبارهم

« الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا : فِيمَ كُنْتُمْ ^(٥) .

(٢) سورة السجدة آية ١١

(١) سورة الأنعام آية ٦١

(٤) سورة فصلت آية ٣٠ - ٣٢

(٣) سورة النحل آية ٣٢

(٥) سورة النحل آية ٢٨

« وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ »^(١).

الإيمان بالملائكة

وإذا كان هذا هو شأن الملائكة في عالم الروح ودورهم الإيجابي في الكون والطبيعة ، وإذا كانت هذه هي صلتهم بالإنسان في هذا العالم ، وفي العالم الذي يأتي بعده — كان من الواجب الإيمان بوجودهم ، ومحاولة الاتصال بهم عن طريق تزكية النفس وتطهير القلب وعبادة الله عبادة خاشعة :

وفي الاتصال بالملائكة سمو للروح وتحقيق للحكمة العليا التي خلق الإنسان من أجلها ، وهي أداء أمانة الحياة ، والقيام بالخلافة عن الله في الأرض .

ولهذا كان الإيمان بالملائكة من البر ، ومن دلائل الصدق والتقوى
« وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ »^(٢).

إن الإيمان لا يكون له حقيقة إلا إذا آمن الإنسان بهذا العالم الروحي إيماناً لا يتطرق إليه الشك ، ولا تتسرب إليه الظنون .

وهذا هو نهج الأنبياء والمؤمنين الذين انكشفت الحقائق أمام أبصارهم ، فأدركوا من الكون ما لم يدركه الغافلون .

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ »^(٣).

(٢) سورة البقرة آية ١٧٧

(١) سورة الأنفال آية ٥٠

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥

إن هذا العالم النبى لا يدرك بالحس ولا بالعقل ، بل إن الشياطين لا يمكنهم الوصول إليه :

« لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ » ^(١) .

وسبيل معرفته هو الوحي لأنه غيب من النيوب .

« قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ، قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ، مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ، إِنْ يَوْحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ » ^(٢) .

وكل ما يجب الاهتمام به أن تؤمن بهم ، وزعى حق محبتهم ووثق صلتنا بهم كما أرشد الرسول :

« إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع ، فاستحيوهم ، وأكرمهم »

٤

(١) الصفات آية ٨

(٢) سورة ص آية ٦٥ — ٦٧

(٩ — الطه)

الجن ...

- من ١٤
- طريق العلم بهم
- المادة التي خلقوا منها
- ملواتهم
- الجن مكلفون بالبشر
- استماعهم القرآن من الرسول
- الجن لا يعلم الغيب
- تسخير الجن لسلطان
- إبليس والشياطين
- كل انسان معه شيطان
- الإعراض عن هداية الله يمكن للشيطان
- التحذير من عداوة الشيطان
- لا سلطان للشيطان على المؤمنين
- مقاومة الشيطان
- حكمة خلق إبليس

الجن نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الإنسان ،
ولكنهم مجردون عن المادة البشرية ، مستترون عن الحواس ، لا يَرَوْنَ على طبيعتهم ،
ولا بصورتهم الحقيقية ، ولهم قدرة على التشكل .

طريق العلم بهم

والطريق الذى يوصلنا إلى العلم بهذا العالم هو الوحي ، وقد هداانا الكتاب
والسنة الصحيحة عن أصل للمادة التى خلقوا منها ، وعن طوائفهم ، وعن مصير كل
طائفة ، وعن تكليفهم واستماعهم القرآن من الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

المادة التى خلقوا منها

يقول الله سبحانه وتعالى فى أصل المادة التى خُلِقَ منها الجنّ :
« وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ، وَالْجَانَ خَلَقْنَاهُ
مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُومِ »^(١) .
والآيتان تدلان على :

١ — أن الإنسان فى أول أمره خلق من تراب ، ثم عجن بالماء ، فصار طيناً ،
ثم مكث حتى صار حمأ^(٢) مسنوناً ، ثم ييس هذا الحمأ المتغير الرائحة حتى صار
صلصالاً^(٣) .

(١) سورة الحجر آية ٢٦ ، ٢٧

(٢) الحمأ طين أسود متغير ريحه من طول مجاورته للنساء .

(٣) أى يظهر صوته إذا قر عليه

٢ - وأن الجان في أول أمره خلق من نار لا دخان فيها ؛ لأن السموم هو
لهب النار الخالص .

٣ - وأن خلق الجان سابق لخلق آدميين .

طوائف الجن

والجن طوائف :

فمنهم الكامل في الاستقامة والطيبة وعمل الخير .

ومنهم من هو دون ذلك .

ومنهم البله المفلون .

ومنهم الكفرة ، وم الكثرة الكاثرة .

يقول الله سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن :

« وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا » (١) .

أى أن منهم الكاملون في الصلاح ، ومن هم أقل صلاحاً ، فهم مذاهب
مختلفة كما هو الحال عند البشر

ويقول الله عنهم :

« وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ، فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا
رَشَدًا وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا » (٢) .

أى أن منهم المسلمين ، ومنهم الظالمين أنفسهم بالكفر ، فمن أسلم منهم فقد
قصد الهدى بعمله ، ومن ظلم نفسه فهو حطب جهنم .

الجن مكلفون بالبشر

والجن مكلفون كالإنس ورسلهم من البشر . يقول الله سبحانه :

« يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ بِقُصُوصٍ عَلَيْكُمْ
آيَاتِي وَيُنذِرُكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا ؟ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا ، وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ » (١)

« سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ، فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ، يَا مَعْشَرَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّي اسْتَطَعْتُ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَاتَّقُوا لَا تَفْتَدُونِ إِلَّا بِسُلْطَانٍ قَبَائِلُ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » (٢) .

ومعنى الآيات : ستفرغ لكم لحسابكم حساباً دقيقاً لا يشغلنا عن ذلك شيء
يأَيُّهَا الثَّقَلَانِ .

والثَّقَلَانِ معنى قهلا وهما ، الجن والإنس .

يا جماعة الجن والإنس إن قدرتم أن تفروا من جانب من جوانب السموات
والأرض للهرب من الحساب ففروا ، واهربوا ، ولكن لن تستطيعوا ذلك
إلا بالقوة التي تفوق قوة الله ، وذلك لا يكون لاستحقاقه .

استماعهم القرآن من الرسول

وقد حضر وفد من الجن ، وسمعوا القرآن من النبي صلوات الله وسلامه عليه ،
ولم يرم وقت وجودهم ، ولم يعلم بحضورهم .
وفي ذلك يقول الله سبحانه :

« وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، فَلَمَّا حَفَرُوهُ قَالُوا
أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قَالُوا : يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا
أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ
مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ
وَيُجْزِيَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ ، فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » (١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال :

« ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ، ولا رآهم . انطلق صلى الله
عليه وسلم في طائفة من أصحابه حامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا :
مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذلك
إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمر نفر الذين أخذوا
تهامة بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما
سموا القرآن استمعوا له ، وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى
قومهم وقالوا : « يا قومنا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا مَجْبًى يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ
نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا » فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ » (٢) .

وقال الحافظ البيهقي : وهذا الذى حكاه ابن عباس رضى الله عنهما ، إنما هو
أول ما سمعت الجن قراءة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وعلمت

(١) سورة الأحقاف آية ٢٩ - ٣٢

(٢) رواه الشيخان والترمذى والنسائى والبيهقى

حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ، ولم يرم ، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن ، فقرأ عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله عز وجل . . . انتهى

وهذا يشير إلى ما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : هل سحّب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد ؟ قال : ما سحبه منا أحد ، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة ، وهو بمكة فقلنا : اغتيل ، أو استطير ، ما فعل به ؟ فبقنا بشر ليلة بات بها قوم ، حتى إذا أصبحنا ، أو كان في وجه الصبح ، فإذا نحن به يبحى من حراء ، قال : فذكروا له الذي كانوا فيه ؛ فقال : أتاني داعي الجنة ، فأتيتهم ، فقرأت عليهم ، فانطلق ، فأرانا أثرهم وأثر نيرانهم ، وسألوه الزاد ، فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً ، وكل بكرة أوروثة علف لدوابكم .

الجن لا علم له بالغيب

علم الغيب مما استأثر الله به ، والله لا يطلع أحداً على غيبه ، إلا إذا أراد أن يبلغ من ارتضاه من رسله ما يريد إبلاغه للناس .

« عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا » ^(١)

أى أنه يحمل حرصاً حول هذا الرسول الذى أطلعه على بعض الغيب المعلق برسلته ، وهذا الحرص من الملائكة والشهب لحفظ هذا الغيب من تلاعب الشياطين .
وفي قصة سليمان يقول القرآن الكريم :

فَلَمَّا قُضِيَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَنَادَتْ
مُتَسَاتِّعَةً فَلَمَّا خُرَ تَبَيَّنَتِ الْإِنُّ أَنْ أَوْكَاتُوا يُعَامُونَ الْغَيْبَ فَأَنبَأُوا لِي
الْعَذَابِ الْعَظِيمِ ۝ (١)

تفسير الجن لسلطان عليه السلام

والله سبحانه سخر الجن لسلطان، ولم يحدث ذلك لغيره لما نعم :
« فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٢) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ
بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣) وَآخَرِينَ مَقْرُونِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ
أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝ (٥)

« وَمِنَ الْإِنُّ مَنْ يَمْلِكُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُلْقِي رَبُّهُ وَمَنْ يَرْغَبُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا
لَذَلِكَ مِنْ عَذَابِ الشَّعْرِ ، يَمْلِكُونَ لَهُ قَائِلًا مِنْ مَنَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَخِطَانٍ
كَالْجَوَابِ وَالدُّوْرِ وَأَسْبَابٍ ۝ (٦)

وطلب سلطان من جلشاله أن يأمره أحد منهم بهرشي باتيس ، فقال :
« أَيْكُمْ يَا بَنِي يَهُودِيَّهَا قَبْلُ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ : قَالَ عِزْرَبْتُ مِنْ
الْإِنُّ أَنَا أَتَيْتُكَ بِهِ قَبْلُ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ أَقْوَى أَمِينٍ ۝ (٧)

(١) سورة سبأ آية ١٤

(٢) أصاب : أراو (٣) غواص في البحار لا يستخرج الثؤلؤل

(٤) مربوط بعضهم مع بعض في السلاسل

(٥) سورة من آية ٤٩ = ٤٩

(٦) سورة سبأ آية ١٢ ، ١٣ (٧) سورة النمل آية ٢٨ ، ٢٩

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « إن غريبتا من الجن تفلت البارحة ؛ ليقطع على صلاتي ، فأمكنى الله منه ،
 فأخذته ، فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ،
 فذكرت دعوة أخى سليمان : « رب هب ملكاً لا ينبئ لأحد من بدي » ،
 فردته خائفاً .

إبليس والشياطين

إبليس اسم أجمعى ، ولهذا كان ممنوعاً من الصرف ، وقيل : إنه عربى مشتق من
 الإبلاس ، وهو اليأس من رحمة الله ، أو الإبساد عن الخير . . . ومنع من الصرف لأنه
 لا نظير له فى الأسماء ، أو لأنه يشبه الأسماء الأجمعية .
 وهو أبو الشياطين ^(١) ، وأصلهم الأول ^(٢) .

والشياطين هم المتمردون من عالم الجن .
 وإذا كانت الملائكة هم جند الله الذين يمثلون الخير والفلاح والصلاح ، فإن
 إبليس ومن معه من الشياطين هم أعداء الله الذين يمثلون الشر والفساد ، فأعمال
 الملائكة والشياطين على طرفى تقيض .

إذ أن أعمال الملائكة تتجه أول ماتجه إلى عبادة الله ، وترقية الحياة ، وتنظيم
 أمر هذا الوجود . ، وإقامة معالم النظام ، وهى تعمل دائماً على التأليف والتجسيم
 والتنسيق ، وهداية الإنسان إلى الحق ، ودعاء الله أن يفر له سيئاته ويحفظه منها .

(١) الشياطين جمع شيطان ، والشيطان كل متمرد من الإنس أو الجن أو
 الحيوان ، والقصود بهم هنا المتمردون من عالم الجن

(٢) وهو سيقى إلى يوم القيامة ، فقد طلب إنظاره فأجابه الله « إنك من النظرين .
 إلى يوم الوقت المعلوم » ، وله ذرية : « أفتخذونه وذريته أولياء من دونى . الكهف .

أما أعمال الشياطين فهي تتجه دائماً الى التمرد على الله ، والى التفريق والتمزيق والتخريب والتدمير ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ووصل ما أمر الله به أن يقطع فما من شر فى الأرض ، ولا فساد فى الوجود إلا ولهم به صلة .

وهم الذين زينوا للامم السابقة سوء العمل ، وحسنوا لهم الكفر والمعاصي ، ودعواهم الى تكذيب الرسل ومخالفة أوامر الله ، ولا تزال هذه أعمالهم

« تَاٰلَہٗٓ قَدْ اَرْسَلْنَا اِلَیْ اُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَّ لَہُمُ الشَّیْطَانُ اَعْمَاٰلَہُمْ فَہُوَ وِلَیُّہُمُ الْیَوْمَ وَلَہُمْ عَذَابٌ اَلِیْمٌ » (١)

وعن عیاض المجاشی ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال ذات يوم فى خطبته :

« ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا ، كل مال نخلته عبداً حلالاً (٢) وإنى خلقت عبادة حنفاء كلهم (٣) وإنهم أتتهم الشياطين فاجتاتهم عن دينهم ، (٤) وحرمت عليهم ما أحلت لهم ، (٥) وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض ، ففقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل

(١) سورة النحل آية ٦٣ .

(٢) أى وقال ربى كل مال أعطيته لعبدى من طريق مشروع فهو حلال له كمنفعة من ذى سلطان وهدية من بعض الناس وصناعة وزراعة ووظيفة ونحوها فلا نحر مواطلى أنفسكم ما لم يحرم الله عليكم

(٣) أى على الفطرة مستمدين لقبول الهداية .

(٤) ذهب بهم للباطل .

(٥) من الأنعام كالبحيرة ونحوها

الكتاب^(١) ، وقال إنما بمشك لأبتليك ، وأبتلى بك^(٢) وأنزلت عليك كتابا لا يفسله الماء تقرؤه نائما ويقظان »^(٣)

فالشياطين هي التي دعت إلى تحريف الدين، والخروج على الفطرة، وإلى الإشرار بالله، وحرمت الحلال، وأحلت الحرام ، ولا تزال الشياطين تقعد للانسان بكل طريق صادة عن سبيل الله ومحاولة صرفه عن جلائل الأعمال .

ففي حديث سيرة بن فاكه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق :

فقعد له بطريق الإسلام فقال أنسلم ، وتترك دينك ودين آبائك ؟ فمصاه ، وأسلم ،
ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر ؟ أتدع أرضك وسماؤك ؟ فمصاه وهاجر
ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال أتمجاهد وهوتلف النفس والمال ، فقتل ، فقتل
فتكح نساؤك ويقسم مالك ؟ فمصاه وجاهد .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك ، فإت كان حقا على الله
أن يدخله الجنة .

والشيطان هو الذي قام بدور رئيسي في القضاء على دعوة الإسلام في أول
صدام له مع أعدائه

(١) نظر إلى أهل الأرض فغضب عليهم غضبا شديدا قبل بمئة نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم الا فرقا من أهل الكتاب الأول لم يغيروه

(٢) لأبتليك هل تقوم بحق الرسالة أولا وأبتلى بك الناس هل يؤمنون بك
أو يكفرون

(٣) لا يفسله الماء لأنه ليس في صحف بل محفوظ في الصدور بقرآن في كل حال

« وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ
وَأَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ، فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَمَتِ عَلَىٰ عِصْيَانِهَا وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (١)

وهذا الشيطان هو الذي يزين لسكل فرد ما تنهوا إليه نفسه ، ويميل إليه هواه
من حب للجنس ، أو طمع في المال ، أو حرص على المنصب ، أو تطلع إلى الجاه ، أو إيهار
للاستبداد ، أو ميل إلى الطغيان ، بل إنه يتسلط على المدينين أنفسهم ؛ ليزيدوا في
شرح الله أو يتقصوا منه ليطرأوا الدين لأهوائهم ، ويخضعوا لشهواتهم
وهو الذي يفرق البعداء والبغضاء بين الناس ، فيفرق بين الأخ وأخيه ، وبين
الزوج وزوجه ، وبين طوائف الأمة وجماعاتها .

وهو الذي يوقد نيران الحروب بين الأمم والشعوب ، ويهتف فيها تهلك
الحرث والنسل ، وتأتى على الأخضر واليابس
وكما كان الشيطان أقدر على الشر كان أقرب منزلة وأعلى قدراً لدى رئيسه
إبليس له الله .

عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراجه ، فأتاهم منه منزلة أعظمهم
فتنة .. يعني أحدهم ، فيقول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً ، ثم يبعث
أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال : فيدنيه منه ويقول :
نعم أنت »

إن الفساد الجنسي ، والفساد الخلقي ، والفساد الاجتماعي ، والفساد السياسي ، والفساد

الاقتصادى ، وكل ما يعانيه الإنسان من فتن وويلات إنما هو من قلاع إبليس وجنوده الأشرار ،

كل إنسان معه شيطان (١)

وكما أمد الله الإنسان بماله يهديه ويؤيده فإنه كذلك يمدد بشيطان يوسوس له ويزين له السوء ، ويغريه بالفكر ، ويدعوه إلى الفتنة ، يستوى في ذلك الأتقياء وغيرهم
 وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَفْسٍ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْعَيْنُ يُوعِي بِمَقْعَدِهَا إِلَى مَقْعَدِهَا وَغُرُوبِ الْقَوْلِ غُرُوبًا (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندي ليلاً ، فمرت عليه ، فجاء ، فرأى ما أضع ، فقال مالك يا عائشة أعرفت ؟
 قالت : وما لي لأبصار مثل على منك ؟ قال : أتد جاك شيطانك ؟ قلت : يا رسول الله أو منى شيطان ؟ قال : نعم : قلت : ومع كل إنسان شيطان ؟ قال نعم ، قلت : ومنك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربى أعانى عليه حتى أسلم » (٣)

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(١) إبليس في العقل ولا في العلم ما يمنع من روح شربه يحاول إغواء بني آدم ليتوابعه في حياتهم ، والعالم الروحاني عالم واسع ، وقد ثبت وجوده علينا ، وقد نص على البشر قرون وأزمان ولم يجدوا إلا الشكرويات والأرواح في حياتهم ، ثم اكتشفوها أخيراً ، فهل حينئذ كانوا يجهلون أنها كانت غير موجودة ، أم الجهل بالشيء لا يفي علم وجوده :

(٢) سورة الأنعام آية ١١٢ (٣) رواه مسلم

« ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرين من الجن . قالوا : واياك يا رسول الله ؟ قال : وياي الا أن الله أعانني عليه ، فأسلم فلا يأمرني الا بخير » ^(١)

الإعراض عن هداية الله يمكن للشيطان

والشيطان لا يتمكن من نفس الإنسان إلا إذا أعرض عن هداية الله ، وخرج عن النهج المرسوم .

فإذا أعرض الإنسان عن الطريق المرسوم له عاقبه الله بتمكين الشيطان منه ، فيوجهه وجهة الشر والفساد في كل قول وفي كل فعل .

« وَمَنْ يَشُؤْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ يَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ، حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ، وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْمَذَابِ مُشْتَرِكُونَ » ^(٢) .

ومع التمادى في النى والضلal يستحوذ الشيطان على النفس الإنسانية، ويستولى عليها استيلاء كاملا ؛ حتى يبلغ الإنسان أن يكون جنديا لإبليس ، أو عضوا في جماعة الشياطين .

« اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ . أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » ^(٣) .

(١) رواه مسلم (٢) سورة الزخرف آية ٣٦ ، ٣٩

(٣) سورة المجادلة آية ١٩

وحين يصل الإنسان إلى هذا المستوى ، ويهبط إلى هذا الدرك يكون قد بلغ النهاية في الأعطاط الروحي والكفر بذخائر النفس .

وفي هذا الدرك تختل المقاييس ، وتضطرب الموازين ، وتلبس الحقائق ، ويعلم سلطان الباطل ، وتسود شريعة الغاب ، ويتمادى الناس تعادى الحيوانات المفترسة ، ويصبح الإنسان وهو أبداع ما أنشأته العناية الإلهية أداة من أدوات الشر والفساد ، وعاملا من عوامل الهدم والتخريب .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوُّزُّهُمْ أَزًّا »^(١)

بل يصل الإنسان إلى الحالة التي يتبرأ الشيطان فيها منه .

« كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ »^(٢)

التحذير من عداوة الشيطان

إن الشيطان يمثل الشر في الأرض ، ويعمل دائماً على تدمير حياة الإنسان بزحزحته عن هداية الله ، وإبعاده عن منهج الحق والرشاد .

لهذا حذرنا الله من كيده ، وأخبره بعداوته ، ودعا إلى مقاومته بكل وسيلة حتى يضعف سلطانه ، وتخف شروره وآثامه ، فقال :

« إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ »^(٣)

(١) سورة مريم آية ٨٣ أى نفرهم بالعاصي إغراء وترجمهم إليها إزعاجاً شديداً .

(٢) سورة الحشر آية ١٦ . (٣) سورة فاطر آية ٦ .

وقص علينا من عداوته لأبينا آدم عليه السلام ما فيه العظة البالغة ، فقد استطاع أن يُغريه بالأكل من الشجرة ، وأن يخرج من الجنة بأكذبه وخداعه ، وأن يوقه في مخالفة أمر الله والرسال نبيه ، ثم قال عقب ذلك :

« يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْغَنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَفْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتُهُمَا إِنَّمَا رَأَوكُم هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ » (١) ،

وبين للإنسان ما أعده الشيطان على نفسه منذ خصومته لآدم ، أنه سيقعد على الصراط المستقيم بنوى الناس وبضلهم ، قال :

« أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرِهْتَ عَلَىٰ لَيْثٍ أُخْرُجَ إِلَىٰ يَوْمِ النِّبَاةِ لَا يَحْشَسُهُنَّ » (٢)
 ذُوَيْنَةُ إِلَّا قَلِيلًا ، قَالَ أَذُوبُ لَعْنُ قَبِيْلِكَ مِنْهُمْ فَإِنْ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءُ مَوْفُورًا ، وَاسْتَغْفِرُوا ^(٣) مَنِ اسْتَظَلَّتْ مِنْهُمْ يَهْوُوكَ ^(٤) وَأَجْلِبْ ^(٥) عَلَيْهِمْ بِخَبْلِكَ وَرَجِّعْهُم فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ، إِنِّي عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ » (٦) ،

وفي سورة الأعراف يقول الله تعالى :

« قَالَ قَيْمًا أَعُوذُنِي لِأَعْدَنِ لَهُمْ ، هَرَّاطَكَ ^(٧) الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَا يَنْفَعُهُمْ

(١) سورة الأعراف آية ٢٧ (٢) أنصرفني فيهم بالسوسة

(٣) الاستغفران : الخس بشدة (٤) وهوسك

(٥) أى صبح عليهم بحبلك مشاة وراكبين .

(٦) سورة الأعراف : ٦٤

(٧) أى على الصراط وهو طريق الله

مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ^(١) وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ^(٢) .

وكان حكمه هذا ظناً وقد تحقق :

« وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا قَرِيحًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »^(٣)

وفي سورة النساء يقول الله سبحانه :

« إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِىَ إِلَّا إِنَاءٌ^(١) وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا^(٢) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا^(٣) ، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ^(٤) ، وَلَأَمْلِكَنَّ^(٥) لَهُمْ^(٦) سُلُوكَهُمْ^(٧) فَسَيَكُونُ^(٨) فَتًى يَفْتَرُونَ^(٩) الْأَنَامَ^(١٠) وَلَا يَسْمَعُونَ^(١١) لِقَوْلِ اللَّهِ^(١٢) ، وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَدًّا^(١٣) خَسِرَ خُسْرَانًا^(١٤) مَبِينًا^(١٥) . يَدْعُهُمْ^(١٦) »

(١) أى لا يترك جهة إلا هم عليهم منها .

(٢) سورة الأعراف آية ١٦ . (٣) سورة صبا آية ٢٠ .

(٤) أصنام ذات أسماء مؤنثة — اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى —

(٥) شديد التمرد والمخروج على الطاعة

(٦) معها ومختاراً استيلاؤه عليه (٧) أضلنهم عن الحق بالسوسة

(٨) أى أن الشيطان حلف أن يأمر أتباعه بقطع آذان الأنعام تعظيماً للأصنام

وكان الوثنيون يقطعون آذان العائقة ويشقونها إذا ولدت خمس بطون وجاءت فى المرة الخامسة بذكر ، وكان ذلك علامة على أنها ملك للأصنام لا تتركب ولا ينفع بها أحد .

(٩) أى يأمرهم بسوء التصرف فيخبر خلق الله ولا سيما الدين الذى هو فطرة .

(١٠) يهدم بالفقر إذا اعتقروا فى سبيل الله وبالفنى إذا غشوا ولعبوا القمار مثلاً ونحو

ذلك . . ويعنيهم الباطل الذى لا حقيقة له . وما يهدم فى الحقيقة إلا بما يفر ويضر

وليس له أصل ولا نفع .

وَيُخَيِّبُهُمْ^(١) وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا^(٢) .

ويعلمنا أن الشيطان جاد في إلقاء خواطر السوء ، ومهمته بتقوية دواعي الشر والباطل في النفس الإنسانية .

« الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ »^(٣) .

أى أن الشيطان يوسوس للإنسان ، ويلقى في نفسه بأن الاتفاق يذهب بالمال ، ويأمره بالإسك والبخل والحرص على المال ومنع الزكاة .

ومن ثم كان من الواجب الحذر منه ، واتقاء شروره وآثامه .

« وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ »^(٤) .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ »^(٥) .

ومن أبلغ ما ذكره القرآن في الترهيب من متابعة الشيطان ما جاء في سورة الأنعام .

« وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَبِيماً : يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ، وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا »^(٦) .

أى أن الله يقول يوم الحشر للجن : قد استكثرتم من إغواء الإنس ، وقال

(١) يشغلهم بالأمانى الباطنة كطول العمر وعدم البعث والجزاء على العمل

حتى ينفلوا عن الاستعداد للقاء الله . (٢) سورة النساء آية ١١٧

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٨ : (٤) سورة الأنعام آية ١٤٢

(٥) سورة النور آية ٢١ (٦) سورة الأنعام آية ١٢٨

أتباعهم من الإنس : ربنا استمتع بعضنا ببعض أى استمتع الجن بالإنس حيث قادومهم ، وأخضعوهم لسلطانهم ، فكانت لهم لذة السيطرة ومتمتع الرياسة ، واستمتع الإنس بالجن حيث زينوا لهم الشهوات أو دلوهم عليها ، واستمر هذا الاستمتاع حتى بلغوا الأجل المقدّر لهم .

وفى مشهد من مشاهد القيامة يميز الله فيه الجرمين ، ويوجه اليهم الخطاب ناعياً عليهم طاعتهم للشیطان وعبادتهم له .

« وَامْتَازُوا ^(١) الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ أَلَمْ أَعْهِدْ ^(٢) إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ الْأَ تَعْبُدُوا ^(٣) الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ، وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ، وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا ^(٤) كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَفْقَهُونَ ^(٥) .

وفى مشهد آخر من مشاهد القيامة يخطب الشيطان في أتباعه موقعا اللوم عليهم فى ضلالهم ومتابعتهم له

« وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ^(١) .

قال ابن كثير : يخبر الله تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضى الله بين

(١) افردوا . (٢) العهد : الوصية

(٣) عبادة الشيطان طاعته والاستجابة له

(٤) جبلاً أقواماً (٥) سورة يس آية ٥٩ — ٦٢

(٦) سورة إبراهيم آية ٢٢

عباده ، فأدخل المؤمنين الجنات ، وأسكن الكافرين الدركات ، فقام فيهم إبليس لعنه الله يومئذ خطيباً ؛ ليزيدهم حزناً إلى حزنهم ، وغماً إلى غمهم ، وحسرة إلى حسرتهم ، فقال : « إن الله وعدكم وعد الحق » على السنة رسله ، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة ، وكان وعداً حقاً وخبراً صدقاً ، وأما أنا فوعدتكم ، فأخلفتكم ، كما قال الله تعالى « يمدم ويمنيهم وما يمدم الشيطان إلا غروراً »

ثم قال : « وما كان لي عليكم من سلطان » .

أى ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ، ولا حجة فيما وعدتكم به إلا أن دعوتكم ، فاستجبت لي بمجرد ذلك ، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به ، فخالقتموهم ، فصرتم إلى ما أنتم فيه « فلا تلوموني » اليوم « ولوموا أنفسكم » فإن الذنب لكم لكونكم خالقتهم الحجج ، واتبعتوني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل « ما أنا بمصرخكم » بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه ، « وما أنتم بمصرخي » بنافعي بافئذى مما أنا فيه من العذاب والنكال « إني كفرت بما أشركتنوني من قبل » قال قتادة : أى بسبب ما أشركتموني من قبل ، وقال ابن جرير : يقول إني جعلت أن أكون شريكاً لله عز وجل .. وهذا الذى قاله هو الراجح .. وحين يقف الإنسان وقربه أمام الله فى الآخرة يقول الإنسان : يارب هذا أضلنى عن الذكر بعد إذ جأنى ، فيقول شيطانه الذى وكل به : « ربنا ما أظنيتك ولكن كان فى ضلال بعيد » فيقول الله :

« لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ ^(١) وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ » ^(٢)

(١) أى لا تختصموا عندى فقد أعدت إليكم على السنة الرسل وأنزلت إليكم

الكتاب وقامت عليكم الحجج والبراهين . (٢) سورة ق آية ٢٧ — ٢٩

لا سلطان للشيطان على المؤمن

والإيمان يفيض على النفس إشراقاً ، ويجلأ القلب نوراً ، وإذا أشرفت النفس واعتصار القلب امتحن كل ما يوصون به الشيطان .

« فَلَمَّا قَرَأَ الْقُرْآنَ فَاعْتَمَدُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَكُونُ كَلِمَةً ، إِنَّمَا طُغْيَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُفَرِّقُونَ » (١)

وإذا لم بالقلب الوصول بالله من مس الشيطان فيء لشره ما يستعبط :

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْتَعِرُونَ » (٢)

وقد اعتصم الشيطان أن يهوى آدم بالأكل من الشجرة ، وأن يوقعه بها حابه الله عليه ، وأن يحرك في نفسه بواعث الهوى ودواعي الشر إغراء وخداعاً

« وَقَالَ تَايَهَا كَمَا رَبَّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَكْكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاعْتَهُمَا إِلَى نَارٍ فَاصِحَيْنِ ، فَبَدَّلَ لَهُمَا يَمْرُورَهُمْ لَعْنًا ذَاتَ الشَّجَرَةِ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَحَا بِخَمْرَيْنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرْدٍ »

(١) سورة النحل آية ٩٨ = ١٠٠ ، في الآية الأولى في سلطانه على المؤمنين المؤمنين ، وفي الثانية أبحث سلطانه على من تولاه وعلى أهل الشرك . . . والقصود بالسلطان الطريق الذي يسلط به على الغير بالإغراء والإضلال .

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠١ .

الْجَنَّةِ ، وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ^(١)

إلا أن نوازع الخير ودواعيه تيقظت في قلب آدم وحواء ، وعلمتا أنه خدعهما ومكر بهما ، فغلبت هذه النوازع والدواعي على وسوسة الشيطان وحظه من النفس ، فتابا إلى الله ، وأنايا قائلين :

« رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ^(٢)

فقبل الله توبتهما واستجاب دعاهما :

« فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » ^(٣)

« وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى » ^(٤)

وبالتوبة والإنابة إلى الله تغلب جانب الخير على جانب الشر ، ومتى تغلب جانب الخير على جانب الشر في نفس الإنسان تعرض لهداية الله ، وكان أهلا للاجتماع والاصطفاء .

والله لم يذكر لنا هذه القصة إلا لتكون مثلاً حياً لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان ، فالإنسان لم يخلق ملكاً منزهاً عن النقائص ، وإنما خلق وعنده استعداد للبر والإثم ، والصواب والخطأ ، والخير والشر ، والطاعة والمعصية ، والتقوى والفجور .

« وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » ^(٥)

(١) سورة الأعراف آية ٢٠ — ٢٢ (٢) سورة الأعراف آية ٢٣

(٣) سورة البقرة آية ٣٧ (٤) سورة طه آية ١٢٠ — ١٢١

(٥) سورة الشمس آية ٧ ، ٨

والإنسان بمقتضى خلافته عن الله فى الأرض مكلف بأن ينمى فى نفسه معانى البرِّ والصواب والخير والطاعة والتقوى ، وأن يقاوم نوازغ الإثم والخطأ والشر والفجور حتى يبلغ الكمال الروحى الذى أَراده الله له .

وفى هذه المركة يتدخل الشيطان ؛ ليصرف الإنسان عن تنمية قواه العليا من جانب ، وليضعف من روح المقاومة بطريق الخداع والإغراء والتزيين من جانب آخر . ومن ثم كان واجباً على الإنسان أن يحذر مكاييد الشيطان ويعرف أساليبه التى يتخذها ؛ ليصرف الإنسان عن وظيفته الأولى فى هذه الحياة .

فإذا زلت به قدم ، أو تورط فى الإثم ، أو جابه صواب ، أو مارس شراً ، أو اقترف موصية ، أو ارتكب فجوراً ، فأمامه السبيل الذى رسمه له أبوه آدم من التوبة ، واستئناف حياة أزكى وأطهر .

وبهذا يخلص الإنسان من سلطان الشيطان وسيطرته عليه .

• مقاومة الشيطان

إن الله لم يذكر فى القرآن النفس الأمارة بالسوء ، ولا النفس اللوامة إلا مرة واحدة ، ولكنه ذكر الشيطان وكرر التحذير منه فى صور متنوعة ، وما فعل ذلك إلا ليكون الإنسان منه على حذر ؛ كي لا يضل ، ولا يشقى ؛ ذلك أن عمل الشيطان فى النفس مثل عمل الميكروب فى الجسم ، والميكروب ينتهز فرصة ضعف الجسم فيهمج عليه محاولاً التغضاء عليه والفتك به ، ولا خلاص للجسم من عمل الميكروب إلا إذا كانت له حصانة ، وفيه مناعة تبطل عمل الميكروب ، وتقضى على ضراوته . وكذلك الشيطان ينتهز فرصة ضعف النفس ومرضها ، فيهمج عليها محاولاً إفسادها .

ولا خلاص منه إلا إذا صحت النفس من أمراضها ، التي هي المداخل الخفية للشيطان وسوسته .

وأعراض النفس التي هي مداخل الشيطان هي قائص الإنسان التي يجب عليه أن يتخلص منها حتى لا يكون للشيطان سبيل عليه ، وهذه الأمراض أو هذه القائص هي على سبيل المثال لا الحصر^(١) : الضعف ، والبأس ، والفتور ، والبطر ، والفرح ، والمجب ، والفخر ، والظلم ، والبنى ، والجحود ، والكثود ، والسجة ، والطيش ، والسه ، والبخل ، والشح ، والحرص ، والجلد ، والراء ، والشك ، والريية ، والجهل ، والنفقة ، والحد في الخصومة ، والفرور ، والادعاء الكاذب ، واللمع ، والجرج ، واللح ، والتمرد ، والعتاد ، والظنين ، وتجاوز الحدود ، وحب اللال والافتتان بالدنيا ، فهذه هي أمراض النفس ، وبواسطتها يدخل الشيطان ليدمر حياة الإنسان ، وليزحزحه عن فضائه العليا ، ولا سبيل إلى طرده ومعالجة وسوسته وإغوائه إلا إذا حولت النفس أولاً عن طريق المجاهدة حتى تبرا من هذه الأمراض جميعها ، وتعود إليها الصحة والعافية ، وتكون نفساً مطمئنة بالحق والخير .

وحينئذ يكون ذكر الله ، والاستعاذة به من الشيطان ، والتبرى من الحول والقوة ، وإسلام الوجه لقيوم السموات والأرض عما يقوى من معنويات الإنسان ، ويرفع من مستواه الروحي ، حتى يصل الإنسان إلى درجة يخاف فيها الشيطان من أن يلتاقه في طريق من الطرق . كما حدث لمر بن الخطاب رضي الله عنه . .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمر :

« يا بن الخطاب ما عليك الشيطان سالكا لجأ^(٢) إلا سلك لجأ غير فجلك »

(١) يراجع كتابنا عناصر القوة . (٢) لجأ : طريقاً .

إن سعادة الانسان لا تتم إلا بكبح جماح النفس ، والتغلب على هواها باتباع
وحى الله ، ومحاربة نزغات الشيطان .

« وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ
يَحْضُرُونِ » (١)

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْغَيْبِ وَالنَّاسِ » (٢) .

حكمة خلق إبليس

وقد يقال لم خلق الله إبليس يوسوس بالشر ، ويدعو إلى محادة الله ومحاربة
نعاليمه ، وقد أجاب عن ذلك بعض العلماء فقال :

أنه يظهر للعباد قدرة الله تعالى على خلق المتضادات المتقابلات . تخلق هذه الذات
التي هي أخبث الذوات وسبب كل شر ، في مقابلة ذات جبريل التي هي من أشرف
القوات وأطهرها وأزكاها . وهي سبب كل خير ، فتبارك الله خلق هذا وهذا .
كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار ، والدواء والداء ، والحياة ، وللموت .
والحسن والقبيح ، والخير والشر ، وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه
وسلطانه ، فانه خلق هذه المتضادات ، وقابل بعضها ببعض وجعلها مجال تصرفه
وتدبيره ، فخلو العالم عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكال تصرفه وتدبير مملكته
ومنها ظهور آثار أسمائه القهرية : مثل القهار . والتتقم . والعدل . والضرار ،
والشديد العقاب . والسريع الحساب . وذى البطش الشديد ، والخالق . والرافع .
والمعز . والمنزل . وأن هذه الأسماء والأفعال كالات لا بد من وجود متممها ، ولو كان
الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء .

ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة كلاً ، وعفوه ، ومفقرته ، وستره ، وتجاوزه عن حقه وعنته لمن شاء من عبيده ، فلو لخلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأشياء لتعطلت هذه الحكم والفوائد . وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله :

« لو لم تذبوا الذهب الله بكم ولجاء قوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم »^(١)

ومنها ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة ، فإنه الحكيم الخبير الذى يضع الأشياء مواضعها ، وينزلها منازلها اللائقة بها ، فلا يضع الشيء فى غير موضعه ، لا ينزله فى غير منزلته التى يقتضيه كمال علمه ، وتمام حكته ، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته ، وأعلم بمن يصلح لقبولها ، ويشكر له جميل صنعه ، وأعلم بمن لا يصلح لذلك ، فلو قور عدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة ، ولغات مصالح عديدة ، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر لتعطل الخير الذى هو أعظم من الشر الذى فى تلك الأسباب ، وهذا كالشمس والمطر والرياح التى فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر .

ومنها حصول الطاعات المتنوعة التى لو لا خلق إبليس لما حصلت ، فإن طاعة الجهاد من أحب أنواع الطاعات ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه الطاعة وتوابعها من الموالاة لله تعالى والمعاداة فيه ، وطاعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله تعالى ، والتوبة ، والاستغفار ، والصبر ، والاستعاذة بالله أن يجبره من عدوه ، ويعصمه من كيده وأذاه ، إلى غير ذلك من الحكم التى تعجز العقول عن إدراكها .

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه

الكتب السماوية

- الكتب المدونة
- القرآن الكريم آخر الكتب
- تحريف التوراة
- تحريف الإنجيل
- تصديق القرآن للكتب السابقة
- الطريق إلى الحقيقة

إِنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ كَمَالِهِ وَوُضُوعَهُ ، أَوْحَاهَا إِلَى رَسُولِهِ وَأَنْبِيَائِهِ ،
 مِنْهَا مَا يَدْعُونَ فِي كِتَابِهِ ، وَمِنْهَا مَا لَا يَعْلَمُونَ لَهَا بِهِ . فَكُلُّ نَبِيٍّ رَسُولُهُ يُلْقِيهَا قَوْمَهُ ،
 « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً » ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ،
 وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ « (١) » .
 « فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
 وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ » (٢) .

والكتب للنور هي :

التوراة التي نزلت على موسى

« إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
 الَّذِينَ هَدَوْنَا أَلِ الْرَبَّانِيَّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ
 شُهَدَاءَ » (٣) .

« وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ . إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ .
 قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْلُوهُ
 قَرَأْتُمْ تَبْدُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا » (٤) .

والإنجيل التي نزل على عيسى

« وَهَبْنَا عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مَرْيَمَ مُعَدِّدًا لِمَا يَنْ يَدِيهِ مِنَ التَّوْرَةِ

(٢) سورة آل عمران آية ١٨٤

(٤) سورة الأنعام آية ٩١

(١) سورة البقرة آية ٢١٣

(٣) سورة اللائدة آية ٤٤

وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ^(١) .

والزبور الذى نزل على داود
« وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا » ^(٢)

ومنها صحف إبراهيم وموسى
« أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ، أَلَّا تَزِرُ
وِازِرَةً وَزِرًا أُخْرَى ، وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى . وَأَنَّ سَمِيَهُ سَوْفَ
يُرى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى . وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى » ^(٣) .
« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ، بَلْ تُوفَّيرونَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى » ^(٤) .

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : « قلت : يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم ؟
قال : كانت أمثالا كلها :

أيها الملك المسلط ^(٥) للبتلى ^(٦) للفرور ^(٧) إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها
على بعض ، ولكنى بعثتك لتردعنى دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها وإن كانت من كافر .
وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله — أن يكون له ساعات :

(١) سورة المائدة آية ٤٦ (٢) سورة الاسراء آية ٥٥

(٣) سورة النجم آية ٣٦ — ٤٢ (٤) سورة الاعلى آية ١٤ — ١٩

(٥) للمسلط : صاحب السلطان النافذ (٦) للبتلى : المختبر بالحكم

(٧) للفرور : الناسى حقوق الله الذى أصابته الغفلة

فساعة ينجى ^(١) فيها ربه .

وساعة يحاسب فيها نفسه .

وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل

وساعة يخلو فيها لحاجته من الطعام والمشرب .

وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً ^(٢) إلا لثلاث :

تزود لمعاد ^(٣) أو لمعاش ^(٤)

أو لذة في غير محرم

وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً لسانه

ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه ^(٥)

قلت يا رسول الله :

فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟

قال : كانت عبراً ^(٦) كلها :

عجبت لمن أيقن بالموت ، ثم هو يفرح

عجبت لمن أيقن بالنار ، ثم هو يضحك

عجبت لمن أيقن بالقدر ، ثم هو ينصب ^(٧)

عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ، ثم اطمأن إليها

(١) ينجى : يدعو ربه

(٢) ظاعناً : مرتحلاً

(٣) عمل صالح للآخرة

(٤) سعى ليعيشه

(٥) يعنيه : يفيد

(٦) عبراً : عظات

(٧) ينصب : يتمب

عجبت لمن أبقن بالحساب غداً ، ثم لا يعمل

قلت يا رسول الله :

أوصنى ..

قال : أوصيك بتقوى الله ، فإنها رأسُ الأمر كله .

قلت : يا رسول الله زدنى

قال : عليك بتلاوة القرآن ، وذكر الله عز وجل ، فإنه نور لك في الأرض ،

وذكر لك في السماء

قلت : يا رسول الله زدنى

قال : إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ^(١) ، ويذهب بنور الوجه

قلت : يا رسول الله زدنى

قال : عليك بالجهاد فإنه رهبانية ^(٢) أمتى .

قلت : يا رسول الله زدنى .

قال : أحبَّ المساكين وجالسهم .

قلت : يا رسول الله زدنى .

قال : انظر إلى من هو تحتك ، ولا تنظر إلى ما هو فوقك ؛ فإنه أجدر أن

لا تزدري نعمة الله عنك .

قلت : يا رسول الله زدنى .

قال : قل الحق وإن كان مرأاً .

(١) فلا يتأثر بالمواعظ (٢) انقطاع إلى طاعة الله وتبذل

قلت : يا رسول الله زدنى .

قال : ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ، ولا تجد عليهم فيما تآتى ، وكفى بك عيياً أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك ، وتجد عليهم فيما تآتى .

ثم ضرب بيده على صدرى .

فقال : يا أبا ذر لا عقل كالندير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب^(١) كحُسن الخلق^(٢) .

والقرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية نزولا :

« اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ^(٣) .

مزايا القرآن

وللقرآن الكريم مزايا تميزها عن الكتب السماوية التي تقدمته وهي :

١ — أنه تضمن خلاصة التعاليم الإلهية التي تضمنتها التوراة والإنجيل وسائر ما أنزل الله من وصايا ، وأنه مؤيد للحق الذي جاء بها : من عبادة الله وحده والإيمان برسله ، والتصديق بالجزاء ، ووجوب إقامة الحق ، والتخلق بمكارم الأخلاق .
« وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ^(٤) »

(١) شرف

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح الأسناد .

(٣) سورة آل عمران آية ٢ ، ٣ ، ٤

(٤) المقصود من الكتاب هنا الجنس فيشمل التوراة والإنجيل .

وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ . فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۝ (١) .

أى أن الله أنزل القرآن الكريم على النبي مقترناً بالحق في كل ما جاء به ، ومصداقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية التى أنزلها الله على الأنبياء السابقين ، ورقباً عليها : بقر ما فيها من حق ، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتصحيف ، ثم يأمر الله نبيه أن يحكم بين الناس : مسلمين وكتائبين بما أنزل الله فى القرآن متجنباً أهواءهم .

وأنه سبحانه جعل لكل أمة شريعة وطريقة فى الأحكام العملية تناسب استعدادها . أما أصول العقائد والعبادات والآداب والحلال والحرام وما لا يختلف باختلاف الزمان والمكان فإنها واحدة فى الأديان كلها .

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۝ (٢) »
ثم نسخت الأحكام العملية السابقة بالشريعة الإسلامية ، والأحكام النهائية المخالدة الصالحة لكل زمان ومكان .

وأصبحت العقيدة واحدة ، والشريعة واحدة للناس جميعاً .

٢ - ونعالم القرآن هى كلمة الله الأخيرة لهداية البشر أراد الله لها أن تبقى على الدهر ، وتخلد على الزمن ، فصانها من أن تمتد إليها يد بالتحريف ، أو التصحيف ، أو التفسير ، أو التبديل .

« وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »^(١)

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »^(٢)

والنباية من ذلك أن تبقى حجة الله على الناس قائمة حتى يرث الله الأرض
ومن عليها .

٣ — وهذا القرآن الذى أراد الله له الخلود لا يتصور أن يأتى يوم يصل فيه
العلم إلى حقيقة ما تتعارض مع أى حقيقة من حقائقه ، فالقرآن كلام الله والكون
عمل الله ، وكلام الله وعمله لا يتناقضان أبداً ، بل يصدق أحدهما الآخر ، ومن ثم فقد
جاءت الحقائق العلمية مصدقة لما سبق به الكتاب ، تحقيقاً لقوله سبحانه :

« سَفَرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ
يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »^(٣)

٤ — والله يريد لكلمته أن تداع ، وتصل إلى العقول والأسماع ، وتتحول
إلى واقع عملى ، ولا يتم ذلك إلا إذا كانت ميسرة للذكر والحفظ والفهم ، ولهذا
جاء القرآن سهلاً ليس فيه ما يشق على الناس فهمه ، أو يصعب عليهم العمل به .

« وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ »^(٤)

ومن تيسيره أن حفظه الرجال والنساء والصغار والكبار والأغنياء والفقراء
ويرددونه فى البيوت والمساجد ، ولا تزال أصوات القراء تدوى به فى كل ناحية ،

(١) سورة فصلت آية ٤١ ، ٤٢ (٢) سورة الحجر آية ٩

(٣) سورة فصلت آية ٥٣ (٤) سورة القمر آية ١٧

ولا نعلم أن كتاباً من الكتب غير القرآن نال من هذه الليرة بعض ما اختص به القرآن الكريم .

والقرآن بهذا لا يساميه أو يقاربه كتاب آخر في تأثيره وهدايته ، ولا في موضوعه وسمو أغراضه . ومن ثم كان خير الكتب وأفضلها على الإطلاق .

تحريف التوراة

إن الإيمان بالتوراة التي نزلت على موسى ، ركن من أركان الإيمان ، وقد أخبر الله أن فيها هدى ونوراً وأثنى عليها بقوله :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ »^(١)

إلا أن هذه التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام غير موجودة بالمرّة ، كلهم مسلم من الجميع .

أما التوراة المتداولة الآن فقد قام بكتابتها أكثر من كاتب ، وفي أزمان مختلفة .

وقد دخلها التحريف ، يقول للرحوم الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى :

« ومن أدلة التحريف الحسية أن التوراة المتداولة لدى النصارى تخالف

التوراة المتداولة عند اليهود » انتهى .

وقد أثبت القرآن هذا التحريف ، ونهى على اليهود التفسير والتبديل الذى أدخلوه

على التوراة .

« أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا بِكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِسْمْعُونَ كَلَامَ اللَّهِ

ثُمَّ يَعْزِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَصْلَحُونَ »^(٢)

فهم تجردوا على كتاب الله ، فحرفوه ليخفوا ما فيه من الحق ، ونسوا قدراً مما ذكرهم الله به في التوراة .

فالذي عندهم من التوراة الصحيحة هو بعضها فقط .

« وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ »^(١)

وأول دلائل على صحة نقد القرآن للتوراة المتداولة ، وأنها ليست كلها هي توراة موسى ، التي جعلها الله نوراً وهدى ، ما جاء في التوراة من وصف الله بما لا يليق بجلاله وكلامه ، ففي سفر التكوين (٣ : ٢٢) وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر .

وفيه « ٦ : ٦ » « فخرن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه » .

فهل بمقل أن هذا من كلام الله ، وهل يصح أن ينسب إليه الحزن والأسف على شيء عمله .

وكذلك ما جاء فيها مما يمس شرف الأنبياء ويتناقى مع ما لهم من عصمة ومكانة رفيعة وخلق متين ، فقالوا عن إبراهيم : إنه كذاب ، وأن لوطاً زناً بابنتيه وهرن دعا الإسرائيليين إلى عبادة العجل ، وداود زناً بزوجة أوريا ، وسليمان عبد الأصنام لإرضاء لزوجته .

فهل ثمة دليل على التعريف أقوى من هذا ، لقد اضطر النقاد من مصلحي اليهود أنفسهم إلى الاعتراف بهذه الحقيقة : وأن التوراة قد حرّفت وقد أورد مذهبهم حاخام باريز أجوليان ويل في كتابه اليهودية .

تحريف الإنجيل :

والإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام هو مثل التوراة التي نزلت على موسى ، كلاهما كلام الله ، وفيهما هدى ونور إلا أن الإنجيل قد لحقه ما لحق التوراة من التحريف :

« وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ » ^(١).

ويكفي لصحة التدليل على التحريف في الأناجيل المتداولة بأيدي النصارى الآر ، أنها أربعة اختيرت من عو سبعمين انجيلا ، وهذه الأناجيل تناولت اكتابة عن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام . ومؤلفوها معروفون ، وأسماءهم مكتوبة عليها وقد قرر نقاد المسيحيين أنفسهم أن عقائد الأناجيل هي رأى بولس دون سائر الحواريين ودون أقرب الأقربين إلى عيسى .

وقد وجد في مكتبة أمير من الأمراء في باريس نسخة من إنجيل برنابه ، وقد طبعته مطبعة الناربمد ترجمته إلى العربية ، وهو يخالف الأناجيل الأربعة مخالفة كبيرة .

معنى تصديق القرآن للكتب السابقة :

وإذا كان التحريف في التوراة والإنجيل ثابتا ثبوتا حقيقيا لاريب فيه بنص القرآن من جهة ، وبالأدلة الحسية من جهة أخرى ، فما معنى أن القرآن جاء مصدقا لما تقدمه من الكتب الإلهية ؟ .

معنى ذلك أن القرآن جاء مؤيداً للحق الذى ورد فيها كما سبقت إليه الإشارة من عبادة الله وحده والإيمان برسله ، والتصديق بالجزاء ، ورعاية الحق والعدل ، والتخلق بالأخلاق الصالحة . وهو فى الوقت ذاته مهيمنا عليها ومبيناً ما وقع فيها من أخطاء وأغلاط ، وتحريف وتصحيف ، وتغيير وتبديل .

وإذا انتفت هذه الأخطاء التى أدخلها رجال الدين على الكتب السماوية ، وزوروا على الناس باسم الله ظهر الحق ، واستبان ، والتقى القرآن مع التوراة والإنجيل .

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ » (١) .

وإقامتها لا تتحقق إلا بعد تطهيرها من الزيف .

الطريق إلى الحقيقة

إن من يبتنى الحق ، ويريد الوصول إلى التعاليم الإلهية الصحيحة ، لا يجد أمامه غير القرآن الكريم ، فهو الكتاب الذى حفظت أصوله ، وسلت تعاليمه ، وتلقته الأمة عن محمد ، عن جبريل ، عن الله ، الأمر الذى لم يتوفر لكتاب مثله . وأنه الجامع لأسمى المبادئ ، وأقوم المناهج وخير النظم ، والحافل بكل ما يحتاج إليه البشر من حيث العقائد ، والعبادات ، والآداب ، والمعاملات ، والنظم ، وإنه الكفيل بخلق الفرد الكامل ، والأسرة الفاضلة ، والمجتمع الصالح ، والحكومة العادلة ، والكيان القوى

الذى يفيم الحق والعدل ، ويرفع الظلم ، ويدفع العدوان ، وأنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق
الخلافة ووراثته الأرض .

« قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ^(١) .

الرسول

- لكل أمة رسول
- الرسول بشر
- الرسول رجل
- الغرض من بعثة الرسل
- عصمة الأنبياء
- ما نسب إلى الرسل
- أولو العزم من الرسل
- ختم النبوة والرسالة
- الأعمال الكبرى التي قام بها الرسول
- دلائل صدقه
- التبشير بظهوره
- آيات الرسل
- الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق
- الفرق بين المعجزة والكرامة
- معجزة خاتم الأنبياء

أوجب الله على المسلم أن يؤمن بجميع رسل الله ، دون تفریق بينهم ، فقال سبحانه :
« قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ ^(١)
مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » ^(٢) .

وبين أن هذا هو إيمان المؤمنين ، فقال سبحانه :

« آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » ^(٣) .

وأخبر أن البرّ في هذا الإيمان فقال :

« وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ » ^(٤) .

وإذا آمن الإنسان ببعض الرسل ، ولم يؤمن ببعض الآخر ، وفرق بينهم
في الإيمان فهو كافر : قال سبحانه :

« إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

(١) النبي هو من أوحى إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه ، والرسول هو من
أوحى إليه بشريعة ليعمل بها في نفسه وليبلغها غيره .

(٢) سورة البقرة آية ١٣٦ (٣) سورة البقرة آية ٢٨٥

(٤) سورة البقرة آية ١٧٧

وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ^(١) .

وهؤلاء الرسل منهم من قصه الله علينا فذكرهم بأسمائهم ، ومنهم من لم يقصمه علينا قال سبحانه :

«وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ قَصُصْنَاهُمْ عَلَيْكَ» ^(٢) .
 أما الذين قصهم الله علينا فقدم خمسة وعشرون . وهم للذكورون في قوله :
 «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَذَكَرْنَا وَيْحَ عِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ» ^(٣) .

وقد جمعت هذه الآيات ثمانية عشر رسولاً ، ويجب الإيمان بسبعة آخرين مذكورين في عدة آيات .

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» ^(٤)

-
- | | |
|---------------------------------|--------------------------|
| (١) سورة النساء آية ١٥٠ ، ١٥١ | (٢) سورة النساء آية ١٦٤ |
| (٣) سورة الأنعام الآيات ٨٣ - ٨٦ | (٤) سورة آل عمران آية ٣٣ |

« وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا » ^(١)
 « وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا » ^(٢)
 « وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا » ^(٣)
 « وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ » ^(٤)
 « مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » ^(٥)

وقد ورد أن عدد الأنبياء (١٢٤) .

لم تخل أمة من رسول :

وهؤلاء الرسل أرسلهم الله إلى الأمم في جميع العصور المتطاوة ، فلم تخل أمة من رسول بدعواها إلى الله ، ويرشدها إلى الحق . يقول الله سبحانه :

« تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ » ^(٦)

« وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » ^(٧)

« وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ » ^(٨)

« وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ » ^(٩)

(١) سورة الأعراف آية ٦٥ . (٢) سورة هود آية ٦١ .

(٣) سورة هود آية ٨٤ . (٤) سورة الأنبياء آية ٨٥ ، ٨٦ .

(٥) سورة الأحزاب آية ٤٠ . (٦) سورة النحل آية ٦٣ .

(٧) سورة فاطر آية ٢٤ . (٨) سورة يونس آية ٤٧ .

(٩) سورة الرعد آية ٧ .

والرسول من نفس الأمة

والرسول بشر من نفس الأمة ، وإن كان من معدن كريم خصه الله بمواهب عقلية وروحية ، ليستعد لتلقى الرحي عن الله .

« اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ »^(١)

« اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ »^(٢)

وإنما خص الله الرسول بمزايا وفضائل ليقوى على الإضطلاع بأعباء الرسالة ، وليكون مثالا يقتدى به في أمور الدين والدنيا ، ولو لم يتميز رسل الله بهذه الخصائص العقلية والروحية بأن انحطت فطرهم أو ضعفت عقولهم لما كانوا أهلا للحل هداية الله إلى الناس .

والرسول رجل يأكل الطعام

والرسول رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، يقول الله سبحانه :

« وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ

فِي الْأَسْوَاقِ »^(٣)

والرسول يتزوج

والرسول يتزوج ويولد له كغيره من البشر .

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً »^(٤)

(٢) سورة الحج آية ٧٥

(١) سورة الأنعام آية ١٢١

(٤) سورة الرعد آية ٣٨

(٣) سورة الفرقان آية ٢٠

والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من البشر

والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من الصحة والمرض ، والقوة والضعف ،
واللذة والألم ، والحياة والموت ، إلا أن ما ينزل به لا يمرضه لتغيير الناس منه .

«وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَتَىٰ مَسَىٰ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا
لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدَنَا
وَذِكْرًا لِلْعَامِلِينَ» ^(١)

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا» ^(٢)

والرسول أى رسول لا يتصرف فى الكون ، ولا يملك النعم أو الضر ،
ولا يؤثر فى إرادة الله ، ولا يعلم من الغيب إلا القدر الذى أَرَادَهُ الله له .

«قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ
الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ» ^(٣)

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» ^(٤)

(١) سورة الأنبياء آية ٨٣ ، ٨٤ (٢) سورة آل عمران آية ١٤٤

(٣) سورة الأعراف آية ١٨٨ (٤) سورة الجن آية ٢٦ - ٢٨

الرسول رجل :

ولا يكون الرسول إلا رجلاً ، فلم يرسل الله ملكاً ، ولا أتى .
 « وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ » ^(١)
 « قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ
 السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا » ^(٢)

الغرض من بعثة الرسل :

والغرض من بعثة الرسل هو الدعوة إلى عبادة الله وإقامة دينه :
 « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
 فَاعْبُدُونِ » ^(٣)

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » ^(٤)
 « فَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا
 وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » ^(٥)

وإقامة الدين ، وعبادة الله ، تنتظم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
 الآخر ، كما تنتظم الأعمال الصالحة التي تزكي النفس الإنسانية ، وتطهرها ، وتغرس
 فيها الخير ، لتبلغ الكمال اللادى والأدبى في هذه الحياة ، ولتستمد لكمال أرقى ، وأبقى .
 وهذه التعاليم العالية لا يمكن للبشر أن يصلوا إليها بقولهم ، وإنما يتعلمونها
 بوحي الله .

-
- | | |
|--------------------------|-------------------------|
| (١) سورة الأنبياء آية ٧ | (٢) سورة الإسراء آية ٩٥ |
| (٣) سورة الأنبياء آية ٢٥ | (٤) سورة النحل آية ٣٦ |
| (٥) سورة الشورى آية ١٣ | |

« هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » (١).

وبهذا لا تنهض حجة من أغفل الله قلبه عن ذكره ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطاً ، قال تعالى :

« إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » (٢).

« وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (٣).

قال ابن كثير : يقول الله تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة وحكمه العادل : إنه لا يضل قوماً إلا بعد إبلاغ الرسالة إليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى :

« وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ » (٤).

(١) سورة الجمعة آية ٢ (٢) سورة النساء آية ١٦٣ - ١٦٥

(٣) سورة التوبة ١١٥ (٤) سورة فصلت آية ١٧

والله سبحانه لا يذب أحداً حتى يقيم عليه الحجة ، ويقطع عذره .
« وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً » (١) .

عصمة الأنبياء (٢)

الرسل اصطفاهم الله واختارهم :

« إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ » (٣) .

ونزههم عن السيئات ، وعصمهم من المعاصي ، صغيرها وكبيرها .

« وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلَّ » (٤) .

وحلام بالأخلاق العظيمة من الصدق ، والأمانة ، والتفاني في الحق ، وأداء

فهم الصديق : الواجب

(١) الإسراء آية ١٥ — استدل الأشاعرة والمالكية والجمال بن المهام بهذا الآية

على أن أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة ناجون وإن عبدوا الأصنام . وذهب أبو حنيفة والماتريديه أنه يشترط في نجاتهم في الآخرة ألا يشركوا مع الله غيره ، لأن معرفة الله الواحد يكتفي فيها العقل ، والأول أظهر لأن الله يقول : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »

(٢) العصمة هي أنهم لا يتركرون واجبا ، ولا يفعلون محرما ، ولا يقتفون

ما يتنافى مع الخلق الكريم

(٤) سورة أن عمران آية ١٦١

(٣) سورة آل عمران آية ٣٣

« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا »^(١).

ومنهم من اصطلمه الله لنفسه :

« وَأَقِمْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي، وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي »^(٢).

« فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى! وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي »^(٣).

ومنهم من هو بعين الله .

« وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا »^(٤).

ومنهم من اجتبه الله وعلمه :

« وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَوَالِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ »^(٥).

وبعد أن ذكر الله جملة من الأنبياء في سورة مريم قال :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا »^(٦).

وهم وإن تفاوتوا في الفضل إلا أنهم بلغوا الغاية من السمو الروحي والصلة بالله .

- | | |
|-------------------------|----------------------|
| (١) سورة مريم آية ٤١ | (٢) سورة طه ٣١ |
| (٣) سورة طه آية ٤٠ ، ٤١ | (٤) الطور آية ٤٨ |
| (٥) سورة يوسف آية ٦ | (٦) سورة مريم آية ٥٨ |

« تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » (١) .

وهكذا نجد النصوص الكثيرة الواردة في القرآن بشأن الأنبياء والرسل — تضي عليهم من الطهر والنزاهة والقداسة ما يجعل منهم النموذج الحى والصورة المثلى للكمال الإنسانى .

ومثل هؤلاء لا يمكن إلا أن يكونوا معصومين من التورط فى الإثم ، ومنزهين عن الوقوع فى الماصى ، فلا يتركون واجباً ، ولا يفعلون محرماً ، ولا يتصفون إلا بالأخلاق العظيمة التى تجعل منهم القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى الذى يتجه إليه الناس ، وهم يحاولون الوصول إلى كالم القدر لهم .

والله سبحانه هو الذى تولى تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم حتى كانوا قما شامخة وأهلاً للاصطفاء والاجتباء .

« أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِئْسَ الْفِتْنَةُ » (٢) .

« وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ » (٣) .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣ وقيل إن أفضلهم خاتم الانبياء محمد ، ثم إبراهيم ثم يوسف ، ثم نوح ، ثم آدم أبو البشر .

(٢) سورة الأنعام آية ٩٠ (٣) سورة الأنبياء آية ٧٢

« إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ »^(١).

فهذه الآيات أدلة بينة على مدى الكمال الإنساني الذي أفاضه الله على أنبيائه ورسله ، ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم في القلوب ، ولصغر شأنهم في أعين الناس ، وبذلك تضعف الثقة فيهم ، فلا يتقاد لهم أحد ، وتذهب الحكمة من إرسالهم ليكونوا قادة الخلق إلى الحق ، بل لو فعلوا شيئاً مما يتنافى مع الكمال الإنساني بأن يتركوا واجباً ، أو يفعلوا محرماً ، أو يرتكبوا ما يتنافى مع الخلق الكريم لكانوا قدوة سيئة ، ولم يكونوا مثلاً علياً ، ومنارات هدى .

إن رسل الله يدركون بحسبهم الذي تميزوا به على غيرهم من البشر ، أهم دائماً في حضرة القدس ، وأنهم يبصرون الله في كل شيء ، فيرون مظاهر جماله وجلاله ودلائل قدرته وعظمته ، وآثار حكمته ورحمته . يرون ذلك في أنفسهم وفيمن حولهم : في الأرض وفي السماء وفي الليل والنهار ، وفي الحياة والموت ، فتمتلئ قلوبهم بإجلال الله ووقار له ، فلا يبقى فيها مكان للشيطان ، ولا موضع لهوى ، ولا جنوح لشهوة ، ولا إرادة لشيء سوى إرادة الحق والتفاني فيه والاستشهاد من أجله .

وما ورد في القرآن الكريم مما يوم ظاهره بأنهم ارتكبوا ما يتنافى مع عصمتهم فهو ليس على ظاهره ، ويتجلى ذلك فيما نذكره بالنسبة لما نسب لكل نبي فيما يلي :

آدم عليه السلام

يقول الله سبحانه — :

« وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى »^(٢).

فظاهر هذه الآية أن آدم عصى ربه ، وغوى ، بمخالفة أمر الله ، واستجابته لدعوة الشيطان ، وأن ذلك كان زلة وقع فيها .

« فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ، فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ » (١) .

ولكن إذا أمعنا النظر رأينا أن هذه المصيبة إنما وقعت من آدم نسيانا منه لعهد الله ، ولم يصدر عنه هذا الفعل عن إرادة وقصد ، والله سبحانه لا يؤاخذ على الخطأ ولا على النسيان ؛ لأن ذلك تكليف بما لا يطاق ، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها ، والأصل في هذه القاعدة قول الله سبحانه :

« وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَاتَمَدَّتْ قُلُوبُكُمْ » (٢) .
وقوله :

« رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا » (٣) .

والدليل على أن ما وقع من آدم كان نسيانا وعن غير عمد ، قول الله سبحانه :

« وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَلَنسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا » (٤) .

أى أن آدم نسى عهد الله الذى وصاه به حين ارتكب ما نهاه عنه من الأكل من الشجرة ، ولم يوجد له عزم على فعل ما نهى عنه وحيث لم يوجد العزم على المصيبة ، فلا توجد للزواخذة .

وإنما اعتبر القرآن ذلك النسيان عصيانا نظراً لمقام آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته ، وعلمه الأسماء كلها ،

(١) سورة البقرة آية ٣٦ (٢) سورة الأحزاب آية ٥

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦ (٤) سورة طه آية ١١٥

والذى شأنه هكذا يجب أن يكون بقطلاً كأقوى ما تكون اليقظة بحيث لا ينسى وصاية الله له وعهده إليه ، فهذا : من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين

نوح عليه السلام

أما نوح عليه السلام فما وقع منه فهو أنه سأل الله عن هلاك ابنه مع من هلكوا في الطوفان ، مع وعد الله بنجاة أهله ، فقال :
« رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ .
قِيلَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ
بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَ كُنُ مِنَ
الْخَاسِرِينَ » (١) .

فلم يكن لنوح عليه السلام علم بأن نسب ابنه إليه قد انتفى بكفره وإعراضه
عن دعوة الله ، فسأل الله كيف هلك مع الوعد بنجاة أهله ، وابنه من أهله ، فعلمه الله
أن الصلة الدينية والنسب الروحي أقوى من صلة الدم ، فإذا انقطعت هذه الصلة
ذهبت بصلة النسب والدم ، فقال له معلماً إياه : « إنه ليس من أهلك » معللاً ذلك
بأن عمله عمل غير صالح ، وما دام ذلك كذلك فليس هناك صلة نسبية ، وبذلك ينتفى
نسبه من أبيه ، فلا يكون من أهله الذين وعدوا بالنجاة .

وكان على نوح عليه السلام ، وهو الأب الثاني للبشر ، الذى بذل حياته لله ،
رلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو إلى الله ، ويجاهد في سبيله كان عليه أن

بفطن لهذا المعنى ، وأن يدركه ، فلما لم ينتبه إليه ، وغلبت عليه عاطفة الأبوة اعتبر ذلك نقصاً بالنسبة لمقامه الرفيع ، ومنزلته الكبرى التي حباه الله بها . ومن ثم قد لجأ إلى الله أن يفر له هذه العثرة التي لم يقصد إليها ، ولم يكن له علم بها ، فقال :
 « رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ، وَإِلَّا تَغْفِرْ
 بِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . (١)

إبراهيم عليه السلام

وجاء في دعاء إبراهيم عليه السلام قوله :
 « وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ » (٢) .
 ونحن لا نعرف لإبراهيم خطيئة ، والذي نعلمه أن الله قد اتخذ خليلاً ، وأضفى عليه من صفات الكمال ما هو خليق به .
 « وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » (٣) .
 « إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، شَاكِرًا
 لِّأَنْعَمِهِ ، اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ
 فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » (٤) .

وطلبه من الله أن يفر له خطيئته ليست خطيئة بالمعنى الذي يتبادر إلى الذهن وإنما هي ما يستشره في نفسه من قصور في تفانيه في الله ، وأداء رسالته ، نظر المكاتبة السامية ، ومنزلته الرفيعة .

-
- | | |
|-------------------------|------------------------------|
| (١) سورة هود آية ٤٧ | (٢) سورة الشعراء آية ٨٢ |
| (٣) سورة البقرة آية ١٣٠ | (٤) سورة النحل آية ١٢٠ — ١٢١ |

يوسف عليه السلام

والله يقول في يوسف عليه السلام :

« وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ^(١) .

وليس في هذا ما يدل أدنى دلالة على أن يوسف همّ بالفاحشة لأن المقصود بالهم هنا الهم بالضرب والأذى . . وذلك أن امرأة العزيز راودته عن نفسه ، ففلقت الأبواب ، ودعته إلى نفسها ، فاستعصم ، وأبى وقال :

« مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » ^(٢) .

وإزاء هذا الاستعصام والتأبى والترفع عن التسفل ، همت امرأة العزيز بضربه وإلحاق الأذى به ، بعد أن مجزت عن إغرائه بكل وسيلة ، فهمّ هو بأن يعاملها بالمثل ، دفاعاً عن نفسه ، لولا أن رأى أن ذلك لا يليق بأمثاله من أصحاب النفوس الكبيرة ، ولا سيما أن هذا البيت آواه ، وأكرمه ، فضلاً عن أنها سيدته التي تبتته ، وأنها زوجة رجل عظيم في أمة عظيمة .

فلولا أن رأى ذلك كله ، وهو صاحب شموه نبيل وعاطفة جياشة لتقابلها بالمثل ، ولأذاها بالضرب للبرح .

ولكنه كذلك لا يرضى بالاستكانة ، ويقف ذليلاً يتلقى الضربات من امرأة أصابها جنون الشهوة الحيوانية — وهو من هو — فأثر أن يفر منها تفادياً من الحرج الذي تعرض له ، ولكنها أبت إلا أن تتابعه لتثأر لنفسها منه .

« وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ، وَقَدْ تَقَمَّصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَفْقَا سَيْدَهَا لَدَى الْبَابِ » ^(٣) .

(١) سورة يوسف آية ١٤ (٢) سورة يوسف آية ٢٣

(٣) سورة يوسف آية ٢٥

فكان في ذلك خلاصه .

والذى يدل على هذا أبلغ دلالة :

أولاً : أن الله آتاه العلم والحكمة .

« وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ »^(١)

ثانياً : أنه أجاب امرأة العزيز بعد المراودة ، بما يدل دلالة قاطعة على أن السوء

لا يخطر على قلبه .

« قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ » .

فالذى يقول هذا لا يتصور منه المم بالفحش

ثالثاً : أن الله صرف عنه السوء والفحشاء ، وأخلصه لنفسه .

« كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ »^(٢) .

ومن كان كذلك لا يمكن أن تتوجه نفسه مجرد توجه إلى سوء أو إلى فحش ،

لا في القول ولا في العمل .

رابعاً : أن كل م في القرآن إنما يقصد به المم بالأذى كالضرب والقتل

« رَهْمَتْ كُلُّ أُمَّةٍ رَسُولَهُمْ لِيَتَّخِذُوهُ »^(٣) .

« وَهَمَّوْا بِمَا لَمْ يَنْأَلُوا »^(٤) .

وهكذا لو تتبعنا جميع أسباب براءة يوسف عليه السلام من المم بالفاحشة

لوجدناها من الكثرة بحيث لا ينسع لها هذا المختصر .

(٢) سورة يوسف آية ٢٤

(١) سورة يوسف آية ٢٢

(٤) سورة التوبة آية ٧٤

(٣) سورة غافر آية ٥

موسى عليه السلام

والله سبحانه يقول في موسى عليه السلام :

« وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ، فَاسْتَفَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ، فَوَكَّرَهُ مُوسَى وَقَضَى عَلَيْهِ . قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوُّ مُضِلٌّ مُبِينٌ . قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (١)

فوسى عليه السلام دخل المدينة ، فوجد فيها مصرى واسرائيلياً من قومه ، وهما يتضاربان ، إلا أن الاسرائيلى الذى هو من شيعته وقومه ضعيف غير قادر على مقاومة المصرى ، فاستفاه بموسى ؛ لينقذه منه ، فحدث كما يحدث غالباً فى مثل هذه المواقف أن ضرب موسى المصرى بيده ضربة أصابت منه مقتلاً ، ولم يقصد إلى قتله قط وإنما قصد أن يمنع عدوانه عن أخيه ، فحدث القتل الخطأ الذى لا مؤاخذه عليه إلا من حيث عدم التحرى والوعى الكامل ، ولا سيما لمن هم فى أعلى المستوى البشرى كوسى ، ونحوه من أولى العزم ، ولذلك رجع إلى ربه ذاكراً خطأه طالباً من الله العفو والغفران .

داود عليه السلام

يقول الله سبحانه فى داود عليه السلام :

« وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ

فَقَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا
بِالْحَقِّ وَلَا تَطْطُ وَاهِدَنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ . إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْمُونَ
نَجْةً وَلِي نَجْةٌ وَاحِدَةٌ قَالَا أَلَمَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ . قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ
يَسُوءُ الْإِلَهِ نَجْجَتِكَ إِلَى فِجَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ، وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ، فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى
وَحُسْنَ مَآبٍ « (١)

وهذه القصة ليس فيها ما يدل على أن داود عليه السلام قد عمى ربه بارتكاب
ما ينافي العصمة .

وكل ما يمكن أن يقال في هذا .. إنه قضى بين الخصمين بعد أن سمع من أحدهما
وقبل أن يسمع من الآخر . والتمجيل بالحكم قبل الاستماع إلى الطرفين يعتبر في
نظر القضاء مخالفة ، ولا سيما إذا كان القاضي نبياً كداود عليه السلام ، ممن أوتوا
الحكمة وفصل الخطاب .

ويمكن أن يقال أيضاً إنه خاف من تسور الخصمين الحراب ودخولهما عليه بفتنة
وهو بين يدي الله . خاف أن يقتلاه كما كانت عادة بني إسرائيل من قتلهم الأنبياء ،
فكان هذا الخوف ، وهو في الحراب وماتل بين يدي الله ، مما لا يليق بمكاته وعظيم
قدره وحسن صلته بالله ، مالك ناصية كل شيء .

وسواء أكان ما ينسب إلى داود عليه السلام من العجلة في الحكم أو من

الخوف من القتل ، فقد ظن أنه مُختَبَر بما وقع له ، فاستغفر ربه ، وخر راكعاً منيباً إلى الله راجعاً إليه .

ولا يمكن أن تتضمن القصة التي ذكرت في القرآن معنى آخر وراء ذلك مما ينقص من قدر نبي عظيم .

وما ذكر من أن المقصود بالنعمة هي المرأة ، وأن داود اغتصب زوجة أحد قواده بحيلة احتالها عليه ، فهو من الاسرائيليات للكذوبة ، ومن الدخيل الذي يتنافى مع عظمة الرسالة ، وكال ، النبوة ، وشرف الدعوة التي انتدب الله لها خيار خلقه وصفوة عباده .

سليمان عليه السلام

يقول الله سبحانه في سليمان عليه السلام

« وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ . قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » (١)

والابتلاء الذي تعرض له سليمان وهو للرض الشديد الذي جعل منه جسداً ملقى على الكرسي لا يستطيع معه الحركة — كان سبباً في ضعف نفسه ، وضعف مقاومته ، فتاب إلى الله من هذا الضعف الذي يمتري البشر عادة ، وكان الأجل به أن يتجمل بالصبر الجميل .

ويقال إن سليمان كان له ولد فاجر انتزع ملكه من أبيه ، فكان ذهاب ملك سليمان على يد ابنه الفاجر ابتلاء له ، ثم رد الله ملكه إليه بعد أن سلب منه ، فسأل الله عقب ذلك أن يغفر له ما يمكن أن يكون حدث من تقصير في شكر الله ، وسأله أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب الله له .

محمد صلوات الله وسلامه عليه

وجاء في القرآن الكريم :

« فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ »^(١)

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَبِئَمَّا نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا »^(٢)

وظاهر الآية الأولى يوم بأن للرسول ذنباً ، وأن عليه أن يستغفر الله .
وظاهر الآية الثانية يفيد بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

والمعروف من سيرة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، أنه معصوم قبل البعثة وبعدها ، فقد عصمه الله من عبث الطفولة وهو الشباب ، فلم يله كما كان يلهو غيره ؛ لأنه أعدّ لحل رسالة الهدى والنور . وقد أشار إلى هذا فيما حدث به عن نفسه فقال : « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين . كل ذلك يحول الله بيني وبينه ، ثم ما هممت به حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرت لى غنى حتى أدخل مكة ، وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال : أفعل ، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة ، سمعت عزفا . فقلت : ما هذا ؟ . فقالوا : عرس فلان بفلانة ، فجلست أسمع ، فضرب الله على أذنى ، فسمت ، فما أيقظنى إلا حر الشمس ، فعدت إلى صاحبي ، فسألنى ، فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ودخلت مكة ، فأصابنى مثل أول ليلة . . . ثم ما هممت بسوء » .

وكذلك كان ، صلوات الله وسلامه عليه ، مدة حياته لا يخطر السوء على قلبه ، وإذا كان ذلك كذلك فما معنى الذنب الذى أمر أن يستغفر منه ، والذى قد غفر له ما تقدم منه ، وما تأخر ؟ .

مما لا جدال فيه أن الرسول كانت تصدر عنه بعض التصرفات التى لم يوح إليه شيء مخصوصها ، بل كان أمرها متروكا إلى اجتهاده الخاص ، فكان فى بعض الأحيان يؤديه اجتهاده إلى ما هو حسن ، متجاوزاً ما هو أحسن منه ، فاعتبر وقوفه عند رأى الحسن ، وعدم إصابته ما هو أحسن منه ذنباً بالنسبة إليه ، وبالإضافة إلى مكاتبة من العلم والعقل والفقه .

وقد ذكر القرآن أمثلة لذلك :

فنها اجتهاده فى أسرى بدر ، وقبوله الفداء ، وقد عتب الله عليه عتبا أبكاه :
 « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُفْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ » ^(١)

أى لولا أن كتاب الله وحكمه سبق بعدم مؤاخذه المجتهد على اجتهاده لما قبكم بالعذاب العظيم على قبول الفداء ، وعدم الأثخان فى الأرض .

ولما نزلت هذه الآية بكى رسول الله ، وبكى معه أبو بكر بكاء شديداً ، وقال :
 « لو نزل عذاب من السماء ما نجا غير عمر » .

ففى هذه الحادثة لم يكن من الرسول إلا الاجتهاد فى قضية لم يوح إليه فيها شيء ،

(١) سورة الأنفال آية ٦٧ — ٦٨ .

ولم يخطئ في حكمه فيها ؛ لأن الرسول لا يقر على خطأ ، وإنما عدل عما هو أحسن إلى ما هو حسن .

ومنها أنه قبل أعذار المتخلفين عن الغزو دون تمحيص هذه الأعذار ؛ لينبين له من هو صادق ممن هو كاذب .

« عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ » (١)

ومن ذلك عتاب الله له في إخفائه أمر زواجه زينب بنت جحش بعد طلاق متبنائه زيد بن حارثة لها — وكان الله قد أمره بذلك ؛ ليبطل تقليداً من تقاليد الجاهلية ، إذ كانت هذه التقاليد تقضى بتحريم زواج زوجة المتبنى ، مثل تحريم الزواج بزوجة الابن من النسب ، فكان الرسول يجد حرجاً مثل أى إنسان عندما يتخرج من مخالفة التقاليد والمخروج على العادات .

وقد رفع الله عنه الحرج بعد المتب اليسير .

« وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ، فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا . مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا » (٢)

وما قيل غير ذلك فهو محض اختلاق .

وما يدخل في هذا النطاق قول الله سبحانه :

« عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْمُهُ الذُّكْرَى . أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ بِسْعَى ، وَهُوَ يَخْشَى ، فَأَنْتَ عَنْهُ تَلْمِزَى » (١)

فهذا عتب من الله لرسوله حين طمع في إسلام بعض صناديد قريش ، فأقبل عليهم بدعوم إلى الله ، وم ينصتون له ، ويقبلون عليه ،

وفي هذه الأثناء حضر عبدالله بن أم مكتوم ، وأخذ يقطع الرسول ، ويقول له : علفي مما علمك الله ، وبكرر ذلك ، فكان الرسول يضيق بهذه المقاطعة ، ويهيس من الضيق ، مع أن الرجل أعمى لا يبصر هذا المبوس ، ومع ذلك عاتبه الله فيه ، فكان كلما لقيه بعد — يقول له : أهلا بمن عاتبني فيه ربي .

ومن هذا القبيل ما روى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قرأ قول الله سبحانه :

« أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ » (٢)

تلك الغرائق العلا ، وإن شفاعتهن لترجي .

فهذا كذب محض وافتراء أحقر من أن يناقش ، وليس فيه صلة بين هذه الأكلوبة وبين قول الله سبحانه :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَتَتْهُ الشَّيْطَانُ

فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ، (١)

فإن الآية تقرر أنه مامن نبيّ ، ولا رسول تمنى هداية قومه ، واستجابتهم
دعوته إلا جاء الشيطان واضعاً أمامه العقبات ، وميثاقاً له من الوصول إلى الهدف
الذي يستهدفه ، إلا أن الله سبحانه يجعل بأزالة ما يلقي الشيطان من وسوسة ينشئه ،
ويحمي في نفسه الأمل والرجاء .

هذا هو ما نسب إلى رسل الله وأنبيائه ، وهو لم يخرج عن كونه هنات هينات
لا تصل إلى درجة للمصية ، ولا تتنافى مع العصاة ، ولا تنقص من أقدارهم السامية ،
أو تنال من مكاتبتهم الرفيعة .

وبأبي اليهود والنصارى إلا أن يجرحوا كثيراً من الأنبياء والرسل ، وينسبوا
إليهم ما نزههم الله عنه ، وصانهم منه ، بل إن كتبهم ترمي بعض الأنبياء بكبائر
الإثم والفواحش .

والنصارى تفالوا في هذا ، وبالفواقي ؛ ليجوبوا العصاة للمسيح وحده ، وهم
يقصدون بهذا إقامة الأدلة على أن عيسى إله منزّه عن الخطايا من جهة ، وأنه جاء
ليخلص الإنسان من خطيئة أبيه آدم ، والتي ورثها عنه أبناؤه ، ويفدى البشر بنفسه
من جهة أخرى

وعقيدة الفداء هذه هي أساس ديانة النصارى ، ولكن كتبهم — مع اعتقادنا
بتحريفها — تكفي في الرد عليهم

ففيها نصوص قاطمة بأن يوحنا أفضل من المسيح وأعظم منه ، وأنه هو الذي
تولى تسميته ، وأنه معصوم من كل خطيئة ، وأنه لم يشرب حمرا قط .

بينما نسب إلى المسيح أنه شريب خمر ، كما نسب إليه عدم استجابته لدعوة أمه
حينما دعى إليها^(١)

ففي إنجيل لوقا (١ - ٦٥) أنه يكون عظيما أمام الرب وخيرا ومسكرا
لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلئ بروح القدس .

وفيه (٦٦) كانت يد الرب معه .

وقال المسيح فيه (متى ١١ : ١١) الحق أقول لكم إنه لم يضم بين المولدين من
النساء أعظم من يوحنا المعمدان .

وقال فيه (١٨) جاء يوحنا لا يأكل ، ولا يشرب ، فيقولون : فيه شيطان
وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون : هو ذا إنسان أكل وشرب خمر
محب للمشارين والخطاة .

أما عيسى عليه السلام فقد شهدت الأنجيل بأنه أهان أمه ، وهي التي فضلها
لله على نساء العالمين .

فقد جاء في إنجيل لوقا (٨ : ٢) فأخبروه قائلين : أمك وأخوتك واقفون خارجا
يريدون أن يروك ؟ فأجاب وقال : أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ، ويمثلون بها

(١) ونحن ننزهه عن هذا ونعتقد أنه كان وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن
الصالحين .

أولو العزم من الرسل

يقول الله سبحانه :

« فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ ^(١) مِنْ الرُّسُلِ ^(٢) »

قيل إن أولى العزم هم كل الرسل ، وتكون من لبيان الجنس .

والشهور من الأقوال : أنهم محمد ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه .

وقد نص الله على أسمائهم من بين الرسل في آيتين :

الأولى : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا » ^(٣)

الثانية : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » ^(٤)

أفضل الرسل

أفضل الرسل على الإطلاق هو سيدنا محمد خاتم النبيين

« تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » ^(٥)

(٢) سورة الأحقاف آية ٣٥

(٤) سورة الشورى آية ١٣

(١) العزم : الثبات والصبر .

(٣) سورة الأحزاب آية ٧

(٥) سورة البقرة آية ٢٥٢

واللهى رفعه الله درجات هو سيدنا محمد

وأدل دليل على هذا ما جاء فى سورة آل عمران من تبشير الأنبياء به ، وأخذ العهد والميثاق عليهم بالإيمان به ونصرته إن هم أدركوا بعثته

« وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » (١)

وروى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن ينبغى »

وأما منعه صلوات الله وسلامه عليه من التفضيل بين أنبياء الله ، وقوله :

« لا تفضلوا بين أنبياء الله »

فالقصد منه منع النلو فى تعظيمهم من جهة ، وكف المسلمين عن تنقيص أحد من إخوانه الأنبياء من جهة أخرى .

ختم النبوة والرسالة

الأنبياء جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم كانت مهمتهم أن ينقذوا الناس ، ويخرجوهم من الظلمات إلى النور ، فكانوا دائماً دعاة الخير ، وأئمة الإصلاح وحملوا للشاعل فى الدنيا المظلمة . . وكان كل واحد منهم يأبى عقب الآخر ؛ ليتم ما بقاء من قبله ، فيزيد فى الإصلاح لبنة حتى استكمل البناء بخاتمهم محمد صلوات الله

وسلامه عليه ، فكان دينه خلاصة الأديان السابقة ، وكانت دعوته هي الدعوة الجذيرة بالبقاء ، ففيها عناصر الحياة ودعائم الإصلاح .

« الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » ^(١)

وبإكمال دين الله الحق تمت نعمة الله على الناس بما أنزله إليهم من هداية فلا حاجة إلى هداية بعدها .

وبهذا انقطعت النبوة ، وختمت الرسالة .

« مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » ^(٢)

وإذا كانت النبوة قد انقطعت ، فقد انقطعت بالتالي الرسالة ، فلا نبوة ولا رسالة بعد نبوة محمد خاتم رسل الله ، وفي ذلك يقول ، صلوات الله وسلامه عليه :
« متلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا ، فأكلها وأحسنها إلا موضع لبنة ، فكان من دخلها ، فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة ، فأنا موضع اللبنة . ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » .

الأعمال الكبرى التي تمثل نجاح سيدنا محمد

إن لرسولنا صلوات الله وسلامه عليه أعمالا كبرى يتمثل فيها نجاحه في دعوته ، وهذه الأعمال يمكن تلخيصها فيما يلي :

العمل الأول : أنه قضى على الوثنية ، وأحل محلها الإيمان بالله واليوم الآخر .

(١) سورة المائدة آية ٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٠

المعمل الثاني : أنه قضى على رذائل الجاهلية وقائصها ، وأقام مقامها الفضائل ، والمكارم والآداب .

المعمل الثالث : أنه أقام الدين الحق الذى يصل بالإنسان إلى أقصى ما قدر له من كمال .

المعمل الرابع : أنه أحدث ثورة كبرى غيرت الأوضاع والمقولات والقلوب ونظام الحياة الذى درج عليه أهل الجاهلية .

المعمل الخامس : أنه صلى الله عليه وسلم وحد الأمة العربية ، وأقام دولة كبرى تحت راية القرآن .

هذه هى الأعمال التى تمثل نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم فى مهمته . وهى كما تبدو كلها أمور كبيرة ، وإقامتها بل إقامة واحد منها من الخطورة بمكان .

وإنه لا يمكن أن يتأتى النجاح لفرد فى بعض هذه الأعمال فضلاً عن توفر النجاح فى كل ناحية من هذه النواحي .

إن القيام بهذه الأعمال والنجاح فيها على هذا النحو هو للمعجزة الكبرى لحضرة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه — فإذا كان عيسى له معجزة إحياء الموتى ، وموسى له معجزة العصا ، فإن هاتين المعجزتين فى جانب هذه الانتصارات وإلى جانب هذه المعجزات لا تساوى شيئاً .

دلائل صدقه :

ومن دلائل الصدق على أن الرسول إنما هو مرسل من عند الله ما يأتى .
أولاً : أنه كان زاهداً فى الدنيا ، فلم يكن يطلب على عمله أجراً ، فقد كان زاهداً فى المال ، وفى كل ما هو مادى ، كما كان زاهداً فى الجاه واللبس .

+ أما زهده في المال فإن طبيعة حياته تدل على ذلك أبلغ دلالة ، فهو لم يفتش الحرير ، ولم يلبس الديباج ، ولم يتزين بالذهب . كان يته كأبسط بيوت الناس ، وكان يمر عليه الشهران ، ولا يوقد في بيته نار . قال عروة وهو يسمع خالته عائشة تتحدث بهذا إليه : يا خالتي ما كان يُعَيِّشُكُمْ ؟ قالت : إنما هما الأسودان التمر والماء . ! !

+ وذات مرة رأى عمر بن الخطاب الرسول نائماً على حصير بالية ، وقد أثر في جسمه ، فبكى ، فقال له الرسول ما يبكيك ؟ فقال .

ما بال كسرى وقيصر ينامان على الديباج والحرير ، وأنت رسول الله يؤثر في جنبك الحصير ، فقال صلى الله عليه وسلم يا عمر أما ترضى أن تكون لم الدنيا ولنا الآخرة .

+ ولقد جاءت الفئام إلى الرسول بعد انتصار المسلمين ، فرأى نساؤه أن يستمنعن بشيء من هذه الفئام ، وطلبن منه أن يكون لمن نصيب منها ، فإذا بالآية الكريمة ترد على سؤال هؤلاء النسوة :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَكُمُ الْمَالَ وَالنِّسَاءَ وَالْبَنِينَ وَالْمَنَاقِبَ فَامْنَحُوهُنَّ فَإِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَةَ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَلَّيْتُمْ كَأَن يَخْرُجَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ قُبْحًا كَمَا خَرَجَ عَلَيْكُمْ بَدْنًا وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ وَلَقَدْ ظَهَرَ بَيِّنَاتٍ لِّقَوْمٍ عَلِيمِينَ » (١)

فجمع الرسول نساؤه ، وقال لهن : هل تزدن الله ورسوله والدار الآخرة ، أم تزدن الدنيا وشهواتها ؟ فاختارت كل واحدة منهن الله ورسوله والدار الآخرة فذهب الله وأنزل في حقهن :

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ
الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا » (١)

— ولقد توفي رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودى ، وقد عاش طول حياته ،
وما شيع من خبز الشعير قط .

أما زهده فى الجاه فهو يتمثل فى كل حال من أحواله .

✚ أراد الصحابة أن يتمدحوه ، ويثنوا عليه ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم :
« لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم » .

وجاء الوليد بن المغيرة مندوباً عن المشركين ؛ ليفاوضه ، وعرض عليه من كل
متع الحياة ، فكان جوابه أن قرأ عليه افتتاحية سورة حم فصلت .

هذا هو الزهد الذى كان طبيعة من طبائع الرسول صلى الله عليه وسلم .

✚ ومن دلائل نبوته عليه السلام أنه كان أمياً ، وأقام هذه الأعمال الكبار
وهو أمى لم يقرأ ، ولم يكتب ، ولم يدخل معهداً ، ولم يتلمذ على أستاذ ، ولكنه
نجح ، وبلغ هذه المرتبة التى لم يبلغها أحد قبله ، ولا أحد بعده .

والقرآن سجل هذه الحقيقة ليجعلها أمانة صدقه ودليل أمانته ، يقول

الله سبحانه :

« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى
اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ » (٢)

وما كان الرسول يعلم شيئاً من النبوة ، ولا ما يتصل بالذات العلية ، فخرمان
هذه الأعمال على يديه إنما هو دليل الإيجاز .

لأن المتعلمين الذين ينقطعون للعلم والبحث ليعجزون أن يصنعوا شيئاً مما فعله
الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولاريب أن هذا تأييد وتوفيق من الله تبارك وتعالى . والقرآن يقول :
« وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ
الْمُبْطِلُونَ » (١) .

وقد كان ذلك معروفاً لدى خصومه وكان يواجههم به ، ولم يستطع أحد منهم
أن يشكك في هذه الحقيقة السافرة . فيقول الله تعالى :

« وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَابِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ
يَقْرَأْنَ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي لَئِنْ
أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلْ
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ، قَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ
قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (٢) .

بما أن أما الناحية الثالثة فهي الصدق ، فلم يعلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه
كذب قط قبل البعثة ولا بعدها ، ولقد جاء الوحي ، فذهب إلى خديجة ، وقال لها :
لقد خشيت على نفسي ، فقالت له : كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصدق

الحديث ، وتصل الرحم وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتكسب المدوم ، وتعين على نوائب الدهر .

ولقد عرض الرسول صلى الله عليه وسلم لأول عهده بالنبوة الإسلام على أبي بكر رضى الله عنه ، فصدقه لأول وهلة ، وما توقف عن المسارعة إلى الإيمان به ؛ لأنه كان يعلم صدقه وأمانته ، ودخل أعرابى عليه ، فنظر إليه ، فوجد الصدق يحوطه ، فقال : والله ما هذا الوجه بوجه كذاب .

التبشير بظهور خاتم الرسل

لم تحمل الكتب الإلهية المتقدمة من التبشير بظهور محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ونبوته . ففي سفر تثنية الاشتراع (التوراة) بشارة تقول : « آتى الرب من طور سيناء وارتفع من صير إليهم ، وشع شعاعه من فاران ونقدم إلى الامام ومعه عشرة آلاف من الأبرار ، ومن يمينه خرج كتاب التقوى » .

فالإتيان من طور سيناء يشير إلى ظهور الرب لموسى الكليم . والارتفاع من صير يشير إلى استيلاء داود على صير . وأما فاران فهو اسم أرض الحجاز القديم حيث ظهر محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من سلالة إسماعيل عليه السلام . وأما التقديم إلى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار فهو إشارة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقد دخل مكة يصحبه عشرة آلاف من أنصاره يوم فتح مكة . ومن يمينه خرج كتاب التقوى : يشير إلى الشريعة التي خرج بها محمد صلى الله عليه وسلم على العالم والتي لازال نورها يضيء كل ماله شأن بالدين والدنيا من حياة عامة وخاق اجتماعي .

وفي إنجيل يوحنا : الاصباح الرابع عشر ١٣ ، ١٥٥

« إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاىى وأنا أطلب من الأب أن يعطىكم ممزىا
آخراً؛ ليمكث معكم إلى الأبد : روح الحق » .
وهذا مثل ما جاء فى القرآن الكريم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتم النبىين .

وفى انجيل يوحنا : اصحاح ١٤ - ٢٦
« أما للممزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء » .
وهذا مثل قوله تعالى :

« وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ » ^(١) .

وفى يوحنا أيضاً اصحاح ١٦ - ١٢
« إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لاتستطيعون أن تحمّلوا الآن
ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من عنده
بل يتكلم بما يسمع وينبئكم بما يأتى »

وهذا يتفق مع قول الله سبحانه :
« وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » ^(٢) .

محمد صلى الله عليه وسلم ، دعوة إبراهيم وبشرى عيسى
ولقد سجل القرآن الكريم أن محمداً رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ،
كان استجابة لدعوة إبراهيم ، كما كان بشرى بشرى عيسى عليه السلام ، فى سورة
البقرة يحكى القرآن الكريم أن إبراهيم واسماعيل كانا يدعوان الله ، وهما يرفعان
القواعد من البيت ، فيقولان :

(١) سورة النحل آية ٨٩ (٢) سورة الإبراهيم آية ٨١

« رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (١).

وفي سورة الصف يقول الله سبحانه :

« وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » (٢).

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبي أمامة قال :

« قلت : يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى »

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : إن هذه الآية التي في القرآن « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا » (٣).

قال في التوراة :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا ، وَمُبَشِّرًا ، وَنَذِيرًا ، أَنْتَ عَمْدِي وَرَسُولِي سَمِيتُكَ الْبُتُّوْكَل . ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب الأسواق ، ولا يدفع البسطة بالبسطة ولكن يهفو ويصفح ، ولن يقيضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا ضالعين ، وأذاناً سامعاً وقولاً غافلاً »

(٢) سورة الصف آية ٦

(١) سورة البقرة آية ٢٥٨

(٣) سورة الأحزاب آية ٤٥

آيات الرسل

لم يرسل الله رسولا ليبلغ الناس الدين ، ويعلمهم الشريعة ، إلا وأيده بالآيات التي تقطع بأنه مرسل من عنده ، وأنه موصول بالملأ الأعلى بتلقى عنه ، وبأخذ تعاليمه منه .

وهذه الآيات التي يؤيد الله بها رسله لا بد وأن تكون فوق مقدور البشر وخارج نطاق طاقتهم وعلومهم ومعارفهم ، كما يجب أن تكون مخالفة للسنن الخاصة بالمادة ، وخارقة للعادات المعروفة والقوانين الطبيعية المألوفة .

ولذلك سمي العلماء هذه الآيات بالمعجزات ، لأنها تعجز العقل عن تفسيرها كما تعجز القدرة الانسانية عن الإتيان بمثلا

وعرفوا المعجزة بأنها الأمر الخارق للعادة ، الذي يجربه الله على يدي نبي مرسل ، ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوته .

ومن ثم كانت المعجزة ضرورية ، وإظهارها واجبا ؛ ل يتم بها المقصود من تبليغ الرسالة ، وتقام بها حجة الله على الناس .

وهذه الآيات ممكنة في ذاتها ، والعقل لا ينمها ، والعلم لا ينفيها ، والواقع يؤيدها .

قد قام رجال وادعوا أنهم رسل الله ، وتحذروا أممهم بما أظهروه من هذه الخوارق ، وراآها الناس عيانا ، وآمن بها ألوف وألوف عبر القرون والأجيال .

بل إن العلم الحديث نفسه أثبت أن النواميس الطبيعية يمكن تخلفها عن إحداث آثارها بنواميس أخرى أرق منها ، كما أثبت العلم أيضا أن معجزات الأنبياء كلها صحيحة .

والناظر فيما كتبه العلماء المحدثون عن عالم الأرواح ، ومجائب استحضارها ،
وغرائب التنويم الفصاطيسي ، وما إلى ذلك يدرك لا محالة أن هذه الخوارق أمور
ممكنة ، وليس شيء منها بمحال أصلا .

والمؤمنون بالله لا يتوقعون في تصديق شيء ، متى ثبت بالدليل القاطع الذي
لا ينطرق إليه الشك ؛ لأنهم يعلمون أنه ، سبحانه ، لا يتقيد بالسنن التي وضعها
فهم يعلمون بأن الذي قدر على جعل النار محرقة قادر على سلبها خاصة الإحراق كما
فعل مع « إبراهيم » حين ألقى في النار ، فلم يحترق .

« قالوا حرِّقوه وانصروا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي
بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ^(١) » .

وم يعلمون أن الذي قدر على خلق الإنسان من ذكر وأنثى ، وخلق آدم من
تراب ، قادر على أن يخلق من السيدة مريم العذراء بدون لقاح طبيعي أو صناعي
« قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ
كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنٍ وَلِنَجْمِلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ
أَمْرًا مَّقْضِيًّا ^(٢) » .

« وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً
لِّلْعَالَمِينَ ^(٣) » .

وم يؤمنون بأن الذي أعطى المرأة الولود القدرة على الأخصاب قادر على أن
يعطي المقيم هذه القدرة ، كما فعل ذلك لأم يحيى بن زكريا ، عليهما السلام

(١) سورة الأنبياء آية ٦٨ ، ٦٩ . (٢) سورة مريم ٢١

(٣) سورة الأنبياء آية ٦٩

« هَذَاكَ دَعَاكَ رَبِّيَ قُلْ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ » فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ .
قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ . قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١) .

وهكذا يرى المؤمنون بالله أن الله خالق الكون ، ومدير أمره ، وواضع سننه لا يتقيد بهذه السنن الظاهرة ، وأن وراء هذه السنن سنناً أخرى فوق ما نعرف ، وأن الكون ليس كالزعم السطحين من الماديين ، ميكانيكياً يسير حسب ما يتصورون ، وأنه ليس له مدير يدبر أمره ، وينظم شئونه . . . لا . . . إن الكون أكبر مما يتصوره هؤلاء وأعظم ، وما عرفوا منه إلا الأسماء التي يسقون بها جواهرهم ، وينفسون بها عن غرورهم .

إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ :

« وَمَا أَلْوَيْنَهُمْ مِنَ الْفِئَمِ إِلَّا قَلِيلًا » (٢) .

جاء في كتاب « الإسلام مع الحياة » بعنوان [العلم الحديث ورد الشمس :
جاء في قصص الأنبياء : أن يوشع بن نون كان في معركة مع أعداء الله ، وكادت الشمس تغرب قبل أن ينتهي القتال ، فغشى أن يعجزوه إذا امتد القتال إلى اليوم التالي ، فقال للشمس : أنت في طاعة الله ، وأنا في طاعة الله ، فأسألك أن تقف حتى ينتقم الله من أعدائه قبل الغروب ، فاستجاب الله لطلبه ، ووقفت الشمس ، وزيد في النبأ حتى تم النصر ليوشع .
وقال الله تعالى :

« فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ ، فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ » (١) .

قال المفسرون : - إن موسى عليه السلام ومن معه هربوا من فرعون خوف القتل ، ولما اتهموا إلى البحر ، ولم يجدوا سبيلا إلى ركوبه أوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه ، وحينما امثال ما أمر الله به تجمع الماء على الطرفين بمضه فوق بعض ، حتى صار كالجليل ، وخرج موسى وأنصاره ، وتبعهم فرعون وقومه في نفس الطريق ، فأغرقهم الله ، وكان البحر ييسر في طريق موسى ، وماء في طريق فرعون . وكذب الكافرون كلاً من للمجزيين ، أو الحادثين .

أولاً : لأنها خرق لقوانين الطبيعة

ثانياً : لوصحت لجاء ذكرها في غير الكتب الدينية ؛ لأنها من الأحداث العالمة المعجبة .

وقرأت في جريدة الجمهورية عدد ١٣ - ١٢ - ٥٧ - أن كتاباً في علوم الطبيعة ظهر حديثاً ، وقد أثار ضجة كبرى في الأوساط العلمية ، ولدى المؤرخين حيث أثبت بالأرقام المحسوسة واقعة انشقاق البحر ، ووقوف الشمس في كبد السماء .

أما المؤلف فهو عالم روسي من علماء الطبيعة اسمه « إيمانويل فليكوفسكي » درس العلوم الطبيعية في جامعة ادنبورج ، ودرس التاريخ والقانون والطب في جامعة موسكو ، ودرس علم الأحياء في برلين وفي زيورخ ، ودرس الطب النفسي في فينا ، ولقد خرج المؤلف من أنعمائه التي استمرت أكثر من عشر سنوات إلى استنتاجات علمية تؤيد بدون قصد ما جاء في القرآن الكريم وسيرة الأنبياء عليهم السلام .

وقد رأيت أن أنقل للفراء مقتطفات من الكتاب كما ترجمتها ونشرتها جريدة الجمهورية .

قالت الجريدة : يقول المؤلف : إن نيزكا هائلا مر إلى جوار الكرة الأرضية في عهد يوشع خليفة موسى عليهما السلام . ثم عادت الظاهرة إلى الوجود بعد ذلك بسبعمائة عام . . وهذه الظاهرة الكونية الهائلة التي تسيرها قوى خارقة غير مرئية تفسر للمعجزات التي جاء ذكرها في الكتب السماوية والتوراة والانجيل والقرآن . إن اقتراب كوكب أو نيزك كبير من الأرض يحدث ظواهر متعددة ، منها أن دوران الأرض حول نفسها يقل أو يقف حتى ينجح إلى الناس أن الشمس قد وقفت في كبد السماء ، ومنها انشقاق البحر وانقاد أعمدة من النمام في النهار والليل . ولقد مر كوكب في عهد الفراعنة ، فأمطر الأرض سيلا أحمر طبع الأرض والنيل والبحر بلون الدم . وهذا يؤيد ما جاء في الآية الكريمة :

« فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ » (١) .

وقد نلاحظ هذا التراب الأحمر في جهات متفرقة من الأرض .

إن المعجزة التي تخرق كل قوانين الفلك والطبيعة لا تصنعها سوى قدرة الخالق وحده .

لقد تمت المعجزة حين هرب موسى من اضطهاد فرعون مصر ، فتابعه فرعون بجيوشه ، ولكن انشق البحر ، فر موسى ومن معه بسلام حتى إذا أتبعهم فرعون وجنوده عاد البحر إلى سيرته الأولى ، فانطبق على المطاردين ، وابتلع الرجال والفرسان ولم ينج منهم أحد .

ويقول المؤلف : إنه في العهد الذي يقابل عهد موسى ، يقول المؤرخون الصينيون إن الشمس آنذاك لم تغرب حتى لقد حرقت الغابات ، وذاب الجليد . وهكذا لبثت الأرض ساكنة كأن قوة جبارة قد صنعتها ، ولا يعرف على وجه التحديد كم استمر

وقوفها قبل أن تتابع دوراتها حول نفسها مرة أخرى .

٩ ولكن هل تابعت الأرض دوراتها في نفس الاتجاه ؟

إن الأرض الآن تدور من الغرب إلى الشرق ، فهل كانت هكذا دائماً ، اذا رجعنا في الاجابة على هذا السؤال الى الخرائط القديمة فإن الإجابة هي لا ، لأن الخرائط التي رسمها قدماء المصريين في سقف أحد المعابد تدل على أن الأرض كانت تدور قبل وقوفها من الشرق الى الغرب ، وهذا ما أكدته أفلاطون في حواره عن السياسة حيث قال :

إن الشمس من قبل كانت تضيئ حيث نراها تشرق ، وهذا يفسر الآية الكريمة

« رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ » (١) .

الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق

ولا تلتبس معجزات الرسل وآيات الأنبياء بما يحدث على يد غيرهم من خوارق العادات ، فإن المعجزات تأتي مصحوبة بالتحدي ، وتصدر عن رجال عرفوا بالقوى والصلاح ، وأنهم بلغوا منها الذروة التي لا يتناول إليها أى إنسان .

وتأتى المعجزات بدون كسب لأحد من البشر ، فالله هو الذى يدمم بها مباشرة لأنها كما قلنا ليست فى مقدورهم ولا مقدور غيرهم من الناس ، وإنما هي آية من الله وحده ، ومعجزة لنبيه يتحدى بها معارضيه ..

وأما ما يظهر على يد غير الرسل من خوارق العادات فهو كما قال الشيخ رشيد رضا : منقول عن جميع الأمم فى جميع العصور ، نقلاً متواتراً فى جنسه دون أنواعه وليست كلها حقيقية .

فإن منها ما له أسباب مجهولة للجمهور ، وإن منها ما هو صناعى يستفاد بتعليم

خاص ، وإن منها لمن خصائص قوى النفس في توجيهها إلى مطالبها ، وفي تأثير أقوياء الإرادة في ضعفائها .

ويدخل في هذين الأمرين للكاشفة في بعض الأمور ، والتنويم المغناطيسى ، وشفاء بعض المرضى ، ولاسيما العصاةين بالأمراض العصبية التي يؤثر فيها الاعتقاد والوهم ، ثم يقول :

ومنها انخداع البصر بالتخييل الذي يحذقه المشعوذون ، ومنه ما فعله سحرة فرعون المعنى بقوله تعالى :

« فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسَمَّى » (١) .

ومنه انخداع السمع كالذي يفعله الذين يدعون استخدام الجن إذ يتكلمون ليلاً بأصوات غريبة عن أصواتهم المعتادة ، فيظن مصدقهم ، أن ذلك صوت الجن ، وقد يتكلمون نهاراً من بطونهم من غير أن يحركوا شفاههم ، فلا يبننى أن يوثق بشيء من أخبارهم . . الخ .

فأين هذا من معجزات الأنبياء وآيات الرسل .

أين هذا من انشقاق البحر لموسى ، وإحياء الموتى ليعسى ، وإخراج الناقة من الصخرة لصالح ، ونبع الماء من أصابع محمد صلوات الله وسلامه عليه .

الفرق بين المعجزة والكرامة

والكرامة هي ما يكرم الله به أوليائه بما يظهره على أيديهم ، وليس من شرطها أن تكون خارقة للعادة ، ولا خارجة عن مألوف الناس .

ومن الكرامة الاستقامة ، والتوفيق إلى طاعة الله ، والزيادة في العلم والعمل وهداية الخلق إلى الحق .

وقد يحدث بعض الخوارق للمعادات على أيدي بعض الصالحين في بعض الأحوال ، فيعد ذلك من الكرامات التي تلازم بعض الخاضعين لله وللمتضرعين لعبادته ، والذين سلت فطرم وزكت قوسهم ، كما وقع للسيدة مريم ، وقد حكى القرآن الكريم عنها أنه :

« كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا . قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » (١) .
ولكن مع ذلك لا يتعدى بها ، بل الأصل فيها الإخفاء والكتان ، قال الشيخ أحد الرافعي : إن الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض ، وهذا يخالف للمعجزة ، لأن إظهارها واجب ليم بها تبليغ الرسالة .
معجزة خاتم الأنبياء :

ما بعث الله رسولا إلا وقد أبداه الله بالآيات الكونية والمعجزات الخالفة للسنن المعروفة للناس ، والمخرجة عن مقدور البشر ، ليكون إظهارها على يديه مع بشرية دليلا على أنه مرسل من عند الله .

فقدم حرق الذار لإبراهيم ، وناقاة صالح ، وعصا موسى ، وما ظهر على يدي عيسى (٢) من المعجائب ، كلها من هذا القبيل .

(١) سورة آل عمران آية ٣٧

(٢) كان السحر مشتهرا في عهد موسى ، وكان الطب وإنكار الروح في عهد عيسى ، وكانت البلاغة في عهد محمد ، فكانت معجزة كل نبي من جنس ما اشتهر على عهده ، مع ملاحظة أن المعجزة فوق مقدور البشر ، فهي أعلى مستوى وأرفع قدراً .

وكانت الآيات حسية يوم أن كان العقل الإنسانى فى الطور الذى لم يبلغ فيه الرشد بعد ، ويوم أن كانت هذه المعجائب تبلغ من نفسية الجاهل مبلغا لا تملك معه إلا الإذعان والتسليم .

فلما بدأ النوع الإنسانى يدخل فى سن الرشد، وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها إلى الظهور والنماء ، لم تعد تلك المعجائب هى الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة . ولم يعد من السهل على العقل أن يذعن لمجرد شئ . رآه خارجا عن عرف الحياة . إنه يريد شيئا جديداً يناسب والطور الذى وصل إليه . يريد الإيمان الذى لا تخالطه الشكوك ، واليقين الذى يبدد ظلام الشبهات .

وما كان الله ليمد النوع الإنسانى فى طفولته بما يحفظ به حياته الروحية ، ثم يذعه بعد أن أخذ سبيله إلى النظر العقلى ، والاستقلال الفكرى دون أن يقيم له من الأدلة ما يناسب والارتقاء الذى انتهى إليه ، فكان أن بعث محمداً صلى الله عليه وسلم ، وأيده بالمعجزة العملية ، والحجة العقلية ، وهو القرآن الكريم .

« قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً » (١) .

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى . فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » .
وهذا القرآن ليس من تأليف أحد ، إنما هو وحي الله أنزله على أكل صورة من صور الوحي .

« وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
 أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ » (١) .
 فالآية تقرر أنواع الوحي الثلاثة :

(١) « وحياً » أى إلقاء للنبي في القلب المبرر عنه بالنفث في الروح
 وفي الحديث :

« إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا
 الله وأجلوا في الطلب » .

(ب) الكلام من وراء حجاب ، وهو أن يسمع الموحى إليه كلام الله ، من حيث
 الجاهل به ، كما سمع موسى عليه الصلاة والسلام النداء من وراء الشجرة .

« قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا تَلْقَىٰ مِنْهَا بَخْبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ
 مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ، فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي
 الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (٢) .

(ج) ما يليقه ملك الوحي المرسل من الله إلى رسوله ، فيراه متمثلاً بصورة رجل
 أو غير متمثل .

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أن الحارث بن هشام ، سأل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال أحياناً يأتينى
 مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ ، فيفصم عني ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً
 يتمثل لى الملك رجلاً ، فيكلمنى فأعنى ما يقول :

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيت به ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد
البرد ، فينصم عنه وإن جبينه ليَتَفَصَّدُ عرقاً .

وأكل هذه الأنواع هو لإرسال الرسول بالوحي .

وهذه الصورة هي التي نزل بها القرآن الكريم ، قد نزل بواسطة جبريل
عليه السلام .

« وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْمَالِئِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ، عَلَى قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » ^(١) .

« قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ » ^(٢) .

جاء هذا الوحي ثورة على الباطل في كل صوره ، وعلى الفساد في جميع مظاهره ،
فثار على الخرافات التي لوئت العقول ، وعلى الانحراف الذي شوه القطر ، كما ثار على
العرف القاسد الذي عطل حرية الفكر واستغلال الإرادة .

ثار على هذا كله ثورة عاتية دمرت كل معالم الشر ، ومحت كل لون من ألوان
الفساد واستبدل بها الحقائق التي تهدي العقل ، وتبخر الضمير ، وتسمو بالنفس ؛ لتصل
إلى أقصى ما قدر لها من الكمال الإنساني .

واستهدف تهذيب الفرد ، وتعاون الجماعة ، وإيجاد حكم أساسه الشورى ، وغايته
حراسة دين الله وسيلته دنيا الناس ، والدعوة إلى هداية هذا الدين لتمام الأخوة
الإنسانية ، مما يجعل بسلام عام يعيش الناس في ظله آمنين .

ولم تكن هذه الثورة تستهدف مصلحة ذاتية ، ولا منفعة وطنية ، ولا ترجيح

كفة جماعة حاكمة على كفة جماعة أخرى ، ولا إيثار مذهب على مذهب ، وإنما كانت تلخير العالم كله ومصلحة الناس جميعاً .

جاء هذا الوحي ليحل المشكلات التي أعصلت الناس قديماً وحديثاً .
وليوجب على كل سؤال من هذه الأسئلة :

- ١ — ما هو الدين وما مبادئه ؟
- ٢ — من هو الله ؟ وما صفاته ؟
- ٣ — ما هي الرسالة ؟ ومن هم الرسل ؟ وما وظائفهم ؟
- ٤ — ما ماهية الحياة بعد الموت ؟
- ٥ — ما هو الخير ؟ وما هو الشر ؟ وما كيفية الجزاء عليهما ؟
- ٦ — لماذا خلق الإنسان ؟ وما مركزه في الكون ؟
- ٧ — ما علاقة الإنسان بغيره ؟ وما علاقة الأمم والشعوب ببعضها ببعض ؟
- ٨ — ما علاقة الرجل بالمرأة ؟
- ٩ — ما هي الثروة ؟ وما مصدرها ؟ وما هي كيفية توزيعها ؟
- ١٠ — ما هي الحياة الطيبة ؟ وما السبيل إليها ؟

وهكذا يمتضى القرآن يضع أمام العقل الإنساني مئات المسائل التي لا يستغنى عنها في دور العلم والفلسفة ، والتي تعجز جميع العقول الإنسانية عن الإحاطة بعشر مشارها ، فضلاً عن الإحاطة بها كلها ، والتي يحتاج إليها في قطع مرحلة هذه الحياة لتكون أعلاماً هادية ، تنجيه الضلال في شئون الدين والانحراف في تقلبات الدنيا

« وَلَوْ أَنَّ سَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ »^(١)

كل هذه المسائل جاءت في أسلوب بلاغى رائع يملك على المرء حسه ويستولى على مشاعره ، ويوقظ حواس الخيرية فيه ، مع بعده عن الاختلاف ، وسلامته من التناقض .

« وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا » ^(١) .

إنه لم يعرف لكتاب من الكتب مثل ما لهذا القرآن ، من سمو الموضوع ، وسحرانيان ، وقوة التأثير مما وجهه عناية العلماء إلى الاهتمام بدراسته من حيث ألفاظه ، ومعانيه وعقائده ، وآدابه ، وأحكامه ، وتشريعياته . نخلقوا بهذه الدراسة ثروة ضخمة من العلم والأدب ، لاتزال ولن تزال للمادة الصالحة لقيام حضارة إنسانية ينعم فيها البشر بحياة أفضل وعيش أرغد .

« وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا » ^(٢) .

هذه هي المعجزة التي أيد الله بها نبيه الأُمِّي ، والتي غير بها نفوساً ، وأحيا قلوباً وأنار بصائر ، وربى أمة ، وكون دولة ، في سِتِّيَّ نعد على الأصابع .

إذا كان قلب المعصية معجزة فإن تفسير العقول والقلوب أبلغ في الإعجاز . وإذا كان إحياء الميت من الخوارق التي أيد الله بها بعض أنبيائه فإن إحياء أمة أُمِّيَّة من الجهل والرديلة ، وجعلها مصدر إشعاع وهداية ، هو الخارق الذي تتضاءل في جوانبه جميع المعجزات .

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قبلا
لاتذكر الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفأ القنديلا

الروح ..

- الإنسان جسد وروح
- العلم الحديث والمباحث الروحية
- حدوث الروح
- الروح والنفس
- الروح بعد مفارقتها للجسد
- السؤال في القبر
- مستقر الأرواح

الإنسان مركب من جسد وروح

فها لجسد يتحرك ويمس .

والروح يدرك ، وهي ، ويفكر ، ويعلم ، ويريد ، ويختار ، ويحب ، وبكره وأصل الجسد التراب ، وهذه قضية مسلم بها ، فإن الإنسان لا يكاد يموت حتى يوصل الى عناصره الأولى التي لا تختلف عن باقي عناصر الأرض .

فلو أخذ الإنسان جزءا من تراب الأرض الخصب ، وحلها تحليلا كياويا لوجدناها تتركب من عدة عناصر ، ولو أخذ قطعة من جسم الإنسان وأجرى عليها عمليات التحليل لوجدناها تتركب من هذه العناصر نفسها

وقد أحصى العلماء العناصر التي يتألف منها جسم الإنسان .

وقالوا : ان به من الكربون ما يكفي لعمل ٩ آلاف قلم رصاص ، وبه من الفسفور ما يكفي لعمل ٢٠٠٠ رأس سود كبريت ، وفي الإنسان حديد ، وجوهر ، وبوتاسيوم ، وملح ، ومنغنسيوم وسكر ، وكبريت ، وهي كلها من اللامات التي تتألف منها تربة الأرض .

أما الروح فإن أمرها كان وما زال مثار جدل ونقاش بين العلماء والفلاسفة ، ولم ينتهوا في شأنها الى رأى حاسم بعد ا

أما القرآن ؛ فقد أجاب عن التساؤل الذي ثار حولها إجابة تمد معجزة من معجزاته الكثيرة :

« وَبَسَّالُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » (١)

فالروح من أمر الله الذى لا يعلمه غيره ، ولم يطلع عليه أحداً سواه ، ولم يمتط الإنسان الوسائل التى توصله الى هذا اللون من العلم والإحاطة به ، فلم الإنسان قليل ومحدود. ، وهو لم يدرك حقيقة المادة ، ولا الكون المحسوس المحيط به ، فكيف يتطلع الى إدراك سر من أسرار الله ، وغيب من غيوبه ؟

ان كل ما يمكن أن نعرفه عن الروح هو أنها تحمل فى الجسم ، فتدب فيه الحياة ويظهر فيه الإدراك ، والوعى ، والتفكير ، والعلم ، والإرادة ، والاختيار ، والحب ، والبغض ، وأنها تفارق الجسم ، فيتحول الى مادة هامة جامدة كسائر المواد .

ومن ثم فقد كانت الروح هى الميزة للإنسان عن غيره فى هذا العالم ، وبها صار لما وحده ، وبالروح أسجد الله للإنسان ملائكته ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، وجعله سيد هذا الكون ، وخليفته فى الأرض .

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ » (١) .

وقد عرفها العلماء من المسلمين : بأنها ذات مجردة عن المادة ، وأنها جسم نورانى علوى حى ، يفاير هذا الجسم المادى ، ويسرى فيه سريان الماء فى العود الأخضر ، لا يقبل التحلل ولا الانقسام ، يفيض على الجسم الحياة وتوابمها ، مادام الجسم صالحاً لقبول الفيض .

العلم الحديث والمباحث الروحية :

ووجود الروح متفق عليه فى الأديان السماوية كلها .

وظل الملايين من البشر يعتقدونه ، ويؤمنون به منذ عرفوا هذه الأديان . حتى

كان للذهب المادى الذى انتشر فى القرون الثلاثة الأخيرة . فأخذ ينكر هذه الثنائية بقوة ، ويعلن أنه ليس هناك عالم سوى هذا العالم المنظور ، وأنه ليس شىء سوى المادة ، وأنه لا مكان للروح فى هذا الوجود .

ولقد تأثر كثير من الناس بهذا المذهب ، ووجد له معلمون وأنصار فى كل مكان ، حتى كاد يطمس على كل معتقد دينى ، ويطنى على كل ماعرفه الناس من التعاليم الإلهية ، وجرف معه العلوم الطبيعية فى هذا الاتجاه . إلا أن الله سبحانه قيض من العلماء من يتدارك هذا الأمر ، ويقم الأدلة العلمية على وجود عالم روحانى وراء هذا العالم المنظور بما لا يدع مجالاً للشك ، ولا موضعاً للارتياب ، فتأسست جمعيات لدراسة المباحث الروحية . وقد ثبت لها من الحقائق ما لم يكن يخطر على بال ، ونحن نذكر ما كتبه العلامة الأستاذ محمد فريد وجدى « رحمه الله » فى ذلك قال :

فى تاريخ تأسيس جمعية المباحث الروحية فى إنجلترا سنة ١٨٨٢ :

٥ . جاء فى كتاب الشخصية الإنسانية . للعلامة الأستاذ (هـ . و . ميرس) .

مدرس البسيكولوجيا فى جامعة كمبردج ما يأتى : —

« حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المادى قد أوغل فى البلاد حتى وصل إلينا ، وبلغ أوج سطوته على العقول .

اجتمع ثلة من الزملاء فى كمبردج ، وأجمعوا رأياً على أن هذه المسائل الموبسة المتنازع فيها . « يريد المباحث الروحية » تستحق التفاتاً ، وجهداً جديداً أكثر مما عولجت بهما إلى ذلك الحين ، وكنت أرى أنا أن محاولة جديدة بهذا الاسم لم تعمل إلى ذلك الوقت للبت فى : هل نحن أهل ، أو غير أهل للالمام بشىء يتعلق بالعالم غير المرئى ؟ وكنت مقتنعاً بأنه لو أمكن معرفة شىء من ذلك العالم على أسلوب (١٥ — العقيدة)

يمكن العلم أن يقبله ، ويحفظه ، فلا يكون ذلك بالتفتيب في الأساطير القديمة ، ولا
بوسيلة التأمل فيما بعد الطبيعة ، ولكن بواسطة التجربة والملاحظة ، وبتطبيقنا على
الظواهر التي تحدث فينا أساليب المباحث المضبوطة نفسها فإنها منزهة عن الهوى ،
ومتروى فيها ، أقصد بها تلك الأساليب التي نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم
للرئى المحسوس .

فالمباحث التي يجب علينا عملها ولا يمكن أن تقتصر على تحليل ساذج للأسانيد
التاريخية ، أو التي صدرت عن هذا الوحي ، أو ذلك مما حدث في الزمان الماضي ،
ولكن يجب أن تؤسس قبل كل شيء - ككل بحث على بالمعنى الدقيق لهذه
الكلمة - على تجارب يمكننا تكرارها اليوم ، مؤملين أن نزيد عليها غداً ، فلا
يمكن أن تكون لإمباحث مؤسسة على هذه القضية . وهي ! « إذا كان يوجد
عالم روحانى . وكان هذا العالم الروحانى موجوداً في أى عهد كان . وكان قابلاً
لأن يظهر ويستكشف ، فيجب أن يكون كذلك في أيامنا هذه » .
« فن هذه الوجهة ، وبالجري على هذه الاعتبارات العامة ، واجهت الجمعية
التي أنا عضو فيها هذه المسألة » .

ثم أخذ الأستاذ « ميرس » يسرد التجارب التي عملها ، وعملها غيره مما لا سبيل إلى
نشره هنا ثم قال : ما هي الأدلة التي تحملنى على الاعتقاد بأن كل هذا ليس بصحيح ؟
هذا سؤال يجب أن يضعه كل إنسان نصب عينه ، إذ التوصل إلى التحقق بنير طريق
التأمل من الجهل المطلق الذى هو عليه بماهية الوجود الحقيقية .

« إنى أعترف في كل حال بأن معارفى فيما هو مرجح أو غير مرجح في الوجود
لم تظهر لى كافية لرفض مشاهدات يظهر لى بحق أنها حقيقية ، وأنها مع ذلك ليست

مناقضة لمشاهدات وأصول عامة أكثر منها تأسيساً ، ومهما كان مجال المشاهدات العلمية واسعاً فإنه حتى باعتراف ممثلى العلم الرسمى - ليس إلا نظرة عَجَلَى فى العالم المجهول ، وغير المتناهى للنواميس الطبيعية « ٥١ .

هذا هو تاريخ تكون جمعية المباحث الروحية بلوندره سنة ١٨٨٢ م . من أقطاب العلم فى انجلترا ، ولا تزال باقية للآن .

وقد جمعت من التجارب الروحية ما وقع فى نحو أربعة وخسين مجلداً . وهو ذخى على لم يوجد له مثيل قط فى أى عهد من عهود العقلىة الإنسانية ، فاذا أراد قراؤنا أن يدركوا مقام هذه الجمعية فى نظر رجال العلم ، فليقرأوا ما كتبه عنها الأستاذ الكبير ولیم^(١) جمس فى كتابه إرادة الاعتقاد .

قال فى الصفحة ٣١٣ :

« إن جمعية المباحث الروحية التى يمتد عملها فى انجلترا وأمريكا قد سمحت بأن يتلاقى العالمان : العلمى والروحانى فى مجال واحد ، وإنى أعتبر أن هذه الجمعية منها كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير فى ترتيب المعارف الإنسانية ، فلهذا أستحسن أن أفضى إلى القارىء بنتائج أعمالها بإيجاز ، فأقول :

« إذا صدقنا الجرائد . وأوهام الصالونات - خيل إلينا أن الضمف العقلى وسرعة التصديق هما الرباط المنوى الجامع بين أعضاء هذه الجمعية ، وأن حب

(١) وهو مدرس علم النفس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة . ويعتبر بلا منازع أعظم علماء النفس فى القرن التاسع عشر ، وأن تلميذه وايم مكدوجل أستاذ علم النفس بجامعة ديوك - يعتبر عمدة فى علم النفس الاجتماعى - وهو من أعظم علماء النفس فى القرن العشرين !

العجائب هو الأصل المحرك لها، والواقع أنه يكفي أن نلقى نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة، فإن رئيس هذه الجمعية هو الأستاذ « سدجوبك » المعروف بأنه أشد الناس شكيمة في النقد، وأعضاؤه قياداً في الشك بجميع البلاد الانجليزية. ووكيلاها « المستر ارثر بلفور. » « والأستاذ . . ج. - ب لنجلى » سكرتير الجمع العلمى. ويمكن التنويه . من أعضائها العاملين « بالأستاذ .. ريشيه الفيزيولوجى » الفرنسى الخطير، وتشمل قائمة أعضائها رجالاً آخرين كفايتهم العلمية أشهر من نار على علم، فإذا طلب إلى أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها منقاة بأدق أساليب التمهيص. فإنى أنوه بمحاضر جمعية الباحث الروحية، فإن الفصول الفيزيولوجية التى تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ فى دقة النقد مبلغ دقة هذه المحاضر المذكورة، حتى أن صرامة الأساليب الكشفية التى طبقت منذ عدة سنين على شهادات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء فى باطن الجمعية نفسها^(١) - « ١١ »

وقبل أن تتألف هذه الجمعية حل رأى العام الجمع العلمى الإنجليزى على تأليف لجنة لفحص الظواهر الروحية، وتمحيصها، فندبت ثلاثاً وثلاثين علماً من أعلامها للقيام بهذه المهمة العلمية، فبدلوا فى تحقيق هذا الموضوع ثمانية عشر شهراً، ثم حرروا تقريراً إجماعياً وقع فى ٥١٤ صفحة، وطبع فى أكثر اللغات الحية، جاء فى آخره مانصه :

(١) ولا تزال هذه الجمعية قائمة الآن فى إنجلترا وأمريكا وهى تقبل فى عضويتها المؤمنين بوجود الأرواح والمناهضين لهذه الفكرة، وكل ما تشترطه هو الاهتمام بالروح كظاهرة طبيعية .

« عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها في البيوت الخاصة بالأعضاء لأجل نفي كل احتمال في إعداد آلات لإحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أى نوع كانت .

« وقد تمحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة ، أو الذين يأخذون أجراً على عملهم هذا ، لأن واسطتها كاز أحد أعضاء اللجنة . وهو شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعية . وحاصل على صفة النزاهة المطلقة . وليس له من غرض مالى يرمى إليه . ولا أية مصلحة في غش اللجنة » .

« كل تجربة من التجارب التى عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن نتخيله من التعويطات . عملت بصبر وأناة وقد دُبِّرَت هذه التجارب في أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لما كل المهارة الممكنة لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا ، وإبعاد كل احتمال لتزوير ، أو توهم » .

« وقد اكتفت اللجنة في تقريرها بذكر المشاهدات التى كانت مدركة بالحواس ، وحقيقتها مستندة إلى الدليل القاطع » ...

« وقد بدأ نحو أربعة أخماس أعضاء اللجنة تجاربهم ، وهم في أشد درجات الإنكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد الاقتناع بأنها كانت إما نتيجة التدليس ، أو التوهم ، أو أنها تحدث بحركة غير اعتيادية للمضلات ، ولم يتنازل هؤلاء الأعضاء المنكرون للغاية عن افتراضاتهم هذه إلا بعد ظهور المشاهدات ، وضوح لا تمكن مقاومته في شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة .

وبعد تجارب وامتحانات مدققة مكررة ، اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التى حدثت في خلال هذا البحث الطويل هي مشاهدات حقة لا غبار عليها... الخ » .

هذا ما ورد في ذيل ذلك التقرير الضخم . ولست في حاجة لأن أقول : « إن هذا أكبر حدث سجل في تاريخ العلم .

ومن البعث المحض أن يتوهم متوهم أن الحقيقة تضع ، أو أن التدليس يروج بين يدي ثلاثة وثلاثين رجلاً من أعلام العلم المتوسمين على النظر والتمحيص ، وتمييز الفث من السمين في كل ضروب البحوث البشرية .

ولقد كان لهذا التقرير أثر عالى عام ، فهب آلاف من العلماء والفهماء في جميع ممالك الأرض لبحث هذه الخوارق ، وألقوا لها مئات من الجمليات . ونشروا مثلها من المجلات ، ووضعوا فيها ألوفاً من الكتب . ولا تزال هذه المؤسسات قائمة إلى اليوم . والاهتمام بها يزداد على نسبة كثرة ما يعمل فيها من التجارب والبحوث . وقد أقيمت لها خمس مؤتمرات عالمية في لوندرة ، وباريس . وغيرها . أصدرت تقارير ضافية ترجمت إلى اللغات الحية » .

ثم يمد أن ذكر شهادة كثير من العلماء على صحة وجود عالم وراء هذا العالم . قال :

« يرى قراؤنا عما قدمناه أن العلماء للنصرفين لدراسة الكون والكونيات . قد ظهر لهم عقب حدوث الاكتشافات خطيرة لم تكن تخطر لهم ببال ، أن حدود العلم لا تزال بعيدة عنهم .

وأن كل ما حصلوه منه لا يمدو العلاقات الموجودة بين بعض ما يقع حسهم من الموجودات .

أما كبه تلك الموجودات ، وحقيقة النواميس التي تدبرها ، فلا يزال أمرها

مجهولاً ، وقد تجلى لهم أن من الحاققة وضع حد للممكنات ، والتكذيب بما لم يحيطوا بمله من المجهولات ؛ ثم يرى قراؤنا أيضاً أن طائفة من أمثال هؤلاء العلماء قد وقَّعوا منذ تسعين سنة عقب ظهور حوادث محققة تدل على وجود عالم وراء العالم المحسوس ، إلى التنقيب عن حقيقة ذلك العالم . جارين على أسلوبهم العلمى من لمشاهدة والتجربة ، فوقفوا على أمور لم يكن يدور فى خلد أحد أن أقطاب العلم المادى يمودون ، فيثبتون وجودها ، وقد سبق لهم فيها ، والتشيع على القائلين بها من الشؤون الروحانية .

ولسنا نريد أن نثبت إمكان الرعى بالاستناد إلى اكتشافات هؤلاء العلماء فى عالم ما وراء الطبيعة ، فقد أثبتنا وجوده بالحس من الترائز التى طبعت عليها الحيوانات . ومن حوادث المبقرات ، ولكننا نستأنس بها فى بحثنا هذا ، استدلالاً على أن الإنسانية قد اجتازت دور الافتتان بالماديات ، وبدأت تدخل إلى عهد من الحياة تتفق فيها فتوحات الروح من طريق النبوة . وفتوحات العقل من طريق العلم ، فتستقيم على المجادة التى توصلها إلى كمالها المرجوها خالصة من الشبهات الرائنة على الصدور ، والشكوك المحيرة للعقول ، ١٥

إلى هنا كانت مرحلة العلم بالناحية الروحية إلى أواخر العقد الثانى من القرن العشرين . حتى إذا استنارت هذه المباحث عقل « وليم مكندوجل » . ورأى أن ندرة تلك الظواهر الروحية التى أشرنا إليها سابقاً والتى اعتمد عليها العلماء السابقين فى تقريرهم . وهى الظواهر التى تعتمد على الوساطة الروحية . وهى نادرة الوجود بين الأفراد ، مما يجعل من المستحيل لتلك التجارب أن تتكرر بالانتظام العلى المطلوب فى إثبات الظواهر الكونية ، والقوانين الطبيعية .

فطلب « مكدوجل » من صديقه الدكتور « راين » وكان أستاذا للنبات وعضوا في جمعية المباحث الروحية التي سبقت الإشارة إليها ، أن ينتظم في بحث على تجريبي يخضع لكل الاشتراطات العلمية من القابلية للتكرار ، والتحكم العلمى الدقيق . وأن يقوم « مكدوجل » بإنشاء معامل تخصص لهذا النوع من البحث فقط ، وفعلًا أنشئت معامل الباراسيكولوجى « ماوراء علم النفس بجامعة ديوك » بولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة . الأمريكية ، ودخل فيها « راين » . وصحبه زوجته . وكانت هى الأخرى أستاذة لعلم النبات ، وبدأوا فى أوائل العقد الثالث يوالون أبحاثهم التجريبية فى معامل تجريبية أدخلت إليها . وفيها جميع أساليب الضبط ، والتحكم العلمى الدقيق لدرجة أن القيود العلمية التجريبية التى أدخلت على بعض هذه التجارب كانت أكثر من أى قيود فرضت على أى تجربة علمية سابقة ؟

وقد كان من نتيجة هذه الأبحاث التجريبية الوصول إلى النتائج الآتية :

١ — درس راين ومعاونوه الظواهر الروحية الخارقة ، وبدأ بظاهرة انتقال الفكر « التليثى » وأثبتوا وجودها علميًا .

٢ — درسوا ظاهرة الاستشفاف ، أو الجلاء البصرى . وهى الإحساس بالحوادث التى تحدث على مسافات بعيدة ، وأثبتوا وجودها .

٣ — أثبتوا ، أن انتقال الفكر ، والجلاء البصرى مظهران لظاهرة واحدة أطلقوا عليها اسم : « الإدراك خارج الحواس »

٤ — أثبتوا ، أن ظاهرة الإدراك خارج الحواس لا تخضع للعلاقة المكانية ،

والزمانية التي تخضع لها جميع الظواهر المادية . وظواهر الطاقة سواء أكانت كهربائية أو حرارية أو عضوية أو غيرها ، بمعنى طاقة الجاذبية ، أو طاقة الضوء تخضع لقانون التوزيع العكسي أى أن شدة الجاذبية أو شدة الإضاءة ، تتناقص بنسبة تتناسب مع مربع البعد عن مصدر الضوء ، أى أن قوة إضاءة الشمعة إذا أبعدت عن الرأى الذى يراها على بعد متر إذا أبعدت إلى مترين ، أى ضعف المسافة نزلت قوة الإضاءة إلى الربع . أى عكس مربع ٢ وهو ٤ فتصير $\frac{1}{4}$.

هذا من ناحية العلاقة المكانية التي تخضع لها كل أنواع الطاقة

كذلك العلاقة الزمانية التي يفسر عنها في العلوم الطبيعية بقانون (السببية) أو العلة والمعلول ، أى أن السبب يسبق النتيجة دائماً ، ولكن هذا القانون انكسر فى تجارب الإدراك خارج الحواس ، بمعنى أنه يحدث تنبؤ ، فيحدث الإدراك العقلي للمعاصرة « وهى نتيجة » قبل أن تحدث الحادثة فى الكون وهى المؤثر أو السبب

٥ — أثبت هؤلاء الباحثون أن العقل الذى يتأثر بالقانون العام المعروف فى علم النفس . وهو قانون المؤثر والاستجابة له ، أو الرد عليه ، كذلك العقل يستطيع أن يحس ، أو يتأثر بالمادة عن طريق الإدراك الخارج عن الحواس ، وكذلك فيؤثر فى المادة بالطاقة ، التى سموها الطاقة النفسية الحركية ، أى أن العقل يؤثر فى المادة دون اتصال مادي مباشر .

٦ — فإذا كان هناك إدراك خارج عن الحواس ، وطاقة نفسية محركة ، فهذا دليل على أن للشخصية الإنسانية شقاً لا يخضع للقوانين الطبيعية المعروفة فى علم الفيزياء ، والكيمياء ، أى أنه شق روحي .

ومن شاء الاستزادة من هذه الأبحاث فليرجع إلى كتاب « العقل وسطوته » ،

تأليف . ج . ب . راين وترجة الدكتور محمد الحلوجي . ففيه بحوث مستفيضة عن هذه الناحية . كما أن به أن هذه البحوث التجريبية قد عرضت على مؤتمرين لكل علماء الولايات المتحدة في الرياضة الاحصائية وفي علم النفس ، وأخذت إقرارهم جميعاً عليها ، وبذلك فقد أصبحت الآن في موقف على فوق النقد ، أو الجدل .

حلول الروح

والروح حادثة ، وليست بقديمة بإجماع المسلمين ، ويظهر أنها تحدث بعد تسوية الجسم ، وتتصل به ، وتعمل فيه وهو جنين !
فمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال :

« حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يُجَمِّعُ خلقه في بطن أمه أربعين يوماً . ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك . ثم يكون في ذلك مُضْغَةً مثل ذلك . ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح . ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه . وأجله . وعمله . وشقى ، أو سعيد ، فوالذى لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخلها^(١) . »

الروح والنفس

والروح والنفس معناهما واحد ، يقول الله سبحانه وتعالى :

(١) رواه مسلم

« الله يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا . فِيم_Sِكُ
الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ . وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى » (١)
ويقول سبحانه :

« وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُم » (٢) .

فالأنفس في الآيتين المقصود بها الأرواح .
وقد ذكر القرآن النفس الأمارَة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس المطمئنة
وليست هذه بأقسام للنفس ، وإنما هي صفات :
فالنفس في حالة تسلط الفرائز ، وسيطرة الاستعدادات الفطرية عليها تكون
أمارَة بالسوء .

« وَمَا أُبْرِيهِ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسَّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي » (٣) .
فإذا تعلمت وتهذبت بالدين ، والتعاليم المثالية ، وَجِدَ الضمير . وهو الشعور
النفسى الذى يقف من المراء موقف الرقيب يدعو إلى الخير ، وينهى عن الشر ،
ويحاسب بعد أداء العمل مستريحاً للإحسان ، ومستنكراً للإساءة .
فإذا وصلت النفس إلى هذا الطور من اليقظة والمراقبة والمحاسبة واستراحت
للغير ، وضائق بالشر ، كانت في هذا الطور نفساً لوامة !
« لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » (٤) .

فإذا واصل الإنسان جهاد نفسه ، فخلص من الهوى ، وكبت شهوته ، وأرتفع
عن النقائص ، وسمت نفسه إلى الحق ، والخير ، والجمال والكمال — بلغ منزلة الرشد

(١) سورة الزمر الآية ٤٢ (٢) سورة الأنعام الآية ٩٣
(٣) سورة يوسف الآية ٥٣ (٤) سورة القيامة الآية ١ — ٢

للدى يريد الله ان يصل إليه الانسان في هذه الحياة ، ليكون أهلاً لجواره في
الدار الآخرة .

« وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ . وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْمِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ » (١) .

وحين يرتفع الإنسان الى هذا المستوى الرفيع تكون نفسه قد اطمأنت
بالحق والخير ؛

« يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي
عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي » (٢) .

ومالم يصل الإنسان الى هذا المستوى يكون قد عرض نفسه لخسارة لا يمكن
داركها بعد

« وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا .
وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا » (٣) .

الروح بعد مفارقتها للجسد

والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت ، وتبقى هي مدركة تسمع من
يزورها ، وتعرفه ، وترد عليه السلام ، وتحس لذة النعيم ، وألم الجحيم .

قال ابن تيمية :

« وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه في الدنيا ، وأن ذلك

(١) سورة الحجرات الآية ٧ (٢) سورة النجم الآية ٢٧ - ٣٠ .

(٣) سورة الشمس من الآية ٧ - ١٠

يعرض عليه ، وأنه يرى ويدرى ما يُقَعَلُ عنده ، ويسر بما كان حسناً ، ويتألم بما كان قبيحاً ؟

وروى أن عائشة رضی الله عنها : بعد أن دفن عمر رضی الله عنه ، كانت تستتر وتقول : « كان أبي وزوجي ، فأما عمر فأجَنَيْتُ » . . . تعني أنه يراها .

« وروى أن الموتى يسألون الميت عن حال أهلهم ، فيعرفهم أحوالهم . وأنه وَلَدَ لفلان ولد وتزوجت فلانة » ١ هـ

السؤال في القبر !

اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان يسأل بعد موته قُبْرَ أُمِّ لَمْ يَقْبَرَ فلوا أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ، ونسف في الهواء ، أو غرق في البحر لسئل عن أعماله ، وجوزى بالخير خيراً ، وبالشر شراً . وأن النعيم أو العذاب على على النفس والبدن معاً . قال ابن القيم :

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى .

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل رضی الله عنه ، وصحيح أبي حاتم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : —

« إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق ناله ، حين يولون عنه ، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعرفة والإحسان عند رجله ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى من يمينه ، فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يساره ، فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجله ، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعرفة والإحسان : ما قبلي مدخل ، فيقال له : اجلس ، فيجلس ، قد مثلت له الشمس ، وقد أخذت للغروب . فيقال له : هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دَعُونِي أَصَلِّي ، فيقولان : إنك سئلي ، أخبرنا عما نسألك عنه ؟ أرايتك^(١) هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وما تشهد عليه ؟ فيقول : محمد — صلى الله عليه وسلم — أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله ، فيقال له : على ذلك حيث ، وعلى ذلك مت ، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ، ثم يفتح له باب إلى الجنة ، فيقال له : هذا مقعدك ، وما أعد الله لك فيها ، فيزداد غبطة وسروراً ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ، وينور له فيه ، ويماد الجسد لمبا بدىء منه ، وتجعل نَسَمَتُهُ^(٢) في النسم الطيب ، وهي طير معلق في شجر الجنة ، قال : فذلك قول الله تعالى :

« يثبتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ »^(٣)
وذكر في الكافر ضد ذلك إلى أن قال : ثم يضيئُ عليه في قبره إلى

(١) أرايتك أى أخبرنا . (١) نَسَمَتُهُ : أى رُوحَه .

(٣) - سورة إبراهيم آية ٢٧

أن تختلف فيه أضلاعه ، فذلك المبيشة الضنك التي قال الله تعالى :
« فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا . وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى » (١).

وقال الحافظ في الفتح

وذهب ابن حزم ، وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير
عود إلى الجسد ، وخالفهم الجمهور ، فقالوا : تعاد الروح إلى الجسد ، أو بعضه كما
ثبت في الحديث ، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن من ذلك اختصاص ،
ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تتفرق أجزأؤه ، لأن الله قادر أن يعيد الحياة إلى
جزء من الجسد ، ويقع عليه السؤال ، كما هو قادر على أن يجمع أجزأؤه . والحامل
للقائلين : بأن السؤال يقع على الروح فقط . أن الميت قد يشاهد في قبره حال المسألة
لا أثر فيه ، من إصعاد ولا غيره ، ولا ضيق في قبره ، ولا سعة ، وكذلك غير
المقبور كالمصلوب . وجوابهم أن ذلك غير ممنوع في القدرة ، بل له نظير في المادة
وهو النائم ، فإنه يجد لذة وألمًا ، لا يدركه جليسه ، بل اليقظان قد يدرك ألمًا ولذة
على اسمه ، أو يفكر فيه ، ولا يدرك ذلك جليسه ، وإنما آتى الغلط من قياس النائم
على الشاهد ، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله ، والظاهر أن الله تعالى صرف
أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم ، إبقاء عليهم ، لئلا يتدافقوا
« ليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور المكوت ، إلا من شاء الله » ،
وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور ، كقوله : « إنه يسمع خفق ناعلم »
وقوله : « تختلف أضلاعه لضمة القبر » . وقوله : « يسمع صوته إذا ضربه
بالمطرات » وقوله : « يضرب بين أذنيه » وقوله : « فيقعدانه » وكل ذلك من
صفات الأجساد :

مستقر الأرواح ١

هقد ابن القيم فصلا ذكر فيه أقوال العلماء فى مستقر الأرواح ، ثم ذكر القول الراجع قال ١

« الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم التفاوت .

فنها : أرواح فى أعلى علفن فى الملاء الأعلى ، وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وهم متفاوتون فى منازلهم ، كما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء

ومنها : أرواح فى حواصل طير خضرٍ تسرح فى الجنة حيث شاءت .

وهى أرواح بمض الشهداء لا جميعهم ، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدينٍ عليه أو غيره ، كما فى المسند عن محمد بن عبد الله بن جَحْش ، « أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله مالى إن قُتِلْتُ فى سبيل الله ؟ قال : « الجنة » ، فلما ولى . قال : إلا الدين سارنى به جبريل آتياً » .

ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة . كما فى الحديث الآخر : « رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة » .

ومنهم من يكون محبوساً فى قبره كحديث صاحب الشجرة التى غلّها^(١) ، ثم استشهد فقال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال النبى الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده إن الشجرة التى غلّها لتشتعل عليه ناراً فى قبره » .

ومنهم من يكون مقره باب الجنة ، كما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما « الشهداء على بارقٍ نهرٍ يباب الجنة فى قبةٍ خضراء يخرجُ عليهم رزقهم من الجنة بكررة وعشية »^(٢)

(١) غلّها : سرقها من الغنينة قبل القسمة . (٢) رواه أحمد

وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب ، حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء

ومنهم من يكون محبوباً في الأرض ، لم تملُ روحه إلى الملاء الأعلى ، فإنها كانت روحاً سفليةً أرضيةً ، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية ، كما لا تجامعها في الدنيا ، والنفوس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربها ، ومحبتة وذكره والأنس به ، والتقرب إليه ، بل هي أرضية سفلية ، لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك .

كما أن النفوس العلوية التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب إليه ، والأنس به ، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالزم مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة ، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد — ويحمل روحه (يعنى المؤمن) مع النسم الطيب . بمعنى الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه ، فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها ، وإخوانها ، وأصحاب عملها ، فتكون معهم هناك .

ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني ، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلثم الحجارة .

فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد ، بل روح في أعلى عليين ، وروح أرضية سفلية لا تصمد عن الأرض .

وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب .. وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك ، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضاً ، فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً ، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها . وأن لها شأنًا غير شأن البدن ،

وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء ، وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه ، وهي أسرع شيء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً ، وأنها تنقسم إلى مرسله ومحبوسة ، (١٦ — العقيدة)

وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ، ومرض ، ولذة ، ونعيم ، وألم ، أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير ، فهناك الحبس والألم والمذاب والمرض والحسرة ، وهناك اللذة والراحة ، والنعيم والاطلاق وما أشبه حالها في هذا البدن بحال الطفل في بطن أمه ! وحالتها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار ، فلهذه الأنفس أربع دور ، كل دار أعظم من التي قبلها .

الدار الأولى : في بطن الأم ، وذلك الحصر والضيق والنم والظلمات الثلاث والدار الثانية : هي الدار التي نشأت فيها وأفتت بها ، واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة .

والدار الثالثة : دار البرزخ ، وهي أوسع من هذه الدار وأعظم ، بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى .

والدار الرابعة : دار القرار ، وهي الجنة والنار ، فلا دار بعدها .

واقفه يتقلها في هذه الدور طبقاً بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها . ولا يليق بها سواها ، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل للوصول لها إليها .

ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن ، غير شأن الدار الأخرى ، فتبارك الله فاطرها ، ومُنشئها ، ومُميتها ، ومُحييها ، ومُسعدُها ، ومُسقيها ؛ الذي قاوت بينها في درجات سمادتها وشقاوتها . كما قاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها .

وقواها وأخلاقها — فن عرضها كما ينبغي ، شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك كله ، وله الحمد كله ، ويده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، وله القوة كلها والقدر كلها والعز كله والحكمة كلها ، والكمال المطلق من جميع الوجوه ، وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله ، وأن الذي جاءوا به هو الحق الذي تشهد به المقول ، وتقر به الفطر ، وما خالقه فهو

الباطل ، وبالله التوفيق ؟

أشراط الساعة

- العلامات الصغرى
- العلامات الكبرى
- المهدي
- خروج المسيح الدجال

الساعة وإن خفي علمها على الناس ، فقد جعل الله لها أمارات تدل على قربها .
يقول الله سبحانه :

« فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ، فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ » (١) .

وهذه العلامات منها : علامات صغرى ، وعلامات كبرى .

العلامات الصغرى

فأما العلامات الصغرى ، ففجعلها فيما يلي :

بعثة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وختم النبوة والرسالة به ، فمن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« بعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار بالسبابة والوسطى » (٢)

والمراد بهذا التشبيه أنه صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبين الساعة نبي آخر ، فهي تليه ، وتأتى بعده ، وهذا علم بقربها ، ولا يستلزم العلم بوقت مجيئها ؛ فإن العلم بوقت المجيء لا يعلمه إلا الله .

وأن يصبح الملوك والأمراء والرؤساء من أولاد السراى ، لا من أولاد بنات البيوتات العريقة فى حسن التربية ، وعلو الأخلاق ، وكال اللروة ، كما يصبح أهل البذاوة ، ورعاة الغنم من أصحاب الثروة والترف والفسرر المالية والترأس على الناس .

فمن أبى هريرة : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوماً بارزاً للناس ، فأتاه جبريل ، فقال ، يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أشراطها :

(١) سورة محمد آية ١٨ . (٢) رواه البخاري . ١ - الترمذى .

« إذا ولدت الأمة ربّتها ، فذاك من أشراطها .
 « وإذا كانت الحفّاة المرأة رعاء الشاء رموس الناس فذاك من أشراطها .
 « وإذا تطاول رعاء الغنم في البنيان فذاك من أشراطها » ^(١) .
 وفي حديث جبريل أنه سأل الرسول عن الساعة ، فقال : ما المسئول عنها
 بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربّتها ، وأن ترى
 الحفّاة المرأة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، ^(٢) .

وفي حديث الإمام البخاري جملة من هذه العلامات ، عدتها إحدى عشرة علامة ،
 فمن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « لاتقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان ، تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتها
 واحدة ^(٣) » ، وحتى يبعث ^(٤) دجاون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه
 رسول الله ^(٥) » ، وحتى يقبض المسلم ^(٦) ، وتكثر الزلازل ^(٧) » ، ويتقارب

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢) رواه البخاري ومسلم عن عمر
 (٣) هامة الامام على وفاة معاوية (٤) أي يظهر

(٥) مثل مؤسس الفديانية والبهائية ، وآخر ما سمعنا به من هؤلاء الدجالين
 الأحياء أليشع محمد الذي ظهر أخيراً في المكسيك ، وادعى أنه رسول الله ، واستطاع
 أن يضل مجموعة كبيرة من الزنوج الأمريكيين ، ولا يزال يعمل على تضليل الناس
 هناك باسم الدين ، وأنه رسول رب العالمين .

(٦) المراد بقبض العلم : قبض علماء الدين والدعاة إلى الله : ففي الصحيحين
 عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله لا يقبض العلم
 انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ
 الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا ، وأضلوا » .

(٧) أي تكثر كثرة زائدة عما يمهده الناس ، وهذه الكثرة تكون مقدمة
 للزلة الكبرى التي تتغير بها معالم الحياة .

الزمان^(١)، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج ، وهو القتل^(٢) ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهزم ربّ المال من قبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لأرب^(٣) لى به ، وحتى يتناول الناس فى البنيان^(٤) ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : يا ليتنى مكانه^(٥) ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ، ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين (لا ينفعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبتُ فى إيمانها خيراً) ولتقوم الساعة ، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتبايعان ، ولا يطويان ، ولتقوم الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحّته فلا يطعمه^(٦) ،

(١) أى أن المسافات البعيدة تقطع فى زمن قليل بواسطة سفن الفضاء والطائرات والبواخر والقطر ، ونحو ذلك مما اخترعه الناس ، وفى هذا إشارة من أمر الغيب الذى أعلم الله به رسوله بما سيحدث فى مستقبل الزمان .

(٢) أى أن الفتن المذهبية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية تظهر بقوة ، فيسبب عنها القتل الكثير ، كما حدث فى الحرب العالمية الثانية ، وكما ينتظر أن يحدث فيما إذا قامت حرب ذرية عامة ، وهذه احدى نبوءات الغيب .
(٣) لأرب : لاجابة لكثرة المال التى تكون آخر الزمان .

(٤) وقد تناول الناس فى هذا الزمان حتى بنوا ناطحات السحاب كما هو معروف فى نيويورك وأمريكا وغيرها .

(٥) لما يرى من تقديم من يستحق التأخير وتأخير من يستحق التقديم وتجاهل أقدار أصحاب المواهب وكثرة التعرض للفتن .

(٦) اللقحة : ذات اللبن من النوق .

ولتقومن الساعة وهو يُلِيط^(١) حوضه ، فلا يسقي فيه ، ولتقومن الساعة ، وقد رفع أكلته^(٢) إلى فيه ، فلا يطعمها .

أما العلامات الكبيرة ، فنجعلها فيما يلي :

طلوع الشمس من المغرب ، وخروج الدابة :

عند قرب الساعة يحدث تغيير في نظام الكون ، وتظهر آيات غير مألوفة للبشر ، فتطلع الشمس من المغرب على خلاف ما نعهده الآن من طلوعها من المشرق ، وتخرج دابة من الأرض تكلم الناس .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن أول الآيات خروجا : طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس خبي ، وأيتهما كانت قبل صاحبتهما ، فالأخرى على أثرها قريباً^(٣) » .

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ، ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً^(٤) » .

(١) يُلِيط : يُصْلِحُ .

(٢) أكلته : المضغة من الطعام . والمعنى أن الساعة تأتي بفتنة والناس لا يشعرون .

(٣) رواه مسلم وأبو داود .

(٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود : أى لا ينفع الإيمان نفساً كافرة لم تكن آمنت من قبل ، ولا ينفع التوبة من المعاصي نفساً مؤمنة لم تكن كسبت خيراً في إيمانها .

ويقول الله سبحانه :

« وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ » (١).

ففي هذه الآية إخبار عن خروج دابة تكلم الناس حينما يأتي أمر الله ، كقدمة
من مقدمات الساعة ، وحينما لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت
في إيمانها خيراً .

ولا ينبغي أن يبحث عما وراء ذلك من الفرائب التي قيلت في وصف هذه
الدابة من أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم ، وأن لها وجه إنسان ورأس ثور
وعين خنزير وأذن فيل ، وأنه لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، وأنها تحمل
عصا موسى وخاتم سليمان ، فذلك لم يصح منه شيء .

قال الإمام الرازي : « واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور ،
فإن صح الخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وإلا لم يلتفت إليه » .

إن خروج الدابة غيب من الغيوب ، فيجب علينا الوقوف عندما أخبر به
القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، ولم يأت فيهما سوى أن دابة ستخرج ، وتكلم
الناس ، وذلك من أمارات الساعة .

وقد ذكر في السورة نفسها ، أن موسى عليه السلام ألقى عصاه بأمر الله ، فإذا هي
تهتز كأنها جان ، وأن سليمان عرف لغة الطير ، وسمع النملة وهي تدعو جماعتها ؛
لتدخل مساكنها ، مخافة أن يحطمها سليمان هو وجنوده وهم لا يشعرون ، وأن سليمان
تبسم ضاحكاً من قولها .

وفي السورة أيضاً أن المدهد كرم سليمان بنخبر سبأ ، وقال :
 « إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ
 عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيْنَ لَهُمْ
 الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَنْ لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ
 الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » (١) .

والدابة التي ستخرج من الأرض ، وتكلم الناس سيكود . كلامها لم من
 هذا القبيل .

المهدي

خلاصة القول في الإمام المهدي : أنه سيظهر في آخر الزمان ، وأن اسمه محمد
 ابن عبد الله ، وأحمد بن عبد الله (٢) ، وأنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من ولد فاطمة (٣) ، وأنه يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم في الخلق ، ولا يشبهه في
 الخلق (٤) ، وأنه أجلى الجبهة ، أفنى الأنف (٥) وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ،
 كما ملئت ظلماً وجوراً ، وأنه يقيم شريعة الإسلام ، ويحيي ما اندثر من سنة رسول
 الله عليه الصلاة والسلام ، وأن الإسلام تملو كلمته في عهده حتى يلقي بجرانه إلى
 الأرض (٦) . ويمكن له ، ويكثر الرخاء في أيامه من وفرة العدل ، وكثرة ما يعطى

(١) سورة النمل آية ٢٣ - ٢٥ (٢) رواه أبو داود والترمذي

(٣) رواه أبو داود والحاكم (٤) رواه أبو داود من كلام الإمام علي

(٥) أي منحصر الشعر عن مقدم الرأس ، وأن أنفه طويل مع حذب وسطه

ودقة أرنبته

(٦) يقرأ أمره ويستقر ، رواه أبو داود

من المال ، فهو يَحْتَوِ المال حَتْوًا ، لَا يَمُدُّهُ عَدَاً ^(١) ، وأنه يَمَكُثُ سبع ^(٢) سنين
ويأتى بعده الدجالُ ، ثم ينزل عيسى ، فيتعاون عيسى مع المهدي على قتله ، ثم
يَتَوَفَّى المهدي ، ويصلى عليه المسلمون .

هذه هي خلاصة الروايات التي تحدثت عن المهدي ، ورويت في شأنه ، وهي
في جملتها لا تخرج عن كونها اخباراً عن ظهور رجل من المصلحين في آخر الزمان
يرفع لواء الحق ، ويملي كلمة الله ، ويمكن للإسلام ، ويكون طليعة للخير العام الذي يأتي
بعده ، كما كان يوحنا قبل ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام .

على أثر ذلك يخرج الدجال اليهودي ، كظهر من مظاهر الفتنة الكبرى ؛ ليقاوم
هذه النهضة الإسلامية محاولاً فتنة الناس عن دينهم بما أُعْطِيَ من علم وبراعة وقوة
فيظلل الله أمره بما يحدثه من آيات أكبر من فتنته ؛ يائزال عيسى عليه الصلاة والسلام
ليكون قوة للحق الذي يمثله المهدي حينئذ ، ويتعاون كل من عيسى والمهدي ومن
ورائهما كتائب الإسلام على قتله ، وإحباط أمره .

فإذا قتل الدجال انهزم اليهود الذين يقاتلون معه ، وعددهم سبعون ألفاً ^(٣) ثم
يكشف الله أمرهم ، فلا يتوارى منهم يهودى وراء شيء إلا أنطق الله هذا الشيء فقال :
يا عبد الله المسلم ، هذا يهودى فتعال اقتله . وبهذا يقضى على أكبر فتنة من الفتن
التي تحدث في الأرض ، ثم يأخذ عيسى في العمل على نحو المسيحية التي ارتكبت كل
الحماقات باسمه ، والتمكين لدين الحق دين الاسلام . ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم
فيكون عيسى في أمي حكماً عدلاً ، وإماماً مقسطاً . يدق الصليب ^(٤) ، ويدبح

(١) رواه مسلم (٢) رواه أبو داود (٣) رواه ابن ماجه

(٤) يكسره إعلاناً بأنهاء المسيحية كما أنتهت على يديه اليهودية

الخنزير ، ويضع الجزية ^(١) ، ويترك الصدقة ^(٢) ، فلا يسعى على شاة ولا يعبر ، وترفع الشحناء والتباغض ، وتُنزع حمة كل ذي حمة ^(٣) حتى يدخل الوليد يده في الحية . فلا تضره ، وتقرّ الوليدة الأسد فلا يضرها ^(٤) ، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء ، وتكون الكلمة واحدة ، فلا يبعد إلا الله ، وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها ، وتكون الأرض كفا ثور ^(٥) الفضة تنبت نباتها بعهد آدم ^(٦)

وبهذا يتحقق وعد الله من إظهار الإسلام وإعلانه على الدين كله
« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً » ^(٧).

ثم يحدث بعد ذلك النقصان ولا يزال الناس يبتعدون عن الدين شيئاً فشيئاً حتى يرتدون عن دينهم ، فتقوم الساعة وهم على ما هم عليه من كفر وردّة وليس بعد الكمال ، إلا الفناء والزوال !!

« إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَطْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنَاهَا أَمَرْنَا لَيلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » ^(٨).

-
- (١) أى لا يقبل من أحد غير الإسلام (٢) لا يقبلها لغنى الناس وقتئذ
(٣) ينزع السم من ذوات السموم (٤) تحاول أن تفعل به ما يهرب منه ويفر
(٥) إناء الفضة (٦) تنبت نباتها كما كان على عهد آدم في غناه وحسنه وبركته
(٧) سورة الفتح آية ٢٨ . (٨) سورة يونس آية ٢٤ .

خروج المسيح الدجال (*)

من علامات الساعة وأماراتها الكبرى أن يخرج المسيح الدجال ، ويدعى الألوهية ، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات ، وبما يظهر على يديه من عجائب ، فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين آمنوا ، فلا يخذعون بأضاليه ، ثم ينجلي أمره ، ويقضى على فتنته ، ويقتل بأبدي المسلمين وقائدهم حينئذ عيسى عليه السلام .

وقد حذرت الرسل أمهم من فتنته وغوايته ، كما حذر منها خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً .

فمن عمر « أن النبي صلى الله عليه وسلم استنصت^(١) الناس يوم حجة الوداع ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر الدجال ، فأطنب في ذكره ، وقال : ما بعث الله من نبي إلا أنذرهم أمته ، وإنه يخرج فيكم ، فاخفى عليكم من شأنه ، فلا يخفى عليكم إن ربكم ليس بأعور ، وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه طافية^(٢) » .
قال الشيخ رشيد رضا :

« وبدل القدر المشترك منها^(٣) على أن النبي صلى الله عليه وسلم كشف له ، وتمثل له ظهور دجال في آخر الزمان ، يظهر للناس خوارق كثيرة ، وغرائب بفتن بها خلق كثير ، وأنه من اليهود ، وأن المسلمين يقاتلونه ، ويقاثلون اليهود في هذه البلاد المقدسة ، وينتصرون عليهم وقد كشف له ذلك مجللاً غير مفصل ، ولا يوحى به

(*) سمي بهذا الاسم لأنه يمسح الأرض ويقطعها في مدة زمنية ، ولأنه أعور ممسوح العين .

(١) استنصت : أى طلب سكوتهم . (٢) رواه البخارى ومسلم

(٣) أى الأحاديث الواردة في الدجال .

عن الله ، كما كشف له غير ذلك من الفن فذكره ، فتنقله الرواة بالمعنى ، فأخطأ كثير منهم ، وتعمد الذين كانوا يثبتون الإسرائيليات الدس في رواياته .
ولا يبعد أن يقوم طلاب الملك من اليهود الصهيونيين بتدبير فتنة في هذا المعنى يستعينون عليها بخوارق العلوم والفنون المصرية كالكهرباء والكيمياء وغير ذلك . والله أعلم .

ويؤيد هذا الذي قاله الشيخ رشيد الأحاديث الآتية .
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراء اليهودى :
يا مسلم هذا يهودى ورأى فآتله » ^(١)
ومذا مجاز عن عدم إفادة الاختباء شيئاً .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج للملحمة ، وخروج
الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال » ^(٢)
وهذا الفتح غير الفتح الأول ، ففي رواية الترمذى « فتح القسطنطينية مع
قيام الساعة »

نزول عيسى عليه السلام

يستخلص من مجموع الأحاديث أن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل في آخر
الزمان أثناء وجود الدجال ، ويكون نزوله هذا علامة من علامات الساعة الكبرى ،
فيحكم بالقسط ، ويقضى بشريعة الإسلام ، ويحيى من شأنها ما تركه الناس ، ويقتل
الدجال ، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم يموت ، ويصلى عليه ، ويدفن ، ثم
تهب ريح تقبض أرواح المؤمنين جميعاً ، فلا يبقى بعد ذلك إلا شرار الناس ،
فلا يكون بعد الكمال إلا الفناء والزوال .

(٢) رواه أبو داود

(١) رواه البخارى ومسلم

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« والذئ : نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً^(١) ،
فيكسر الصليب^(٢) ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية^(٣) ، زيفي^(٤) المال ، حتى
لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم قال
أبو هريرة رضى الله عنه ، اقرءوا إن شئتم » وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به
قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً^(٥) »

أى ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بيسى عليه السلام ، قبل موت
عسى حين ينزل إلى الأرض ، قبل قيام الساعة .

وعن عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول :
« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج الدجال فى أمتى ، فيمكث
أربعين ، قال : لا أدرى أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً ، أو أربعين عاماً . . . ،
فيبعث الله عيسى ابن مريم ، كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه ، فيهلكه ، ثم يمكث
الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ،
فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى
لو أن أحداكم دخل فى كبـد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه ، فيبقى شرار الناس فى خفة

(١) أى حاكماً بشريعة الإسلام ، قائماً بالعدل .

(٢) يكسر الصليب إظهاراً لكذب النصارى واقتراثهم عليه وى دعوى أنه

قتل وصلب .

(٣) يسقطها عن أهل الكتاب ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام .

(٤) أى يكثر الخير بسبب العدل .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

الطير وأحلام السباع^(١) ، لا يعرفون معروفًا ، ولا ينكرون منكراً ، فينشل لهم الشيطان ، فيقول : ألا تستجيبيون ؟ فيقولون : فأتأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌ رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم ينفخ في الصور ، فيصعق الناس ، ثم ينزل الله مطراً كأنه الطل^(٢) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه^(٣) أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس هلم إلى ربكم « وقوم إنهم مسئولون » ثم يقال : أخرجوا لبعث النار ، فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسمة وتسعون . قال : فذاك يوم يحمل ولدان شيئاً ، وذلك يوم يكشف عن ساق .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء »^(٤) .

(١) أحلام السباع : أى أنهم يسرعون إلى الشر والظلم ، فيكونون في المأساة كالطير ، وفي الظلم كالسباع المفترسة .

(٢) كأنه الطل : أى المطر الخفيف .

(٣) ينفخ فيه : أى الصور ولا يعلم عنه أحد شيئاً إلا أن قرن ينفخ فيه فتكون الساعة ، وتقوم القيامة ، ثم ينفخ فيه مرة أخرى فيكون البعث . وما يبرئ النفختين مدة زمنية غير معلومة بالضبط عن أبى هريرة رضى الله عنه . عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : « ما بين النفختين أربعون : قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً قال : أبينت^(٥) قالوا : أربعون شهراً قال : أبئت . قالوا : أربعون سنة . قال أهيئت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبثون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبه إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة .

(*) أبئت . لا أدري — عجب الذنب : هو آخر عظم سلسلة الظهر لا يدر

البلى ، ومنه ينبت الجسم في النشأة الآخرة .

(٤) رواه البخارى ، ومسلم

اليوم الآخر

• الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان

المقيدة

• لم يخلق الإنسان عبثاً

• مفهوم اليوم الآخر

• اهتمام القرآن به

• حكمة الاهتمام به

• بداية اليوم الآخر

• العلم الطبيعى واليوم الآخر

• متى هو؟

• البعث

• أدلة البعث

• شبهة منكرى البعث

• اختلاف الناس عند البعث

• الشفاعة

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان ، وجزء من أجزاء العقيدة ، بل هو المنصرمام الذى يلى الإيمان بالله مباشرة .

لأنَّ الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذى صدر عنه الكون ، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهى إليه هذا الوجود .

وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للإنسان أن يحدد هدفه ، ويرسم غايته ، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله إلى الهدف ، ويبلغ به الغاية .
ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته سوف تبقى حياة لا هدف لها ، ولا غاية منها .

وحينئذ يفقد الإنسان سموه الروحى ، وفضائله العليا ، ويعيش كما تعيش الأنعام ، تسيرها غرائزها الطبيعية ، واستمداداتها الفطرية ، وهذا هو الانحطاط الروحى المدمر لشخصية الإنسان .

٥. لم يخلق الإنسان عبثاً

والقرآن الكريم يلفت الأنظار إلى أن الله لم يخلق الإنسان من غير هدف عال ، ولا غاية سامية ؛ لأن ذلك يتناقى مع كماله الأقدس وحكمته العليا .

فالله لم يخلق الإنسان بيده ، وينفخ فيه من روحه ، ويفضله على ملائكته ، ويسخر له مافى السموات وما فى الأرض ، ويجعله سيد هذا الكوكب الأرضى دون غاية أو غرض .

فان ذلك عبث يتنزه الله عنه .

« أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ، فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ »^(١) .

إن للإنسان رسالة وهي الخلافة عن الله في الأرض ، وقد كلف بالقيام بواجبات هذه الخلافة ، وهو مسئول عنها أمام الله .

وَحُسْبَانُ غَيْرِ هَذَا عَدُولٌ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الضَّلَالِ .

« أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ، أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُنثَى ، ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخُلِقَ فَسَوَى ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ، أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى »^(٢) .

مفهوم اليوم الآخر

يبدأ اليوم الآخر بفناء عالمنا هذا ، فيموت كل من فيه من الأحياء ، وتبديل الأرض غير الأرض والسموات :

ثم ينشئ الله النشأة الآخرة ، فيبعث الله الناس جميعاً ، ويرد إليهم الحياة مرة أخرى .

وبعد البعث يحاسب الله كل فرد على ما عمل من خير أو شر .

فمن غلب خيره شره أدخله الله الجنة ، ومن غلب شره خيره أدخله الله النار .

اهتمام القرآن بتقرير الإيمان بهذا اليوم

والقرآن يهتم اهتماماً بالغاً بتقرير الإيمان بهذا اليوم ، ويبدو هذا الاهتمام باليوم الآخر فيما يلي :

(١) سورة المؤمنون آية ١١٥ ، ١١٦

(٢) سورة القيامة الآيات ٣٦ — ٤٠

أولا : يربطه بالإيمان بالله .

« وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » (١) .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (٢) .

ثانياً : بكثرة القرآن من ذكره له ، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث عنه ، مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان ، وتارة بضرب الأمثال .

ثالثاً : أن التنوع لآيات القرآن يمد أنه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة ، وكل اسم منها يدل على معنى ما سيحدث من أهوال في هذا اليوم .

فهو يوم البعث :

« وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ . فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (٣) .

ويسمى يوم القيامة :

« وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ » (٤) .

ويسمى الساعة :

« اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ » (٥) .

« إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ » (٦) .

(١) سورة البقرة من الآية ١٧٧ . (٢) سورة البقرة الآية ٦٢

(٣) سورة الروم الآية ٥٦ (٤) سورة الزمر الآية ٦٠

(٥) سورة القمر الآية ١ (٦) سورة الحج الآية ١

ويسمى الآخرة :

« بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَجْزَى » ^(١)

ويسمى يوم الدين :

« مَا لِكَ يَوْمِ الدِّينِ » أى يوم الجزاء ^(٢)

ويسمى يوم الحساب :

« إِنِّي عَذْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ » ^(٣)

ويسمى يوم الفتح :

« قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ » ^(٤)

ويسمى يوم التلاق :

« رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ، يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ » ^(٥)

ويسمى يوم الجمع والتفان :

« يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّفَافُنِ » ^(٦)

(١) سورة الأعلى الآيتان ١٦ ، ١٧ (٢) سورة الفاتحة الآية ٣

(٣) سورة غافر الآية ٢٧ (٤) سورة الحجدة الآية ٢٩

(٥) سورة غافر الآية ١٥

(٦) التفانين ! يوم يفن فيه أهل الجنة أهل النار ، ويقال يوم الدهول الذى

يحصل بين الناس من شدة الهول . سورة التفانين الآية ٩

ويسمى يوم الخلود :

« ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ »^(١)

ويسمى يوم الخروج :

« يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ »^(٢) .

ويسمى يوم الحسرة :

« وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ »^(٣) .

ويسمى يوم التناد :

« وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ »^(٤) .

ويسمى الآزفة :

« أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ »^(٥) .

ويسمى الطامة :

« فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى . يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى »^(٦) .

(١) سورة في الآية ٣٤ (٢) سورة في الآية ٤٢

(٣) سورة مريم ٣٩

(٤) التناد : يوم يتنادى فيه أهل الجنة والنار . سورة غافر الآية ٣٢

(٥) الآزفة : القرية يوم القيامة . سورة النجم الآيتان ٥٧ ، ٥٨

(٦) الطامة : الداهية ، لأنها تطم على كل شيء أى تملوه وتغطيه ، أى أنها تملو

على سائر الدواهي . سورة الفازعات الآيتان ٣٤ ، ٣٥

ويسى الصَّاحَّةُ :

« فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ
وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » ^(١) .

ويسى الحاقَّةُ :

« الْحَقَّاقَةُ مَا الْحَقَّاقَةُ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَقَّاقَةُ » ^(٢)

ويسى الفاشيةُ :

« هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَاشِيَةِ » ^(٣)

ويسى الواقعةُ :

« إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، لَنِيسَ لَوَقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ » ^(٤)

حكمة الإهتمام به :

ولما اهتم القرآن هذا الإهتمام باليوم الآخر لعدة أسباب :

أولاً : أن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد إنكار .

(١) الصاخة : تصخ : أى نعم الأذان من شدتها سورة عبس الآيات ٣٣

— ٣٦ —

(٢) الحاقَّة ، سمي اليوم بذلك لأن فيه تظهر حقائق الأمور ، وهى مأخوذة من

حق الشيء إذا ثبت ووجب ، لأن حصولها واجب سورة الحاقَّة الآيات ١ — ٣

(٣) الفاشية : الداهية التى يفشى هولها الناس سورة الفاشية الآية ١

(٤) الواقعة : لأنها ستقع قطعاً لا محالة سورة الواقعة الآيات ١ — ٣

« وَقَالُوا : مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا . وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا
الدَّهْرُ » (١)

ثانياً : أن أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون باليوم الآخر إلا أن تصورهم له
قد بلغ منتهى الفساد .

فالنصارى : مثلاً يعتمدون فيه على وجود يسوع القادى الخُلص الذى يقضى
الناس بنفسه ، ويخلصهم من عقوبة الخطايا .

وهذا يطابق ما يقوله الهنود فى كرشنه ، وبودا ، سواء بسواء
وعقيدة اليهود فى الله وفى اليوم الآخر لا تقل فى فسادها وضلالها عن عقيدة
النصارى ، والهنود .

ثالثاً : أن الإيمان باليوم الآخر يحمل لحياتنا غاية سامية ، وهدفاً أعلى ، وهذه
الغاية هى فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، والتحلّى بالفضائل ، والتخلّى عن الرذائل
الضارة بالأبدان والأديان ، والأعراض والمقول ، والأموال . أى تحقيق معنى الخلافة
ولا بد من تقوية الوازع النفسى الذى يرغّب فى الخير ، ويصد عن الشر ،
ولا يقوى الوازع إلا بكثرة التذكير والتفنن فى التصوير ، وضرب الأمثال المتنوعة
حتى تسمق جذوره ، ويقوى تأثيره ، ويحقق الغاية منه ، فيرجع المنكر عن انكاره ،
وبصحح المخطئ . خطئه ، ويحدد كل إنسان هدفه الأعلى كى لا يضل الطريق ،
أو تتمثر به الخطا .

بداية اليوم الآخر :

ويؤخذ من مجموع الآيات الكريمة أن اليوم الآخر يبدأ بإحداث تغيير عام
فى هذا الكون ، فتشقق السماء ، وتتناثر النجوم ، وتتصادم الكواكب ، وتفتت
الأرض ، ويخرب كل شئ ، ويلدّ كل ما عرفه الناس فى هذا الوجود .

« يَوْمَ تَبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَرَزَوَا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ » (١)

العلم الطبيعي واليوم الآخر

وهذا التخريب العام الشامل ليس بمحال ، او بعيد الحصول ، فقد ثبت لدى علماء العلم الطبيعي أن هذا الكون سيأتي يوم ينتهي فيه كل شيء ، فكما أنه تطور من الزمن القديم إلى ما انتهى إليه في وضعه القائم ، فإنه سيتطور تطورا حتميا إلى الفناء والزوال .

فليس فيما قرره القرآن الكريم عن نهاية هذا العالم ما يتنافى مع أحدث نظريات العلم الطبيعي .

ومن أدل الدلائل على أن هذا من عند الله ، أنه لم يسبق أن تحدث أحد عن فناء هذا الكون بهذه الصورة ، كما لم تتحدث الأديان السابقة ، ولا يمكن أن يكون من تفكير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذه إحدى معجزاته !!

متى هو ؟

وقيام الساعة أو اليوم الآخر مما استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه أحدا من خلقه . لانبيا مرسلا ، ولا ملكا مقربا .

« إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْفَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ » (٢)
ولقد كان الناس يسألون عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَيُلْحِقُونَ فِي الْمَسْأَلَةِ ، فأمره الله أن يَرُدَّ عَلمها إليه وحده

(١) سورة ابراهيم الآية ٤٨ .. (٢) سورة لقمان الآية ٣٤

« إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ » ^(١)

وسجل هذا السؤال والإجابة عليه فقال :

« بَسْأَلُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرَّهَا . قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا ^(٢)
لَوْ قَتَيْتَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلْتُ ^(٣) فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَفْئَةٍ
بَسْأَلُكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ ^(٤) عَنْهَا . قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ . وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » ^(٥)

عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلا الله :

« إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى
نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت »

قال الألوسى فى تفسيره : وإنما أخفى الله سبحانه أمر الساعة لاعتضاء الحكمة
التشريعية ذلك ، فإنه أدعى إلى الطاعة ، وأزجر عن المعصية ، كما أن إخفاء الأجل
الخاص للانسان كذلك .

ولو قيل : بأن الحكمة التكوينية تقتضى ذلك أيضا لم يبعد .

وظاهر الآيات أنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم وقت قيامها . . . نعم عليه الصلاة
والسلام قربها على الإجمال ، وأخبر صلى الله عليه وسلم به ، فقد أخرج الترمذى ،
وصححه عن أنس مرفوعا : « بعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار بالسبابه والوسطى » .

(١) سورة فصلت الآية ٤٧ (٢) لا يجليها لوقتها : أى يظهر أمرها

(٣) ثقلت : أى صعب عليها ، فلا يستطيع أهل السموات والأرض الوصول إليه

(٤) حفيٌّ عنها : أى عالم بها (٥) سورة الأعراف الآية ١٨٧

و ين . ب. عمر رضى الله عنهما ، يوعا أيضا
« وإنما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى غروب الشمس »
أما نهاية هذه الحياة فلم يأت فيها حديث صحيح يمكن التعويل عليه .
قال ابن حزم : وأما نحن بمعنى المسلمين ، فلا تقطع على علم عدد معروف عندنا ،
ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة ، أو أكثر ، أو أقل — فقد قال ما لم يأت قط
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح ، بل صح عنه صلى الله عليه وسلم
خلافه ، بل تقطع على أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله تعالى . قال الله سبحانه :
« مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ »^(١)
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما أتم في الأمم قبلكم إلا كالشجرة البيضاء في الثور الأسود ، أو الشجرة
السوداء في الثور الأبيض » .

وهذه نسبة من تدبرها ، وعرف مقدار عدد أهل الإسلام ونسبة ما بأيديهم
من معمور الأرض . علم أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله . وكذلك قوله عليه
الصلاة والسلام :

« بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ، وَضُمَ أَصْبُعِي السَّبَابَةَ وَالْوَسْطَى »

وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله تعالى لا أحد سواه ،
فصح أنه صلى الله عليه وسلم إنما أراد شدة القرب لا فصل الوسطى عن السبابة ،
إذ لو أراد ذلك لأخذت نسبة ما بين الأصبعين ونسب من طول الأصبع ، فكان

يعلم بذلك متى تقوم الساعة . وهذا باطل ، وأيضا فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم إيانا إلى من قبلنا بأننا كالشجرة في الثور كذبا . . ومعاذ الله من ذلك ، فصح أنه صلى الله عليه وسلم إنما أراد شدة القرب ، وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث أربع مائة عام ونيف وألف والله تعالى أعلم بما بقي من عمر الدنيا ، فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف لقلته ، وتفاوته بالإضافة إلى ما مضى ، فهو الذى قال صلى الله عليه وسلم من أننا فيمن مضى كالشجرة في الثور أو الرقة في ذراع الحمار .

البعث

ويبدأ اليوم الآخر بالبعث : وهو إعادة الإنسان روحاً وجسداً ، كما كان في الدنيا ، وهذه إعادة تكون بعد المدّم التام ، ولا يستطيع الإنسان معرفة هذه النشأة الأخرى ، لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الأولى .

« نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِيهَا لَا تَعْلَمُونَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ، ^(١) »

أدلة البعث

ولقد أورد القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث . مستدلا بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة ، ومبيناً أن الله قادر على كل شيء ، وعالم بكل شيء فلا تعجزه إعادة الأجسام لفنوذ قدرته ، ولا يضيع منها شيء لسعة علمه .

« وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ »^(١)

والإنسان وتطوره في الخلق ، وتحوله من حال إلى حال ، والأرض وما تخرجه من نبات ، مظهر للعلم والقدرة .

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ رَبِّبِ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ^(٢) ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ^(٣) ، ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ^(٤) وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ^(٥) لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّئُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ، وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ »^(٦)

(١) سورة يس الآيتان ٧٨ ، ٧٩

(٢) تراب : العناصر التي يتركب منها جسم الانسان هي نفس العناصر التي تتركب منها تربة الأرض . وتتحول هذه العناصر من تربة الأرض إلى جسم الانسان بواسطة الطعام الذي يتناوله مما خرج من الأرض

(٣) العلقه : هي الدم المتجمد الغليظ (٤) المضغه : هي قطعة لحم بقدر ما يمتص

(٥) مخلقة وغير مخلقة : أي منتظمة الشكل وغير منتظمة

(٦) سورة الحج الآية رقم •

وإذا كان الله لم يبي بخلق السموات والأرض ، ولا يزال يخلق ، ويرزق ويحيى ، ويميت ، فهل يستبعد بعد هذا للشاهد المنظور — أن يبعد الخلق مرة أخرى ! .

« أَفَمَبِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ » ^(١) .
إن إنكار البعث وإعادة الحياة مرة أخرى بعد هذه الدلائل البينة في الأفسس والآفاق لا معنى له

شبهة منكرى البعث

لقد استبعد طوائف من الناس هذه الحقيقة ، زاعمين أنها مخالفة لما عهدوه من السنن المألوفة ، ومستبعدين ذلك ، ومستظمين أمره ، لأن عقولهم لا تكاد تصدق إعادة الحياة إلى الأجسام بعد تفرقها ، وتحللها ، وبعد أن يتداخل بعضها في بعض ، فإن الإنسان بعد أن يموت يتحول جسمه إلى تراب ، ثم يتحول التراب إلى نبات فيتغذى إنسان آخر بذلك النبات ، ثم يموت .

هكذا الإنسان يتحول كثيره ، وهكذا تتداخل الأجسام بعضها في بعض ، فكيف يبعث الناس بعد هذا التداخل؟ ^(٢)

وهذه الشبهة قديمة ، ولا تزال تتردد في صدر الكثير ، والقرآن ذكر هذه الشبهة وعالجها ، فقال : —

« وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ

(١) أفمبيننا : أى عجزنا سورة ق الآية ١٥

(٢) يجب علماء العقائد عن هذه الشبهة بأن للإنسان أجزاء أصلية وأجزاء عرضية ، والأجزاء الأصلية تبقى كما هى . والعرضية هى التى تتحول ؟

وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ، وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قُلْ : اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ النِّيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ « (١)

فهؤلاء الذين استنكروا البعث ، ردَّ الله عليهم بأن استبعادهم لا معنى له ؟ لأنهم يجهلون عظمة الله ، وقدرته ، وعلمه وحكمته ، وأنهم لا يبصرون في أنفسهم ، فهم أنفسهم أدل الدلائل ، وأقوى الحجج على نفي ما ينكرونه من البعث ، فالله أحياء أولاً وأماتهم ثانياً ، ولا تزال القدرة صالحة لإحيائهم مرة ، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة ، فأى استبعاد في هذا ؟ !

« وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (٢)

اختلاف الناس عند البعث :

والناس يختلفون عند البعث اختلافاً كبيراً حسب أعمالهم ، فالذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ، وزكت نفوسهم ، يكونون أكل أجساداً وأرواحاً ، والذين خبثت أعمالهم ، وفسدت عقائدهم يكونون أنقص أجساداً وأرواحاً .

فمن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :
« يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنف مشاة ، وصنف ركبان ،

(١) سورة الجاثية : الآيات ٣٤ — ٣٦ .

(٢) سورة الروم : الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

وصنف على وجوههم ، قيل : يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم . أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك^(١) .

وفى الحديث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :
« يحشر المتكبرون والمتجبرون يوم القيامة فى صور الذرّ تطوّم الناس ؛
لهوانهم على الله عز وجل » .

وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله يقول : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » أى إن من مات على خير بعث على حال سارّة ، ومن مات على شر بعث على حال شنيعة .

ومع كون البعث بالأجساد والأرواح إلا أن القوى الروحية تكون هى القادرة على التصرف فى الأجساد فتستطيع قطع المسافات البعيدة فى أقصر مدة ، والتخاطب بالكلام بين أهل الجنة والنار ، ويكون مثلهم فى ذلك مثل الملائكة والجن فى قدرتها على التشكل وظهورها فى أجساد تأخذها من مادة الكون ، وقد ثبت ذلك ثبوتاً علمياً . كما تقدم فى بحث مسألة الروح .

الشفاعة :

المقصود بالشفاعة : سؤال الله الخير للناس فى الآخرة ، فهى نوع من أنواع الدعاء المستجاب .

ومنها الشفاعة العظمى ، ولا تكون إلاّ لسيدنا محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإنه يسأل الله سبحانه أن يقضى بين الخلق ؛ ليستريحوا من هول اللوقف ، فيستجيب الله له ، فيغبطه الأولون والآخرون ، ويظهر بذلك فضله

(١) حدب : الحدب ما ارتفع من الأرض . رواه الترمذى .

على المالمين ، وهذا هو المقام المحمود الذى وَعِدَ به فى قول الله سبحانه .
 « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا » ^(١)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « إن الشمس تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغ الرِّقُ نصفَ الأذن ، فينمى كذلك استغاثوا بآدم ، فيقول : لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى ، فيقول كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيشفع ؛ ليقضى بين الخلق ، فيمشى ، حتى يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يمشه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم » ^(٢) .

وعن أبى بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « إذا كان يوم القيامة كنتُ إمام الأنبياء ، وخطيبهم ، وصاحبَ شفاعتهم من غير نخر » ^(٣)

وماعدا هذه الشفاعة من الشفاعات ^(٤) فهي مشروطة :
 « مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » ^(٥)
 وأن تكون لمن ارتضى الله أن يشفعَ له .
 « وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى » ^(٦)

(١) سورة الإسراء آية ٧٩ . (٢) رواه أبو داود والحاكم

(٣) رواه أبو داود

(٤) سنأتى شفاعَةَ الرسول صلى الله عليه وسلم فى إخراج عصاة المؤمنين من النار .

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٥

(٦) سورة الأنبياء الآية ٢٨

ولا يرتضى الله الشفاعة إلا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الإلهي ،
وتكون الشفاعة لإظهار كرامة الشافع ومنزلته عند ربه تنفيذاً للارادة الإلهية عقب
دعائه وطلبه من الله ، وليس فيها ما يدعو إلى الغرور أو التهاون في ترك ما كلف الله
به من إيمان تزكو به النفس ، وعمل صالح يصل بالإنسان إلى كماله المنشود .
وكان الوثنيون يعتمدون على أوثانهم ، ويستقدون أنها ستشفع لهم عند الله .
« وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ
شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ » (١)

فأيأسهم الله من الاعتماد على هؤلاء الشفعاء .

« كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ، إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ، فِي جَنَّاتٍ
يَنسَاءَلُونَ ، عَنِ الْمُجْرِمِينَ ، مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ،
وَلَمْ نَكُ نَطْعِمِ السَّكِينِ ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَافِضِينَ ، وَكُنَّا نَكْذِبُ
بِحُرْمِ الدِّينِ ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ، فَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ » (٢)

وقد اعتاد كثير من الناس الاعتماد على شفاعة الصلحاء ، واستسأغوا كل لون
من ألوان الانحراف ، والخروج عن طاعة الله ، ارتكباناً على هذه العقيدة ، فقطع الله
حجتهم ، وأنزل قواه :

« لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا
يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْشِئَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ، وَمَنْ

(١) سورة يونس آية ١٨

(٢) سورة المائدة الآيات ٢٨ — ٤٨ .

أَحْسَنَ دِينًا مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا. (١)

إن الدين الحق هو إسلام الوجه لله ، وإحسان العمل ، وإن روح الإسلام هي وصاية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها :

« اِعْمَلِي يَا فَاطِمَةُ فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا » .

والله ينزهه عن محابة أحد من خلقه وهذه سنته في الأولين والآخرين :

« أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى . أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ، وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى » (٢)

(١) سورة النساء الآية ١٢٣ — ١٢٥

(٢) سورة النجم الآية ٣٦ — ٤١

الحساب

- الحساب هو مقتضى العدل الإلهي
- كيفية الحساب
- العلم وتسجيل الأعمال
- دقة الحساب
- الله هو الذى يتولى الحساب
- رحمة المؤمن فى الحساب
- الحوض
- الصراط

الحساب هو مقتضى العدل الإلهي

إن الله سبحانه متصف بصفات الكمال ، ومن صفاته الكمالية ، العدل ،
والحكمة ، فهو عدل لا يظلم أحداً من خلقه ، وحكيم لا يضع الشيء في غير موضعه .
ومن عدله وحكمته ألا يسوئ بين البرّ والفاجر ، ولا بين المؤمن والكافر ،
ولا بين المحسن والمسيء ؛ فإن التسوية بينهما منتهى الظلم والسفه .

والله سبحانه قد أرسل رسوله بالبينات ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقيسط ، فاهتدى فريق إلى الله وانحرف فريق عن هدايته ، فلم تسكن له
المقيدة الحقة ، ولا المباداة الصحيحة ، ولا العمل الصالح .

والذين اهتموا بلفتهم الهداية جهاداً شاقاً ، وتضحيات مريرة ، ومغالبة للهوى ،
ومحاربة للباطل ، ومكافحة للشُرور والآثام . وطال جهادهم ، ودام كفاحهم حتى
اللعظات الأخيرة من حياتهم .

فهل يستوى هؤلاء الأبرار مع التافهين الفارغين المسقة ، الذين استحبوا العمى على
الهدى ، وآثروا النقي على الرشاد ، وتعجلوا حظوظهم الدنيئة ، وشهواتهم الخسيسة ،
وظلوا سادريين في غيهم لا يصدّم عنه صاد ، ولا يأخذ بحجزاتهم أحد

لقد قضى كل من الفريقين حياته ، هذا يجاهد في سبيل الله ليعلى كلمته ، ويرفع راية
الحق ، وليطهر الأرض من الشر والفساد ؛ وذلك يجاهد من أجل شهواته وغرائزه
الدنيا ، سائراً في ركب الشيطان ، مؤتمراً بأمر نفسه الأماراة بالسوء ، فهل من العدل
والحكمة أن يكون مصير هؤلاء جميعاً واحداً ، إن ذلك لا يجوز في العقل السليم ، بله
الله أعَدْلُ العادلين ، وأحكم الحاكمين .

إن الحكم بالتسوية بين الفريقين حكم جائر :

« أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ، وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ »^(١)

إن التسوية بين مصير الصالحين وغيرهم تفكير السطحين الذين يحسبون الحياة لهواً وليلاً .

« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ، أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ »^(٢)

إن الناس لا يعلمون هذه الحقيقة ، ولما يتذكرونها .

« لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ، إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ »^(٣)

إنه لابد من يوم تتكشف فيه الحقائق ، وتظهر فيه مكنونات الضمائر .

« وَفِيهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيُجْزَىٰ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزَىٰ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ »^(٤) .

(٢) سورة ص آية ٢٧ ، ٢٨

(١) سورة الجاثية آية ٢١ ، ٢٢

(٤) سورة النجم الآية ٣١

(٣) سورة غافر آية ٥٧ - ٥٩

وكان المشركون يمارون في الساعة أشد المراء ، ويكذبون بها كأعظم ما يكون التكذيب ، ويحلفون بالآيمان الغلظة أن ذلك لن يكون ، فذكر الله تكذيبهم ، ورد عليهم : بأن ذلك مقتضى حكمته ؛ حتى يتميز الحق من الباطل .
وينبين الصادق من الكاذب .

« وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . لَيُسْئِلَنَّهُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ » (١) .

١ كيفية الحساب

بعد أن يرد الله الحياة إلى الناس من جديد يحشرهم إليه ، ويجمعهم لديه ، ليحاسب كل فرد منهم على ما عمل من خير أو شر ، فنشهد الأرض بما حدث عليها .
« إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا » (٢) . وقال الإنسان ما لها . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . إِنْ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا . يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ (٣) النَّاسُ أَشْتَاتًا لَّيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (٤) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) سورة النحل الآية ٣٨ ، ٣٩ (٢) الزلزلة : هى الاضطراب الشديد

(٣) أثقالها : الجنث للدفونة فيها

(٤) يصدر الناس أشتاتاً : يبعثون أفراداً متفرقين من الهول ليروا أعمالهم .

(٥) مثقال : قدر .

« يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا » .

فقال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها : أن تقول : عمل كذا ، وكذا ، يوم كذا وكذا . قال : فهذه أخبارها ، ^(١)

وكما تتحدث الأرض عن أخبارها تشهد الألسنة ، والأيدي ، والأرجل ، والجلود

وبهذا تم حجة الله على العالم .

« يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ . وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ » ^(٢)

« وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا . قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ . وَمَا كُنْتُمْ تَتَذَكَّرُونَ . أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ^(٣)

« يَوْمَ يَبْسُوُّ لِلَّهِ جَمِيعًا . فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

(١) رواه أحمد والبخاري والترمذي وصححه

(٢) سورة النور الآيتان ٢٤ ، ٢٥ (٣) سورة فصلت الآية ١٩ ، ٢٣

مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ .
وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا . ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا
عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ^(١) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال :

« يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلاً ^(٢) »

« كما بدأنا أول خلقي نُعيذُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ .

« ألا إن أول الخلائق بكسى يوم القيامة إبراهيم ، ألا وإنه سيجاء برجال
من أمتى ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصحابي فيقال : إنك لا تدري
ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح :

« وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ
عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِنَّ مُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرَ
لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » ^(٣) .

قال : فيقال لى : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول :
« سحقاً سحقاً » ^(٤) .

(١) سورة المجادلة الآية ٦ ، ٧

(٢) أى أن حشر الناس إلى الله يوم القيامة يكون وهم حفاة عراة غير مغطون
كما كان خلقهم من بطون أمهاتهم

(٣) العبد الصالح هو سيدنا عيسى عليه السلام المائدة آية ١١٨

(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا تزول قدما عبد حتى يسأل : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل فيه ؟
وعن ماله من أين ! اكتسبه وفيم أنفق ؟ وعن جسمه فيم أبلاه » ^(١)

كيفية إحصاء الأعمال وعرضها

وإحصاء الأعمال وتسجيلها يكون بواسطة الملائكة الموكلين بها كما تقدم في
بحث الملائكة .

« وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ » ^(٢) .
« مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » ^(٣) .

فإذا كان يوم الحساب جرى بالكتب التي دونت فيها الأعمال لتعرض
على أصحابها .

« وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنْشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » ^(٤) .
« وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفَعِينَ بِمَا فِيهِمْ وَيَقُولُوا
يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » ^(٥) .

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

(٢) سورة الانفطار الآيات ١٠ - ١٢ (٣) سورة في الآية ١٨

(٤) سورة الإسراء الآية ١٣ ، ١٤ (٥) سورة الكهف الآية ٤٩

وهذه الكتب التي توزع على أصحابها ، منهم من يأخذ كتابه يمينه ويكون بشرى من البشريات السارة ، ومنهم من يأخذ كتابه شماله أو من وراء ظهره . ويكون ذلك علامة على سوء الحساب .

« يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ . فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا . وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا . إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ، بَلَىٰ لَنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا » (١) .

العلم وتسجيل الأعمال

وتسجيل الأعمال من الأمور التي قد ثبتت ثبوتاً علمياً فما من صوت من الأصوات ولا عمل من الأعمال ، ولا حركة من الحركات ، إلا وهي مسجلة في سجل الكون ، ومدونة في كتاب الوجود ، فليس منها شيء ضائع ، ولا يمكن لشيء منها أن يزول ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

« وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ . وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ . وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » (٢) .

(١) الانشقاق الآية ٦، ١٥ (كادح — ساعٍ إلى لقاء ربك بالموت ففلاق جزاء كدحك ، أى عملك- ثبوراً : هلاكاً ليستريح- يصلّى سعيراً : يدخل ناراً مستمرة سرورا : أى غارقاً في سروره بالشهوات حتى نسي ما كلفه به الله — لن يحور : لن يرجع إلى الحساب يوم القيامة (٢) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

دقة الحساب :

وتبلغ الدقة في الحساب منتهى ما يمكن أن يتصور ، حتى يأخذ كل واحد جزءاً ما عمل من خير أو شر . سواء أ كان ذلك عملاً مارسه بالفعل ، أو عملاً نواه ، وأصر عليه ، فتمام لذلك موازين القسط ، حتى يتحقق العدل الإلهي على أكل صوره .
« وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً . وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا . وَكُنَّا بِمَا حَاسِبِينَ » (١) .

ثم تكون عاقبة كلِّ حسب رجحان الميزان بالعمل الصالح ، أو نقصانه .
« فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ » (٢) .

الله هو الذي يتولى الحساب

والله سبحانه هو الذي يحاسب الناس جميعاً بنفسه بدون واسطة .

عن عدى بن حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه ، فلا يرى إلا ما قدم من عمله ، وينظر أشأم منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة » (٣)
وقد حدث الإمام على كرم الله وجهه بهذا الحديث ، فقال له أحد الرجال :
يا أمير المؤمنين كيف يحاسب الله الناس كلهم في وقت واحد ؟ ! فقال : كما برزقهم في آن واحد يسألهم في آن واحد .

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٧ (٢) سورة المؤمنون الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى

رحمة الله بالمؤمن عند الحساب

والمؤمن لا يناقش الحساب رحمة به وشفقة عليه لأن من نوقش الحساب عذب قيل لابن عمر : كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى ^(١) ؟ قال : سمعته يقول : « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه » ^(٢) ، فيقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، ويقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، فيقرره ^(٣) ، ثم يقول : إني سترت عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم . ألعنة الله على الظالمين ^(٤) »

عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فقات : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى :

« فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا » .

فقال : إنما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب » .

الحوض :

إن لكل نبي حوضاً يشرب هو وأمته منه بعد الموقف ، وقبل دخول الجنة . ولنبينا حوض كذلك ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب من

(١) المراد بها هنا مناجاة الله لعبده للمؤمن في الآخرة (٢) ستره

(٣) أى يقرره بذنوبه (٤) رواه البخارى ومسلم .

المسك ، من شرب منه شربة لا يظلم بعدها أبدا .

فمن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أنا فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، ومن شرب لا يظلم أبداً ،
لَيَرِدَنَّ عَلَى أَقْوَامٍ أَعْرَفَهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي ، تَمَّ بِحَالٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ، فَأَقُولُ لَهُمْ مَنِ ^(١)
فَيَقَالُ : لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِكَ ، فَأَقُولُ : سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي ^(٢) »

الصراط :

روى مسلم والترمذى : « أن عائشة تلت هذه الآية « يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسماوات » . . . الخ قالت : يا رسول الله أين يكون الناس ؟ قال
على الصراط »

وهو طريق يوضع على ظهر جهنم ، يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من
الموقف ، فأهل الجنة يمرّون عليه ، وهم متجهون إليها ، وأهل النار يسقطون فيها .
« وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا . ثُمَّ نُنْجِي
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا » ^(٣) .

وفي حديث الإمام مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« يضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم
يومئذ إلا الرسل ، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم . وفي جهنم كلاب مثل شوك
السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم » .

(١) أى من أمتي

(٢) أى بعدى اللن ارتد عن دينه . والحديث رواه البخارى ومسلم

(٣) سورة مريم

الجنة والنار

- النار
- أهوال الجحيم
- نسبة نار الدنيا إلى نار الآخرة
- أهون الناس عذابا
- المؤمن لا يخلد في النار
- الشفاعة للمصاة
- التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار
- آخر من يدخل الجنة وآخر من يخرج من النار
- الجنة
- أهلها
- نعيمها
- أعلى نعيم الجنة
- الخلود

إذا كان الله سبحانه يكافئ الأبرار بالنعيم ، فانه يجازى الفجار بالجحيم ، عقاباً
لم على ما اقترفوا من كبائر الإثم والفراش .

والجحيم هذه هي دار العذاب :

وتُسمى الهاوية :

والهاوية : هي المكان المنخفض كثيراً الذي لا يرجع من يسقط فيه :

« وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ . نَارُ حَامِيَةٍ »^(١)

وتسمى السعير :

« وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ »^(٢)

وتسمى لظى :

« كَلَّا إِنَّهَا لَلْظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى . تَدْعُو مِّنَ أَذًى وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى »^(٣)

أى أنها شديدة نزع جلدة الرأس ، وتجذب إليها من أعطى ظهره للحق ،
وتولى منعرفاً عن الطاعة ، وجمع المال ، ووضع في وعاء ؛ لشدة حرصه عليه ،
بافتقانه بالدنيا .

وتسمى سقر :

« سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ . لَوَاحَةٌ
لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ »^(٤)

أى أنها لا تبقى على شيء ما يطرح فيها بل تحرقه ، ولا تتركه يخرج منها ، وأنها
تسود الجسم وتشوهه .

(٢) سورة الملك آية ٥

(١) سورة القارعة الآيات ٨ — ١١

(٤) سورة المدثر الآيات ٢٦ ، ٣٠

(٣) المعارج الآيات ١٥ — ١٨

وتسمى الحطمة :

« لِيُنَبِّذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ »^(١) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ^(٢) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ . إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوْضِعَةٌ^(٣) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ^(٤) »

أهوال الجحيم

وقد وصف الله الجحيم وصفا تشيب منه النواصي ، وتنخلع منه القلوب ، كي يرتدع النّافون عن غيهم ، فذكر أن وقودها الناس والحجارة .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ »^(٥)

وأنها لا تشبع مما يلقى فيها، بل تطلب المزيد دائما ، حتى لا يبقى فيها مكان خال
« يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ »^(٦)

قال مجاهد : ليس هناك قول ، وإنما جرى الكلام على سبيل تمثيل حال جهنم بأنها امتلأت حتى لم يبق فيها مكان خال

وأن طعامهم الزقوم : وهي شجرة من أخبث أنواع الشجر المر المقتن الرائحة
« أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً^(٧) لِلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَا كِيلُونَ مِنْهَا فَاِلْتُؤْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ . ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ »^(٨)

(١) الحطمة : كثير التحطيم والتكسير لما يلقى فيها

(٢) الموقدة الملتببة التهابا شديداً (٣) موضدة : أى مغلقة .

(٤) فى عمد ممددة : أى مغلقة بعمد طويلة فلا يخرج منها من يدخل فيها .

(٥) سورة التحريم الآية ٦ (٦) سورة ق الآية ٣٠

(٧) أى محنة للظالمين بإرغامهم على الأكل منها

(٨) سورة الصافات الآية ٦٠ - ٦٧

« إِنَّا عَتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا . وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يُفْأَثُوا
بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِشَرِّ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا »^(١)

وثيابهم من نار !

« هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ
يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ . يُصْرَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ
مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا
وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ »^(٢)

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :
« إن الجحيمَ ليصبُّ على رؤوسهم ، فينفذُ الحميمُ ، حتى يخلصَ إلى جوفه ،
فيسلت ما في جوفه ، حتى يمرُقَ مِنْ قَدَمَيْهِ . وهو الصَّهر ثم يعاد كما كان »^(٣)

وجهمهم تحيط بالمعذنين من كل جانب ، فهي فراش وغطاء :
« إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَلُّ فِي سَمِّ الْخِلَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ »^(٤)
« لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يَخْوَفُ اللَّهُ بِهِ
عِبَادَهُ يَاعِبَادُ فَاتَّقُونِ »^(٥)

وأهل جهنم لا يموتون ، فيستريحون ، ولا يحيون الحياة المنيئة !

(١) سورة الكهف الآية ٢٩ (٢) سورة الحج الآية ١٩ - ٢٢

(٣) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح (٤) سورة الأعراف الآية ٤١

(٥) سورة الزمر الآية ١٦

« وَبَتَّجْنَهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ، ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى » ^(١)

وأهل النار محجوبون عن الله

« كَلَّا لَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ » وهذا هو أشد أنواع العذاب .

وفي الآية الكريمة يقول الله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا » ^(٢)

ففي هذه الآية - أن النار كلما أكلت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ، والسبب في ذلك أن أعصاب الألم هي الطبقة الجلدية ، أما الأنسجة والمضلات والأعضاء الداخلية ، فالحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب أن الحرق البسيط الذي لا يجاوز الجلد يحدث ألماً شديداً ، بخلاف الحرق الشديد الذي يتجاوز الجلد إلى الأنسجة ، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألماً كثيراً ..

فالله تعالى يقول لنا : إن النار كلما أكلت الجلد الذي فيه الأعصاب يجده كي يستمر الألم بلا انقطاع ؛ ويزوقوا العذاب الأليم ، وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الإنسان « وكان الله عزيزاً حكيماً » ^(٣)

ومن شدة الهول ، وقسوة العذاب يود المجرم أن يفدى نفسه بكل حبيب لديه وعزيز عليه ، ولكن لا ينفذ فداء ، ولا يقبل رجاء .

« يودُّ المجرمُ لو يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيٍّ . وَصَاحِبَتِهِ . وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلَّا » ^(٤)

(١) سورة الأعلى الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ (٢) سورة النساء الآية ٥٦

(٣) انظر كتاب الطب والاسلام للدكتور عبد العزيز إسماعيل

(٤) سورة الماعز الآية ١١ - ١٥ .

نسبة نار الدنيا إلى نار الآخرة

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« نارُ كُم هذه التي تُوقَدُونَ جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم ، قالوا :
والله إن كانت لكافية يارسول الله . قال : فإنها فضلت ^(١) بنسمة وستين جزءاً كلهن
مثلُ حرّها ^(٢) » .

أهون الناس عذاباً

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« أهون الناس عذاباً من له نعلان ، وشرأ كان من نار ، يفلّ منهما دماغه
كما يفلّ الرجلُ ، ما يرى أن أحداً أشدَّ منه عذاباً ، وإنه لأهونُهُم عذاباً ^(٣) » .

المؤمن لا يخلد في النار

جاء في السنة الصحيحة أن المؤمن لا يخلد في النار .
فإن كان قد ارتكب بعض الكبائر ولم تُكفّرْ بحدّ ، أو توبة نصوح ، أو مصيبة
أو مرض ، أو شيء من المكفرات ، فهو محاسب على عمله ، والله يوازن بين أعماله الصالحة
وبين جميع معاصيه التي لم يقب منها ، فإن رجحت حسناته فهو في الجنة ، وكذلك
إذا تساوت حسناته وسيئاته :
« ونضعُ الموازينَ القسطَ ليومِ القيامةِ فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقالَ
حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين » ^(٤) .

(١) فضلت : زادت . (٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى . (٤) سورة الأنبياء آية ٤٧

وإن رجعت سيئاته فإنه يدخل النار ، فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من إثم ، ثم يخرج منها بعد أن يتطهر ، وبعد أن يوفيه الله جزاءه بمقتضى عدله وحكمته .

فمن أبي سعيد الخدري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى :

« أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون في نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل »^(١) .
ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية »^(٢)

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن شجرة من خير ،
ويخرج من النار ، من قال : لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن برّة من خير ،
ويخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن ذرة من خير »^(٣)

الشفاعة للمعاصي

ثم يشفع الرسول بعد أن يأذن الله له ، وبعد انتهاء ، مدة العذاب في خروج المعاصي من النار ، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) أى أنهم يخرجون بعد ما يفسون في نهر الحياة وأجسامهم نضرة فرحين بعودة الحياة .

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

بشفع لأهل الكبائر بعد دخولهم النار ، فيقبل الله شفاعته فيهم ، ويخرجهم منها .
« وتكون الشفاعة إظهاراً لكرامة الشافع عند الله ، وإظهار فضله صلى الله عليه وسلم ، فمن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها . وأريد أن أختبى دعوتى شفاعة لأمتى
فى الآخرة » رواه البخارى ومسلم وزاد مسلم « فى نائلة إن شاء الله تعالى من مات
من أمتى لا يشرك بالله شيئاً »

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة
يسمون الجنةيين » (١) .

التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار

وبعد أن يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يدور بينهم حوار
مُتَنَاقِشٌ ، فيذكر كل واحد ما كان منه من عمل فى الدنيا ، وما ناله من جزاء
فى الآخرة .

ولا يُقال كيف يتم التخاطب بين الفريقين مع البعدين الجنة والنار ، ومع
التفاوت الكبير بينهما ، فان ذلك شأن من شئون الآخرة التى لا اطلاع لنا عليها ،
ولا علم لنا بها ، والله سبحانه سيطور خلق الإنسان ويجعله على صورة أخرى غير
الصورة الممهودة ، ويعطيه حواس أخرى أقوى من حواسه التى أعطاه إياه فى

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه وسُمُوا بهذا الاسم
ليذكروا ما كانوا فيه من عذاب ، وما أدركوه من نعيم فيزدادوا فرحاً وسروراً .

الدنيا وقد استُحدث أخيراً ما يقرب هذا من أمثال أجهزة التلفزيون ، فالناس مع بعد بعضهم عن بعضهم يتمكنون بواسطتها من المشاهدة والسماع
 « نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ
 أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِيهَا لَا تَعْلَمُونَ » . (١)

وفي القرآن الكريم إخبار عما يدور بين أهل الجنة والنار من خطاب مع وجود سور فاصل بينهما ، فهو من جهة أهل الجنة فيه الرحمة ، ومن جهة أهل النار فيه العذاب . فتؤمن بذلك ونكل علم حقيقته إلى علام الغيوب .
 يقول الله تعالى :

« يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
 تُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
 هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا
 نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ ، قِيلَ أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ، فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ
 بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ، ينادونهم
 أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ، قَالُوا : بَلَى ، وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ
 وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ ، حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ
 فَالْيَوْمَ لَا يُوْخِذُ مِنْكُمْ فَدِيَّةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا وَآكُمْ السَّاعَةُ هِيَ
 مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » . (٢)

وفي مشهد آخر يمرض القرآن لونا من ألوان الخطاب بين أهل الجنة وأهل النار

« وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا : نَعَمْ . فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ » (١) .

ثم بعد ذلك يقول القرآن الكريم :

« وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ . قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ . الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، فَاَلْيَوْمَ نَنَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ » (٢) .

آخر من يدخل الجنة ، وآخر من يخرج من النار

٩ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشى مرة ويكبو مرة ، وتسفمه (٣) النار مرة ، فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الله الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله تعالى شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترفع له شجرة فيقول : يا رب أدنى من هذه الشجرة لأستظل بها وأشرب من مائها . فيقول الله : يا ابن آدم لعلنى إن أعطيتكها تسألنى غيرها ؟ فيقول : يا رب لا أسألك غيرها . وبما هذه إلا يسأله غيرها ، وربها بعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من

(١) سورة الأعراف آية ٤٤ — ٤٥ (٢) سورة الأعراف آية ٥٠ — ٥١

(٣) تسفمه النار : أى تلفحه لفتحاً خفيفاً يغير بشرته

مائها ، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : يارب أدنى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها ، لا أسألك غيرها ، فيقول يا بن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها ؟ لعل ، إن أعطيتك منها تسألني غيرها . فيعاهده ألا يسأله غيرها ، وربّه يمهّده لانه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين . فيقول : يارب أدنى من هذه لأستظل بظلها ، وأشرب من مائها ، لا أسألك غيرها . فيقول : يا بن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها ؟ قال : بلى يارب لا أسألك غيرها . وربّه يمهّده ، لانه رأى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها .

فإذا أدنى منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أى يارب أدخلني الجنة ، فيقول : يا بن آدم ما بصّر بني^(٢) منك ، أيرضيك إن أعطيتك قدر الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول : يارب أستهزئ^١ بى ، وأنت رب العالمين ، فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألونى مِمَّ ضحكْت ؟ فقيل مِمَّ تضحك ؟ فقال : هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : مِمَّ تضحك ؟ فقال : مِمَّ ضحك رب العالمين حين قال : أَنَسْتَهْزِئُ بى وأنت رب العالمين ، فيقول : إني لا أستهزئ بك ، ولكنى على ما أشاء قادر — أخرجه مسلم .

الجنة :

الجنة فى الأصل : البستان من النخل أو الشجر .

وهى مأخوذة من جَنَّ إذا ستر ، وسميت بذلك لأن نخيلها الباسقات وأشجارها المورقة تلتف أغصانها بعضها ببعض ، فتكون كالظلة تستر ما تحتها .

(١) ما بصّر بني منك : أى ما الذى يرضيك ويقطع مسألتك

والمقصود بالجنة هنا الدار التي أعدها الله للمتقين جزاء لهم على إيمانهم الصادق،
يعملهم الصالح :

وقد أطلق عليها القرآن عدة أسماء . فهي : جنة المأوى ، وجنة عدن .
(إقامة وخلود) ، ودار الخلود ، والفردوس ، ودار السلام ، ودار المقامة ، وجنت-
النعم ، والمقام الأمين .

وجاء في القرآن الكريم أن عرضها السموات والأرض .

وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم . سئل عن مكان النار إذا كانت الجنة
عرضها السموات والأرض ؟ فأجاب بقوله صلى الله عليه وسلم :

« سبحان الله ، فأين الليل إذا جاء النهار » .

أهلها :

والجنة لا يدخلها إلا من قام بجلال الأعمال ، واتصف بكرام الصفات .

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ
يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ . فَاسْتَبَشِرُوا بِنَيْفِكُمُ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْمَظِيمُ . الثَّائِبُونَ الْعَامِدُونَ الْحَامِدُونَ
السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » (١) .

نعيمها :

وصف الله الجنة بأن نعيمها دائم ، وسرورها لا ينفد ، وكل ما فيها بغير حساب .
فأنهارها كثيرة ثمرّة : ففيها أنهار من ماء غير آسن^(١) ، وأنهار من لبن لم
يتغير طعمه ، وأنهار من خمرٍ لَذَّةٍ للشاربين ، وأنهار من عسلٍ مُصَفًّى .

وهذه الأنهار تجري من تحت القصور ؛ وفيها الفواكه ، ولحوم الطيور .
وكما رزق أهلها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبلُ وأنوابه متشابهة
يمائل بعضه بعضاً في الحسن والجودة :

« وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ
وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »^(٢) .

وأن الرزق الذي يقدم لهم من الطعام والشراب يطوف به خدم من ولدان ،
إذا رأيتهم حسبتهم لفرط جمالهم لؤلؤاً منثوراً ، وهؤلاء الولدان يحملون صحافاً
وأواني من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشبيهه الأنفس وتلدُّ الأعين
ولباسهم فيها حرير من سندس واستبرق . وحليتهم الذهب . ومساكنهم طيبة .
وهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار .

وأصحاب الجنة هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك يتكثون ، وهؤلاء الزوجات
ينشئن الله إناشاً عرباً أثرباً ، كما ينشئ معهم الحور العين ، كأنهن بيض مكنون
وهن مطهرات من عيوب نساء الدنيا ، فلا حيض ، ولا نفاس ، ولا دماء خلق ،
ولا سوء خلق .

(١) آسن : متغير الطعم والرائحة (٢) سورة البقرة الآية ٢٥

وأهل الجنة نزع الله من صدورهم الفلّ إخواناً على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين .

والجنة لا يسمع فيها اللغو ، ولا التأثيم ، وإنما يسمع فيها تقديس الله ، وإجلاله .
وسلام الله على المؤمنين ، وسلام بعضهم على بعض .

« وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ » ^(١) .

وقد جاء في الحديث الذي رواه البخارى ومسلم والترمذى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يفلون ولا يمتخطون . أساطهم الذهب ورشحهم ^(٢) المسك ، ومجامرهم ^(٣) الألوة ^(٤) أزواجهم المحور العين ، على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعاً في السماء » .

وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه : « ألا مشر للجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها ، هي ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام أبداً ، في حبرة ^(٥) ونضرة ^(٦) ، في دور عالية سليمة بهية » .
قالوا : نحن المشرون لها يا رسول الله . قال : قولوا : إن شاء الله ، ثم ذكر الجهاد وحض عليه ^(٧) .

(١) سورة الرعد آية ٢٤ (٢) الرشح : العرق . (٣) المجامر : مواضع البخو .

(٤) الألوة : العود . (٥) الحبرة : النعمة وسعة العيش .

(٦) نضرة : البهجة والحسن . (٧) رواه ابن ماجه .

نعيم الجنة فوق ما يتصوره العقل :

وهذا النعيم المذكور جاء على مثال ماهو معروف في هذا العالم الأرضي ، وإن كان أرق منه نوعا وشكلا وطما ، وحقيقته فوق ما يتصوره البشر

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنهما: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر. اقرأوا إن شئتم » فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين»^(١) .

فنعيم الآخرة لا يشبهه شىء من نعيم الدنيا .

فهو وإن شابهه في الاسم فهو مختلف عنه في الصفة .

قال ابن عباس رضى الله عنهما في تفسير قول الله سبحانه :

« وَأَتَوَاتِبُهُ مُقَنَّبَاتٍ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »^(٢) .
لا يشبه شىء مما فى الجنة ما فى الدنيا إلا فى الأسماء .

أعلى نعيم الجنة :

وأعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية الله عز وجل ، ومناجاته ، والفوز برضاه .

« وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ »^(٣)

« إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ

(١) سورة السجدة آية ١٧ : وقرة العين كناية عن السرور .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥

(٣) سورة القيامة آية ٢٢ ، ٢٣

عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ، سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ^(١)

« وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ »^(٢) .

« لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ »^(٣)

وعن صهيب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟

يقولون : ألم تبيضّ وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار ؟ قال :

فيكشف^(٤) الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم . ثم تلا « للذين أحسنوا الحسنى^(٥) وزيادة » .

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال :

« نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون

ربكم عياناً كما ترون هذا القمر ، لا تضامون^(٦) في رؤيته . فان استطعتم ألا تغلبوا

على صلاة قبل طلوع الشمس . وقبل غروبها ، فافعلوا ، ثم قرأ : وسبح بحمد ربك

قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ،

وأما رؤية الله في الدنيا . فلم تقع لأحد قط . وقد سأل موسى عليه السلام ربه

(١) سورة يس آية ٥٥ - ٥٨ (٢) سورة التوبة آية ٧٢ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٥ (٤) فيكشف الحجاب عن أهل الجنة

(٥) الحسنى : الجنة . والزيادة : هي الرؤية . والحديث رواه مسلم وغيره .

(٦) تضامون : تشكّون . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى

(٢٠ - الطبعة)

قال :

« رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ . قَالَ : لَنْ تَرَانِي . وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي . فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا . فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ »^(١)
 وذهب ابن عباس رضى الله عنهما - وكثير من أهل العلم إلى أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة أُسْرِىَ به .

قال ابن عباس رضى الله عنهما - فى قوله تعالى :

« وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ »^(٢) .

قال : « هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسْرِىَ به »
 رواه البخارى

وكان الحسن يحلف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه
 وأنكرت السيدة عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 رأى ربه .

فمن مسروق قال : قلت لعائشة رضى الله عنها :

« يا أُمَّتاه . هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قَفَّ^(٣) شعرى مما قلتُ أين أنت
 من ثلاث :

من حَدَّثَكُنَّ فَقَدْ كَذَبَ :

من حَدَّثَكَ أَنْ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ ، ثُمَّ قَرَأَتْ :

« لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ »^(٤) .

(١) سورة الإعراف آية ١٤٣ (٢) سورة الإسراء آية ٦٠

(٣) قف : أى قام شعر رأسى وشعر بدنى من الفزع

(٤) سورة الأنعام آية ١٠٣

ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت .
« وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا » ^(١) .

ومن حدثك أنه كتم شيئاً من الوحي فقد كذب ، ثم قرأت :
« يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ » ^(٢)
ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين ^(٣) .

الخلود

والجنة خالدة لا تنفى ، وكذلك النار ، وأهل كل منهما مخلدون ، لا يدركهم الموت ولا يلحقهم الفناء .

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ
النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ بَأْتٍ لَا تَكَلَّمُ
نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقَىٰ وَسَعِيدٌ .

« فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ
سُعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ
عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ » ^(٤) .

وسر خلود أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار أن كلا من الفريقين كان
مصرًا على ما هو عليه ، فأهل الجنة كانوا مريدين الإيمان والطاعة مهما طالت بهم

(١) سورة لقمان آية ٣٤ (٢) سورة المائدة آية ٦٨

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي

(٤) سورة هود من الآية ١٠٣ — ١٠٨

الحياة ، وامتد بهم العمر ، وأهل النار كانوا مصرين على الكفر والمصيان ، ولو عاشوا ملايين السنين ، فكان الجزاء للفريقين على الإرادة والنية وبمقتضى هذه الإرادة والتنسيق كان الخلود إذ أن الإيمان والكفر والاعتصام به من أعمال قد تمكن من النفس تمكدا لا يزول .

ولقد صور القرآن هذا التمكن فذكر أن الكفار لو رجعوا إلى الدنيا بعد معاينتهم العذاب لمادوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وسوء العمل :

« وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » (١) .

والأصل في كون الجزاء على الإرادة والنية قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :
« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى »

خاتمة (*)

وبعد : فإن سلوك الإنسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيدته .
فإذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام ، وإذا فسدت فسد واعوج ، ومن ثم
كانت عقيدة التوحيد والإيمان ضرورة لا يستغنى عنها الإنسان ليستكمل شخصيته
ويحقق إنسانيته .

ولقد كانت الدعوة إلى هذه العقيدة أول شيء قام به رسول الله صلوات الله
وسلامه عليه ؛ لتكون حجر الزاوية في بناء الأمة للسلمة . كما كانت أول شيء قام به
رسل الله جميعا ، ذلك أن رسوخ هذه العقيدة في النفس الإنسانية يسمو بها
عن الماديات الوضيعة ، ويوجهها دائما وجهة الخير والنبيل ، والنزاهة والشرف .

وإذا سيطرت هذه العقيدة ، أثمرت الفضائل الإنسانية العليا من الشجاعة
والكرم ، والسماحة ، والطمانينة ، والإيثار ، والتضحية .

والتكئين لهذه العقيدة هو الذي يهذب الحياة ، ويرقيها ، ويصل بها إلى المدينه
الحقة ، ويبلغها ما تنشده من الخير والتقدم . وما تستهدفه من الحق والعدل ، فينم
الفرد ، وتسمد الجماعة ، وتحيا الحياة الطيبة .

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً
طَيِّبَةً » (١) .

(*) ما يخص مما كتبناه في كتاب إسلامنا .

(١) سورة النحل آية ٩٧

وفي ظلال العقيدة تتوافر عناصر الارتقاء للمادى والروحى ، ويجد الانسان من
عناية الله وولايته وكرامته ما يبلغه ذروة الكمال الذى أراد الله له .

« اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » ^(١)
« وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ^(٢)

والعقيدة مثلها مثل الشجرة الطيبة التى لا ينقطع ثمرها ، فهى تؤتى أكلها كل
حين : فى صيف أو شتاء ، ليل أو نهار ، والمؤمن كذلك لا يزال يرفع له عمل صالح
فى كل وقت وحين . ولهذا كثرت فى القرآن الكريم اقتران الإيمان بالعمل الصالح ،
لأنه ثمرة من ثماره ، وأثر من آثاره . وما أصدق قول الله سبحانه :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا
ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا . وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْمَثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » ^(٣)

ولقد كان لعقيدة الإيمان فى تربية المؤمنين الأولين الأثر الكبير ، فهى التى
زكت النفوس ، وطهرتها من الحسد والحقد ، والكبر والعجب ، والفسق والفحش ،
والظلم والجور ، والقسوة والغلظة ، والآثمة والأنانية .

وهى التى خلصتهم من درن التربة الفاسدة ووضر البيئة الرديئة ، وشر
الوراثات الدنيئة .

وهى التى أعلت همهم ، فطلبوا معالى الأمور ، ووطنوا أنفسهم على إمامة

(١) سورة البقرة ٢٥٦ (٢) سورة الحج ٥٤

(٣) سورة ابراهيم آية : ٢٤ ، ٢٥

البشر، وقيادة الأمم وتحريرها من الخرافات، واستبداد الملوك، وتطهير الأرض من الكفر والفساد.

وهي التي مكنت لم من الفتح والظفر، والعلم والعمل، وإقامة الحضارة التي شمع نورها، وعم خيرها مشارق الأرض ومغاربها، في سنين تعد على الأصابع.

قال الدكتور غوستاف لبون في كتابه (تطور الأمم):

«إن ملكة الفنون لا يتم تكوينها لأمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال:

أولها: جيل التقليد.

ثانيها: جيل الخضرمة.

ثالثها: جيل الاستقلال والاختصاص.

إلا العرب وحدهم، فقد استحكمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول الذي يدموا فيه بمزاوتها».

وما أصدق ما قاله الفابنة الجمدي:

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا . وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرًا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

ما للظهر يا أبا ليلى؟

قال: الجنة.

قال: إن شاء الله...!

فهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣١	اسم الله الأعظم	٥	مقدمة
٣٥	الذات الإلهية	٧	الإسلام إيمان وعمل
٣٧	استحالة إدراك الذات	٨	مفهوم الإيمان
٣٩	الطبيعة تؤكد وجود الخالق	٨	وحدة العقيدة
٤٦	الفطرة دليل وجود الله	٩	لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة
٤٧	دلالة الواقع والتجارب	١٢	منهج الرسل في الدعوة إلى الإيمان
٤٧	التأييد الإلهي	١٣	الانحراف عن منهج الرسل وأثره
٤٨	شواهد النقل	١٥	ضرورة العودة إلى تجديد دعوة
٤٨	لا سند للحاد		الإيمان
٤٩	اعتراف العلماء المحدثين بوجود الله	١٧	معرفة الله
٥٠	صفات الله	١٩	وسيلة المعرفة
٥٣	الصفات السلبية	١٩	المعرفة عن طريق العقل
٦٤	بدء الخلق في رأي علماء الشرع	٢١	التقليد حجاب العقل
٦١	الثالوث عقيدة وثنية	٢١	مبادئ التفكير
٦٥	الصفات الثبوتية	٢٢	غاية التفكير
٧١	صفات الذات والأفعال	٢٣	المعرفة عن طريق معرفة الأسماء
٧٢	صفات الله أعلام هادية		والصفات

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٩	علمهم في عالم الطبيعة	٧٧	حقيقة الايمان وثمرته
١٢٨	الإيمان بهم	٧٩	مظاهر الإيمان
١٣١	الجن	٨٤	ثمار الإيمان
١٣٣	من هم ؟	٩١	القدر
١٣٣	طريق العلم بهم	٩٣	الله فاعل مختار
١٣٣	المادة التي خلقوا منها	٩٥	معنى القدر
١٣٤	طوائفهم	٩٦	وجوب الإيمان بالقدر
١٣٥	الجن مكلفون بالبشر	٩٦	حكمة الإيمان بالقدر
١٣٥	استماعهم القرآن من الرسول	٩٩	حرية الإنسان
١٣٧	الجن لا يعلم الغيب	١٠١	الإسلام يقرر حرية الإرادة
١٣٨	تسخير الجن لسلطان	١٠٥	بين مشيئة الرب ومشيئة العبد
١٣٩	إبليس والشياطين	١٠٦	الهداية والإضلال
١٤٣	كل إنسان معه شيطان	١٠٩	الملائكة
١٤٤	الأعراض عن هداية الله يمكن للشيطان	١١١	من هم الملائكة ؟
١٤٥	التحذير من عداوة الشيطان	١١٢	م خلقوا ؟
١٥١	لا سلطان للشيطان على المؤمنين	١١٣	فضل البشر على الملائكة
١٥٣	مقاومة الشيطان	١١٤	طبيعتهم
١٥٥	حكمة خلق إبليس	١١٥	تفاوتهم
١٥٧	الكتب السماوية	١١٦	علمهم
١٥٩	الكتب المدونة	١١٦	علمهم في عالم الأرواح

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢١٣	الفرق بين آيات الرسل وغيرها	١٦٣	القرآن الكريم آخر الكتب
	من الخوارق	١٦٣	مزايا القرآن
٢١٤	الفرق بين المعجزة والكرامة	١٦٦	تحريف التوراة
٢١٥	معجزة خاتم الأنبياء	١٦٨	تحريف الإنجيل
٢٢١	الروح	١٦٨	تصديق القرآن للكتب السابقة
٢٢٣	الإنسان جيد وروح	١٦٩	الطريق إلى الحقيقة
٢٢٤	العلم الحديث وللباحث الروحية	١٧١	الرسول
٢٣٤	حدوث الروح	١٧٣	الإيمان بجميع الرسل
٢٣٤	الروح والنفس	١٧٥	لكل أمة رسول
٢٣٦	الروح بعد مفارقتها الجسد	١٧٦	الرسول بشر
٢٣٧	السؤال في القبر	١٧٨	الرسول رجل
٢٤٠	مستقر الأرواح	١٧٨	الفرض من بعثة الرسل
٢٤٣	أشراط الساعة	١٨٠	عصمة الأنبياء
٢٤٥	العلامات الصغرى	١٨٣	مانسب إلى الرسل
٢٤٨	العلامات الكبرى	١٩٨	أولو العزم من الرسل
٢٥٠	المهدى	١٩٨	أفضل الرسل
٢٥٣	خروج المسيح الدجال	١٩٩	ختم النبوة والرسالة
٢٥٧	اليوم الآخر	٢٠٠	الأعمال الكبرى التي قام بها خاتم الرسل
٢٥٩	الإيمان باليوم الآخر	٢٩١	دلائل صدقه
٢٥٩	لم يخلق الإنسان عبثاً	٢٠٥	التبشير بظهور خاتم الرسل
		٢٠٨	آيات الرسل

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٨٧	الحوض	٢٦٠	مفهوم اليوم الآخر
٢٨٧	الصراط	٢٦٠	اهتمام القرآن به
٢٨٩	الجنة والنار	٢٦٤	حكمة الاهتمام به
٢٨٩	النار	٢٦٥	بداية اليوم الآخر
٢٩٢	أحوال الحجيم	٢٦٦	العلم الطبيعي واليوم الآخر
٢٩٥	نسبة نار الدنيا إلى نار الآخرة	٢٦٦	متى هو ؟
٢٩٥	أهون الناس عذاباً	٢٦٩	البعث
٢٩٥	المؤمن لا يخلد في النار	٢٦٩	أدلة البعث
٢٦٩	الشفاعة للمصاة	٢٧١	شبهة منكرو البعث
٢٩٧	التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار	٢٧٢	اختلاف الناس عند البعث
٢٩٩	آخر من يدخل الجنة وآخر من يخرج من النار	٢٧٣	الشفاعة
٣٠٠	الجنة	٢٧٧	الحساب
٣٠١	أهلها	٢٧٩	الحساب هو مقتضى العدل الإلهي
٣٠٢	نعيمها	٢٨١	كيفية الحساب
٣٠٤	أعلى نعيم الجنة	٢٨٤	كيفية إحصاء الأعمال وعرضها
٣٠٧	الخلود	٢٨٥	العلم وتسجيل الأعمال
٣٠٩	خاتمة	٢٨٦	دقة الحساب
		٢٨٦	الله هو الذي يتولى الحساب
		٢٨٧	رحمة المؤمن في الحساب